أعلام الهداية

٣

فاطمة الزهراء عليها السلام

«سيدة النساء»



المجمع العالمي لأهل البيت

اسم الكتاب: أعلام الهداية (ج ٣)

فاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام

المؤلف: لجنة التأليف

الموضوع: كلام وتاريخ

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة الاولىٰ: ١٤٢٢ هـ ق

الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ ق

المطبعة: ليلىٰ

الكمية: ٥٠٠٠

شابک: ١-١٩-٥٦٨٨-٩٦٤ ISBN: 964-5688-19-1

www.ahl-ul-bayt.org

أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً

سورة الأحزاب / آية : ٣٣

أهل البيت عليهم السلام

في السنة النبوية

إني تارك فيكم الثقلين

كتاب الله وعترتي أهل بيتي

ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا

« الصحاح والمسانيد »

فهرس اجمالي

أعلام الهداية

فاطمة الزهراء عليها السلام

«سيدة النساء»

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

«قم المقدسة»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدىٰ، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفىٰ محمد (صلى الله عليه وآله) وعلىٰ آله الميامين النجباء .

لقد خلق الله الانسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل ، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه .

وقد جعل الله العقل المميّز حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته ؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرّفه الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها .

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها ، كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهةٍ أُخرىٰ .

قال تعالى :

﴿ قُلْ إنّ هُدى الله هو الهُدىٰ ﴾ [الانعام (٦) : ٧١] .

﴿ والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [البقرة (٢) : ٢١٣] .

﴿ والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل ﴾ [الاحزاب (٣٣) : ٤] .

﴿ ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [آل عمران (٣) : ١٠١] .

﴿ قل الله يهدي للحقّ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون ﴾ [يونس (١٠) : ٣٥] .

﴿ ويرى الذين أُوتوا العلم الذي أُنزل اليك من ربّك هو الحقّ ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [سبا (٣٤) : ٦] .

﴿ ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدىً من الله ﴾ [القصص (٢٨) : ٥٠] .

فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم. ولقد أودع الله في فطرة الانسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالىٰ : ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا ليعبدونِ ﴾ [الذاريات (٥١): ٥٦]. وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة والعبادة طريقاً منحصراً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمّة الكمال .

وبعد أن زوّد الله الانسان بطاقتي الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمَن عليه من سيطرة الغضب والشهوة؛ والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان ـ بالإضافة إلى عقله وسائر أدوات المعرفة ـ ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛ كي تتمّ عليه الحجّة ، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار

طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته.

ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الارشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة.

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدى العصور والقرون، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجةٍ هاديةٍ وعلمٍ مرشدٍ ونورٍ مُضيء، كما أفصحت نصوص الوحي ـ مؤيّدةً لدلائل العقل ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجّة، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، ولو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة، وصرّح القرآن ـ بشكلٍ لا يقبل الريب ـ قائلاً: ﴿ إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد ﴾ [الرعد (١٣): ٧].

ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتي تتلخّص في:

١ ـ تلقّي الوحي بشكلٍ كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً: ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ [الانعام (٦): ١٢٤] و ﴿ الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ [آل عمران (٣): ١٧٩].

٢ ـ إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية ولمن أُرسلوا إليه، ويتوقف الإبلاغ على الكفاءة التامّة التي تتمثّل في «الاستيعاب والإحاطة اللازمة» بتفاصيل

الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ والانحراف معاً، قال تعالى : ﴿ كان الناسُ أُمّةً واحدةً فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتابَ بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ [البقرة (٢) : ٢١٣].

٣ ـ تكوين أُمةٍ مؤمنةٍ بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها في الحياة ، وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمةً عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى: ﴿ يزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمة ﴾ [الجمعة (٦٢) : ٢] والتزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التي تتمتّع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة ﴾ [الاحزاب: (٣٣) : ٢١].

٤ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقرّرة لها ، وهذه المهمة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية، والتي تسمّىٰ بالعصمة.

٥ ـ العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الأُطروحة الربّانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيانٍ سياسيٍّ يتولّىٰ إدارة شؤون الأُمة علىٰ أساس الرسالة الربّانية للبشرية، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وصموداً كبيراً، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخّصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولةٍ عالميةٍ دينية، هذا فضلاً عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي

تصون القيادة الدينية من كلّ سلوكٍ منحرفٍ أو عملٍ خاطئٍ بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبيّاً على مسيرة القيادة وانقياد الأُمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة وأغراضها .

وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، واقتحموا سبيل التربية الشاقّ، وتحمّلوا في سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، وقدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلكّأوا طرفة عين.

وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (ﷺ) وحمّله الأمانة الكبرىٰ ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم (ﷺ) في هذا الطريق الوعر خطواتٍ مدهشة، وحقّق في أقصر فترةٍ زمنيةٍ أكبر نتاجٍ ممكنٍ في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية ، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي :

١ ـ تقديم رسالةٍ كاملةٍ للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء .

٢ ـ تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف .

٣ ـ تكوين أمةٍ مسلمةٍ تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة .

٤ ـ تأسيس دولةٍ إسلاميةٍ وكيانٍ سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء .

٥ ـ تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثّلة في

قيادته (صلى الله عليه وآله).

ولتحقيق أهداف الرسالة بشكلٍ كاملٍ كان من الضروري :

أ ـ أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر .

ب ـ أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوءٍ علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول(صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرسالة ويجسّدها في كل حركاته وسكناته .

ومن هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلّى هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه وآله) بقوله: «**إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**» .

وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى لقيادة الأُمّة من بعده.

إنّ سيرة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل المسيرة الواقعية للاسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ودراسة حياتهم بشكلٍ مستوعبٍ تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الاسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ

طريقه إلى أعماق الأُمة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (ﷺ) ، فأخذ الأئمة المعصومون (ﷺ) يعملون على توعية الأُمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرسالي للشريعة ولحركة الرسول (ﷺ) وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة والأُمة جمعاء .

وتبلورت حياة الأئمّة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الأُمة عليهم والتفاعل معهم كأعلامٍ للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلّاء على الله وعلى مرضاته، والمستقرّين في أمر الله، والتامّين في محبّته، والذائبين في الشوق اليه، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنساني المنشود .

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على طاعة الله وتحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاحٍ عظيمٍ وجهادٍ كبير .

ولا يستطيع المؤرّخون والكتاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة ويدّعوا دراستها بشكلٍ كامل، ومن هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبساتٍ من حياتهم، ولقطاتٍ من سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم التي دوّنها المؤرّخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق ؛ عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق .

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (ﷺ) الرسالية تبدء برسول الإسلام وخاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (ﷺ) وتنتهي بخاتم الأوصياء: محمد بن الحسن

العسكري المهديِ المنتظر عجّل الله تعالى فرجه وأنار الأرض بعدله.

ويختصّ هذا الكتاب بدراسة حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تلك المرأة الأُسوة، وهي المعصوم الثالث من أعلام الهداية، والتي تمثّلت في حياتها كلّ جوانب الشريعة روحاً وعملاً وسلوكاً، إنّها التي سمّاها النبي (صلى الله عليه وآله) «سيدة نساء العالمين» ، فكانت مثلاً أعلىٰ ، ونبراساً مضيئاً ، يشعُّ إيماناً وطهراً ونقاءً.

ولا بدَّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوة الأعزّاء الذين بذلوا جهداً وافراً وشاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك وإخراجه إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

ولا يسعنا إلّا أن نبتهل الى الله تعالىٰ بالدعاء والشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا ونعم النصير.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

قم المقدسة

الباب الأول

فيه فصول :

الفصل الأول :

الزهراء (عليها السلام) في سطور

الفصل الثاني :

انطباعات عن شخصيّة الزهراء (عليها السلام)

الفصل الثالث :

مظاهر من شخصيّة الزهراء (عليها السلام)

الفصل الأوّل

الزهراء (عليها السلام) في سطور

* الزهراء فاطمة هي بنت محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وخديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

ولدت من أكرم أبوين عرفهما التاريخ البشري، ولم يكن لأحد في تاريخ الإنسانية ما لأبيها من الآثار التي غيّرت وجه التاريخ، ودفعت بالإنسان أشواطاً بعيدةً نحو الأمام في بضع سنوات معدودات، ولم يحدّث التاريخ عن أُمٍّ كأُمّها وقد وهبت كلّ ما لديها لزوجها العظيم ومبدئه الحكيم، مقابل ما أعطاها من هداية ونور.

* في ظلّ هذين الأبوين العظيمين درجت فاطمة البتول، ونشأت في دارٍ يغمرها حنان أبيها الذي حمل عبء النبوّة وتحمّل في سبيله ما تنوء به الجبال، فأنّىٰ اتجه وأين ذهب كان يرىٰ قريشاً وغلمانها له بالمرصاد، وفاطمة الزهراء (عليها السلام) على صغر سنّها ترى كلّ ذلك، وتساهم مع أُمّها في التخفيف من وقع ذلك في نفسه فكانت تتلوّىٰ من الألم لما كان يلقىٰ من فادح الأذىٰ وتتجرّع ما كان يكابده المسلمون الأوّلون من اضطهاد مرير.

* لقد عاشت السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) محن تبليغ الرسالة الإلهية منذ نعومة أظفارها، وحوصرت مع أبيها وأُمّها وسائر بني هاشم في الشِعب

ولم تبلغ ـ في بدء الحصار ـ من العمر سوىٰ سنتين.

وما أن رفع الحصار بعد سنوات ثلاث عجاف، حتى واجهت محنة وفاة اُمّها الحنون وعمّ أبيها وهي في بداية عامها السادس، فكانت سلوة أبيها في تحمّل الأعباء ومواجهة الصعوبات والشدائد، تؤنسه في وحدته وتؤازره على ما يلمّ به من طغاة قريش وعتاتهم.

وهاجرت مع ابن عمّها والفواطم، الى المدينة المنوّرة في الثامنة من عمرها الشريف، وبقيت إلى جنب أبيها الرسول الأعظم (ﷺ) حتى اقترنت بالإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فكوّنت أشرف بيت في الإسلام بعد بيت رسول الله(ﷺ) إذ أصبحت الوعاء الطاهر للسلالة النبوية الطاهرة والكوثر المعطاء لعترة رسول الله(ﷺ) الميامين.

* لقد قدّمت الزهراء (عليها السلام) أروع مثلٍ للزوجة النموذج وللأمومة العالية، في أحرج لحظات التاريخ الإسلامي الذي كان يريد أن يختطّ طريق الخلود والعلىٰ في بيئةٍ جاهليةٍ وأعرافٍ قَبَلية، ترفض إنسانية المرأة وتعدّ البنت عاراً وشناراً، فكان على مثل الزهراء ـ وهي بنت الرسالة المحمّدية الغرّاء ووليدة النهضة الإلهية الفريدة ـ أن تضرب بسلوكها الفردي والزوجي والاجتماعي مثلاً حقيقياً وعملياً يجسّد مفاهيم الرسالة وقِيَمها تجسيداً واقعياً.

وقد أثبتت الزهراء للعالم الإنساني أجمع أنّها الإنسان الكامل الذي استطاع أن يحمل طابع الأنوثة، فيكون آية إلهية كبرى على قدرة الله البالغة وإبداعه العجيب، إذ أعطى للزهراء فاطمة أوفر حظٍ من العظمة وأوفى نصيب من الجلالة والبهاء.

* أنجبت الزهراء البتول لعليٍّ المرتضىٰ: سيّدي شباب أهل الجنّة

وابنيّ رسول الله « الحسن والحسين » الإمامين العظيمين ، والسيّدتين الكريمتين «زينب الكبرىٰ وأمّ كلثوم» المجاهدتين الصابرتين ، وأسقطت خامس أبنائها « المحسن » بعد وفاة أبيها في أحداث الاعتداء على بيتها (بيت الرسالة)، فكان أوّل قُربان أهدته هذه الأمّ المجاهدة الشهيدة بعد أبيها من أجل صيانة رسالة أبيها من التردّي والانحراف .

* لقد شاركت الزهراء (عليها السلام) أباها وبعلها صلوات الله عليهما في أحرج اللحظات وفي أنواع الأزمات، فنصرت الإسلام بجهودها وجهادها وبيانها وتربيتها لأهل بيت الرسالة الذين استودعهم الرسول (صلى الله عليه وآله) مهمة نصرة الإسلام بعد وفاته، فكانت أوّل أهل بيته لحوقاً به بعد جهاد مرير، توزّع في سوح الجهاد مع المشركين والقضاء علىٰ خُططِ ومؤامراتِ المنافقين، وتجلّىٰ في تثقيف نساء المسلمين كما تجلّىٰ في الوقوف أمام المنحرفين ، فكانت بحقّ رمزَ البطولة والجهاد والصبر والشهادة والتضحية والايثار ، حتى فاقت في كلّ هذه المعاني سادات الأوّلين والآخرين في أقصر فترة زمنية يمكن أن يقطعها الإنسان نحو أعلى قمم الكمال الشاهقة.

فسلام عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيّةً وهي تحمل كلَّ أوسمة الشرف والسمو وعليها حلل الكرامة.

* * *

الفصل الثاني

انطباعات عن شخصية الزهراء (عليها السلام)

الزهراء فاطمة ابنة أعظم نبيّ وزوجة أوّل إمام وبطل، وأُم أينع بزغتين في تأريخ الإمامة، إنّها الوجه المشرق الوضّاء للرسالة الخاتمة، وإنّـها سيّدة نساء العالمين، وهي الوعاء الطاهر للسلالة الطاهرة والمنبت الطيّب لعترة رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين.

لقد اقترن تأريخها بتأريخ الرسالة، إذ ولدت قبل الهجرة بثمان سنوات وتوفّيت بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) بعدّة أشهر.

وقد أشاد النبيّ الكريم بعظيم منزلة الزهراء الطاهرة، وبما بلغته من موقع رياديّ في خطّ الرسالة محتذياً خُطى القرآن الكريم فيما صرّح به من فضائل ومكرمات لأهل بيت الوحي (عليهم السلام) بشكل عام وللزهراء (عليها السلام) بشكل خاص.

الزهراء في آيات الذكر الحكيم

لقد مدح القرآن الكريم أُناساً خلّدهم بآياتٍ تتلى آناء الليل وأطراف النهار، إكباراً لمواقفهم ولتفانيهم في سبيل الحقّ.

وممّن خصّهم الله تعالىٰ بالذكر الجليّ وأشاد بمواقفهم وفضائلهم أهل بيت النبيّ (ﷺ)، وقد روى المؤرّخون والمفسّرون نزول آيات كثيرة في مدحهم، كما خصّهم بالثناء في سورٍ شتّىٰ تقريراً لسلامة خطّهم واعترافاً بحُسن سَمتِهم ودعوةً للاقتداء بهم.

١ ـ الزهراء (ﷺ) كوثر الرسالة :

إنّ الكوثر هو الخير الكثير ، وهو يتناول بظاهره جميع نعم الله على النبيّ محمّد (ﷺ) ولكن ما ذكروه في أسباب النزول بالإضافة إلى الآية الأخيرة من سورة الكوثر يشيران بوضوح إلى أنّ هذا الخير يرتبط بكثرة النسل ودوامه، وقد عرف العالم كلّه أنّ نسل رسول الله (ﷺ) قد استمرّ من خلال ابنته الزهراء البتول كما صرّحت بذلك جملة من أحاديث الرسول (ﷺ).

وممّا رواه المفسّرون في هذا الصدد أنّ العاص بن وائل كان يقول لصناديد قريش: إنّ محمداً أبتر لا ابن له[١] يقوم مقامه بعده، فإذا مات انقطع ذكره واسترحتم منه. وهذا قول ابن عباس وعامة أهل التفسير[٢]، وبالرغم ممّا ذكره الفخر الرازي من اختلاف المفسّرين في معنىٰ الكوثر هنا فإنّه قد صرّح قائلاً : « والقول الثالث : الكوثر أولاده .. لأنّ هذه السورة إنّما نزلت ردّاً على من عابه (ﷺ) بعدم الأولاد، فالمعنى أنّه يعطيه نسلاً يبقون على مرّ الزمان (ثم قال): فانظرْ ،كم قُتل من أهل البيت ؟! ثمّ العالم ممتلئ منهم ولم يبق من بني أُمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من

(١) وذلك بعد أن مات ابنه عبدالله من خديجة فلم يبق له أحد من الذكور.

(٢) التفسير الكبير : ٣٢ / ١٣٢.

العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا (عليهم السلام) والنفس الزكية وأمثالهم »[١].

وتدلّ آية المباهلة[٢] على أنّ الحسن والحسين ابنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما دلّت النصوص المتضافرة عن الرسول (صلى الله عليه وآله) على أنّ الله تعالى جعل ذريّة كلّ نبيّ في صلبه وجعل ذريّة الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) في صلب علي بن أبي طالب (عليه السلام)[٣] وروت الصحاح عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّه قال للحسن بن علي (عليهما السلام) : **«إنّ ابني هذا سيّد، ولعلّ الله يصلح به بين فئتين عظيمتين»**[٤].

٢ ـ الزهراء (عليها السلام) في سورة الدهر :

مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ناسٍ معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر عليّ وفاطمة وفضّة (وهي جارية لهما) إن برئا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض عليّ (عليه السلام) من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة (عليها السلام) صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمّد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلاّ الماء وأصبحوا صياماً، فلمّا أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة

---

(١) التفسير الكبير : ٣٢ / ١٢٤.

(٢) سورة آل عمران (٣) : ٦١.

(٣) راجع تاريخ بغداد : ١ / ٣١٦، والرياض النضرة : ٢ / ١٦٨، وكنز العمّال : ١١ الحديث رقم : ٣٢٨٩٢.

(٤) راجع صحيح البخاري: كتاب الصلح، وصحيح الترمذي: ٥ الحديث ٣٧٧٣ طبعة دار إحياء التراث، ومسند أحمد : ٥ / ٤٤ وتاريخ بغداد : ٣ / ٢١٥، وكنز العمال: ١٢ و ١٣ : الأحاديث ٣٤٣٠٤ و ٣٤٣٠١ و ٣٧٦٥٤.

ففعلوا مثل ذلك، فلمّا أصبحوا أخذ عليّ (عليه السلام) بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلمّا أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع قال: ما أشدّ ما يسوؤني ما أرىٰ بكم ! وقام فانطلق معهم فرأىٰ فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبرئيل ثم قال: خذها يا محمّد هنّأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة[١].

فالزهراء ممّن شهد الله لها بأنّها من الأبرار الذين يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافوراً، وممّن يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً، وممّن يطعمون الطعام على حبّه، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وأنّهم إنّما يطعمون لوجه الله لا يريدون منهم جزاءً ولا شكوراً، وأنّهم ممّن صبروا في ذات الله .. وأنّهم ممّن وقاهم الله شرّ ذلك اليوم العبوس القمطرير .. ولقّاهم نضرةً وسروراً، وجزاهم بما صبروا جنّةً وحريراً[٢].

٣ ـ الزهراء (عليها السلام) في آية التطهير :

لقد نزل الوحي بآية التطهير على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو في بيت أُم سلمة ـ رضي الله عنها ـ وذلك حينما كان قد ضمّ سبطيه ـ الحسن والحسين ـ وأباهما وأُمّهما إليه ثمّ غشّاهم ونفسه بالكساء تمييزاً لهم عن الآخرين والنساء، فنزلت الآية: ﴿ **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم** تطهيراً ﴾[٣] وهم على تلك الحال، ولم يقتصر (صلى الله عليه وآله) على هذا المقدار من

---

(١) سورة الدهر أو الإنسان أو هل أتى .

(٢) راجع الكشّاف للزمخشري والثعلبي في تفسيره الكبير وأُسد الغابة : ٥ / ٥٣٠ والتفسير الكبير للفخر الرازي.

(٣) سورة الأحزاب (٣٣) : ٣٣.

توضيح اختصاص الآية بهم حتى أخرج يده من تحت الكساء فألوىٰ بها الى السماء فقال: اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، يكرّر ذلك وأُم سلمة تسمع وترىٰ، وجاءت لتدخل تحت الكساء قائلة: وأنا معكم يا رسول الله، فجذبها من يدها وقال: لا، إنّك على خير[١].

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد نزول الآية كلّما خرج إلىٰ الفجر يمرّ ببيت فاطمة فيقول: الصلاة يا أهل البيت إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً، مستمراً على هذه السيرة ستة أو ثمانية أشهر[٢].

ودلّت الآية المباركة على عصمة أهل البيت من الذنوب فإنّ الرجس هو الذنب، وقد صُدِّرت الآية بأداة الحصر فأفادت أنّ إرادة الله في أمرهم مقصورة على إذهاب الذنوب عنهم وتطهيرهم منها، وهذا هو كُنه العصمة وحقيقتها، وقد أورد النبهاني عن تفسير الطبري هذا المعنى بشكل صريح[٣].

٤ ـ مودّة الزهراء (عليها السلام) أجر الرسالة :

وروىٰ جابر (رضي الله عنه) أنّ أعرابياً جاء إلىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال: يا محمّد! أعرض عليّ الإسلام، فقال: تشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ

---

(١) راجع صحيح مسلم :كتاب فضائل الصحابة، ومستدرك الصحيحين : ٣ / ١٤٧ والدرّ المنثور في تفسير آية التطهير، وتفسير الطبري : ٢٢ / ٥، وصحيح الترمذي ٥ / الحديث ٣٧٨٧، ومسند أحمد : ٦ / ٢٩٢ و ٣٠٤، وأُسد الغابة : ٤ / ٢٩، وتهذيب التهذيب : ٢ / ٢٥٨.

(٢) راجع الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء : ١٩٢ قال السيد عبد الحسين شرف الدين : أخرجه الإمام أحمد في ص ٢٥٩ من الجزء ٣. وأخرجه الحاكم وصححه الترمذي وحسّنه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والطبراني وغيرهم.

(٣) راجع الكلمة الغرّاء : ٢٠٠ .

محمّداً عبده ورسوله، قال: تسألني عليه أجراً ؟

قال: لا إلّا المودّة في القُربىٰ، قال: قُرباي أو قرباك ؟ قال: قرباي، قال: هاتِ أُبايعك، فعلى مَن لا يحبّك ولا يحبّ قرباك لعنة الله،قال (ﷺ): آمين[١].

وفسّر مجاهد هذه المودّة بالاتّباع والتصديق لرسول الله وصلة رحمه، وفسّرها ابن عباس بحفظه في قرابته[٢].

وذكر الزمخشري أنّ هذه الآية لمّا نزلت قيل: يا رسول الله مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ قال: عليٌّ وفاطمة وابناهما[٣].

٥ ـ الزهراء (عليها السلام) في آية المباهلة :

أجمع أهل القبلة حتى الخوارج منهم على أنّ النبيّ (ﷺ) لم يَدْعُ للمباهلة من النساء سوىٰ بضعته الزهراء ومن الأبناء سوىٰ سبطيه وريحانتيه الحسن والحسين (عليهما السلام) ومن الأنفس إلّا أخاه عليّاً (عليه السلام) الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، فهؤلاء أصحاب هذه الآية بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها لم يشاركهم فيها أحد من العالمين،كما هو بديهيّ لكل من ألمّ بتاريخ المسلمين، وبهم خاصّة نزلت لا بسواهم[٤].

لقد باهل النبيّ (ﷺ) بهم خصومه من أهل نجران فانتصر عليهم ،

(١) حلية الأولياء : ٣ / ٢٠١، وتفسير الطبري : ٢٥ / ١٦ و ١٧، والدرّ المنثور في تفسير الآية ٣ من سورة الشورى، والصواعق المحرقة : ٢٦١، وأُسد الغابة : ٥ / ٣٦٧.

(٢) راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة : ١ / ٣٠٧.

(٣) راجع الكشاف في تفسير الآية والتفسير الكبير للفخر الرازي والدرّ المنثور للسيوطي وذخائر العقبى: ٢٥، وقد ذكر العلامة الأميني خمسة وأربعين مصدراً لنزول الآية في شأن عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فراجع الجزء الثالث من (الغدير) .

(٤) راجع الكلمة الغرّاء : ١٨١.

وأُمّهاتُ المؤمنين كنّ حينئذٍ في حجراته (صلى الله عليه وآله) فلم يدعُ واحدةً منهنّ، ولم يدع صفيّة وهي شقيقة أبيه، ولا أُمّ هاني وهي كريمة عمّه، ولا واحدةً من نساء الخلفاء الثلاثة وغيرهم من المهاجرين والأنصار.

كما أنّه لم يدعُ مع سيديّ شباب أهل الجنة أحداً من أبناء الهاشميين ولا أحداً من أبناء الصحابة، وكذلك لم يدع مع عليّ أحداً من عشيرته الأقربين ولا واحداً من السابقين الأوّلين، وإنّما خرج وعليه مرط من شعر أسود ـ كما يقول الرازي في تفسيره ـ وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليّ خلفها وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارىٰ ! إنّي لأرىٰ وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً لأزاله بها، فلا تباهلوهم فتهلكوا، ولا يبقىٰ على وجه الأرض نصرانيّ الى يوم القيامة[١].

قال الرازي بعد نقل هذا الحديث: هذه الآية دالّة على أنّ الحسن والحسين (عليهما السلام) كانا ابني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وَعَدَ أن يدعو أبناءه فدعا الحسن والحسين (عليهما السلام) فوجب أن يكونا ابنيه[٢].

* * *

(١) قال السيد عبد الحسين شرف الدين : ذكر هذا الحديث المفسّرون والمحدّثون وكلّ من أرّخ حوادث السنة العاشرة للهجرة وهي سنة المباهلة، وراجع كذلك صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، والكشّاف للزمخشري في تفسير الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) راجع التفسير الكبير : ذيل تفسير الآية، والصواعق المحرقة : ٢٣٨، وأسباب النزول للواحدي : ٧٥.

الزهراء (عليها السلام) عند سيّد المرسلين (صلى الله عليه وآله)

«إنّ الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضىٰ لرضاها»(١).

«فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني ومن أحبّها فقد أحبّني»(٢).

«فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبيّ»(٣).

«فاطمة سيّدة نساء العالمين»(٤).

لقد تواترت هذه الشهادات وأمثالها في كتب الحديث والسيرة(٥) عن رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) الذي لا ينطق عن الهوى(٦) ولا يتأثر بنسب أو سبب، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

إنّ الرسول الذي ذاب في دعوته وكان للناس فيه أُسوة فأصبحت خفقات قلبه ونظرات عينه ولمسات يده وخطوات سعيه وإشعاعات فكره: قوله وفعله وتقريره (أي: سنّته) بل وجوده كلّه مَعْلَماً من معالم الدين ومصدراً للتشريع ومصباحاً للهداية وسبيلاً للنجاة.

---

(١) راجع كنز العمال : ١٢ / ١١١، ومستدرك الصحيحين : ٣ / ١٥٤، وميزان الاعتدال : ١ / ٥٣٥.

(٢) راجع الصواعق المحرقة : ٢٨٩، الإمامة والسياسة ص ٣١، وكنز العمال : ١٢ / ١١١، وخصائص النسائي: ٣٥، وصحيح مسلم :كتاب فضائل الصحابة .

(٣) راجع فرائد السمطين : ٢ / ٦٦.

(٤) المستدرك على الصحيحين : ٣ / ١٧٠، وأبو نعيم في حلية الأولياء : ٢ / ٣٩، والطحاوي في مشكل الآثار :١ / ٤٨، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٩ / ١٩٣، والعوالم : ١١ / ١٤١و ١٤٦.

(٥) راجع كنز العمال : ١٢ / ٩٧، ومسند أحمد : ٦ / ٢٩٦ و ٣٢٣، ومستدرك الصحيحين : ٣ / ١٥٨ ـ ١٨٥، وصحيح البخاري كتاب الاستئذان، وصحيح الترمذي ٥ / الحديث ٣٨٦٩، وحلية الأولياء : ٢ / ٤٢، والاستيعاب : ٢ / ٧٢٠و ٧٥٠.

(٦) سورة النجم (٥٣) : ٣.

«إنّها أوسمة من خاتم الرسل على صدر فاطمة الزهـراء، تـزداد تألقاً كلّما مرّ الزمن، وكلّما تطوّرت المجتمعات، وكلّما لاحظنا المبدأ الأساس في الإسلام في كلامه(صلى الله عليه وآله) لها: يا فاطمة اعملي لنفسك فإنّي لا أغني عنكِ من الله شيئاً»[١].

وقال (صلى الله عليه وآله): «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلّا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد**»[٢].

وقال (صلى الله عليه وآله): «**إنّما فاطمة شجنة منّي، يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها**[٣] **وإنّ الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري ...**»[٤].

وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم وقد أخذ بيد فاطمة (عليها السلام) وقال: «**من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد وهي بضعة منّي، وهي قلبي الذي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**»[٥].

وقال (صلى الله عليه وآله): «**فاطمة أعزّ البريّة عليّ**»[٦].

ولا يصعب علينا تفسير هذه النصوص بعد الإلمام بعصمتها (عليها السلام)، بل هي شاهدة على عصمتها وأنّها لا تغضب إلّا لله ولا ترضى إلّا له.

---

(١) فاطمة الزهراء وتر في غمد: من مقدمة السيد موسى الصدر.

(٢) رواه صاحب الفصول المهمة ٢٧، راجع تفسير الوصول : ٢ / ١٥٩، وشرح ثلاثيات مسند أحمد : ٢ / ٥١١.

(٣) الشجنة: الشعبة من كل شيء، الشجنة كالغصن يكون من الشجرة. راجع مستدرك الحاكم : ٣ / ١٥٤، وكنز العمال : ١٢ / ١١١ الحديث ٣٤٢٤٠.

(٤) راجع مسند أحمد : ٤ / ٣٢٣ و ٣٣٢، والمستدرك : ٣ / ١٥٤ و ١٥٩.

(٥) راجع الفصول المهمة: ١٤٤، ورواه في كتاب المختصر عن تفسير الثعلبي: ١٣٣.

(٦) أمالي الطوسي : مجلس ١ حديث ٣٠، والمختصر: ١٣٦.

الزهراء (عليها السلام) عند الأئمة والصحابة والمؤرّخين

عن عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام): «لم يولد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) من خديجة على فطرة الاسلام إلّا فاطمة»(١).

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): «والله لقد فطمها الله تبارك وتعالىٰ بالعلم»(٢).

وعن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام): «إنّما سُمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها»(٣).

وعن ابن عباس: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالساً ذات يوم وعنده عليّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: «اللهمّ إنّك تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليّ فأحبب من أحبّهم وأبغض من أبغضهم ووالِ من والاهم وعادِ من عاداهم، وأعن من أعانهم واجعلهم مطهّرين من كلّ رجس معصومين من كلّ ذنب وأيّدهم بروح القدس منك»(٤).

وعن اُمّ سلمة أنّها قالت: كانت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أشبه الناس وجهاً وشبهاً برسول الله (صلى الله عليه وآله)(٥).

وعن عائشة أنّها قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً من فاطمة إلّا أن يكون الذي ولّدها(٦) وكانت إذا دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قام فقبّلها

---

(١) روضة الكافي: ح٥٣٦.

(٢) كشف الغمة: ١ / ٤٦٣.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣ / ١٩.

(٤) بحار الأنوار: ٤٣ / ٦٥ و ٢٤.

(٥) كشف الغمة: ١ / ٤٧١.

(٦) ذخائر العقبىٰ: ٥٤.

ورحّب بها وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبّلته وأخذت بيده وأجلسته في مجلسها، وكان الرسول دائماً يختصّها بسرّه ويرجع اليها في أمره[١].

وعن الحسن البصري أنّه ماكان في هذه الأُمة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تورّم قدماها[٢].

ودخل عبدالله بن حسن علىٰ عمر بن عبد العزيز وهو حديث السنّ، وله وقرة، فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضىٰ حوائجه، ثم أخذ عكنة[٣] من عكنه فغمزها حتىٰ أوجعه وقال له: اذكرها عند الشفاعة.

فلما خرج لامَهُ أهله وقالوا: فعلت هذا بغلام حديث السن، فقال: إنّ الثقة حدّثني حتىٰ كأنّي أسمعه من في رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «**إنّما فاطمة بضعة منّي يسرّني ما يسرّها**» وأنا أعلم أنّ فاطمة (عليها السلام) لو كانت حيّة لسرّها ما فعلت بابنها، قالوا: فما معنىٰ غمزك بطنه، وقولك ما قلت؟ قال: إنّه ليس أحد من بني هاشم إلّا وله شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا[٤].

قال ابن الصبّاغ المالكي: ... وهي بنت من أُنزل عليه (سبحان الذي أسرىٰ)، ثالثة الشمس والقمر، بنت خير البشر، الطاهرة الميلاد، السيّدة بإجماع أهل السداد[٥].

وقال الحافظ أبو نعيم الإصفهاني عنها: «من ناسكات الأصفياء وصفيّات الأتقياء فاطمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ السيّدة البتول، البضعة

(١) أهل البيت : ١٤٤ لتوفيق أبو علم .

(٢) بحار الأنوار : ٤٣ / ٨٤ .

(٣) وقرة : رزانة وحلم، العكنة: الطي الذي في البطن من السمن (المختار / باب عكن).

(٤) الأغاني : ٨ / ٣٠٧، وراجع مقاتل الطالبيين : ١٢٤ .

(٥) الفصول المهمة : ١٤١ ، طبعة بيروت .

الشبيهة بالرسول ...كانت عن الدنيا ومتعتها عازفة، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة(١).

وقال عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي: وأكرم رسول الله (ﷺ) فاطمة إكراماً عظيماً أكثر مماكان الناس يظنّونه ... حتى خرج بها عن حبّ الآباء للأولاد، فقال لمحضر الخاص والعام مراراً لا مرّة واحدة وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد: **«إنّها سيّدة نساء العالمين وإنّها عديلة مريم بنت عمران، وإنّها إذا مرّت في الموقف نادىٰ منادٍ من جهة العرش: يا أهل الموقف غضّوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمدٍ»**، وهذا من الأحاديث الصحيحة وليس من الأخبار المستضعفة ، وكم قال لا مرّة: **«يؤذيني ما يؤذيها ويغضبني ما يغضبها، وإنّها بضعة منّي يريبني ما رابها»**(٢).

وقال المؤرّخ المعاصر الدكتور علي حسن ابراهيم: وحياة فاطمة هي صفحة فذّة من صفحات التاريخ نلمس فيها ألوان العظمة، فهي ليست كبلقيس أو كليو بطرة استمدّت كلّ منهما عظمتها من عرش كبير وثروة طائلة وجمال نادر، وهي ليست كعائشة نالت شهرتها لما اتصفت به من جرأة جعلتها تقود الجيوش وتتحدّىٰ الرجال، ولكنّا أمام شخصية استطاعت أن تخرج إلىٰ العالم وحولها هالة من الحكمة والجلال، حكمة ليس مرجعها الكتب والفلاسفة والعلماء، وإنّما تجارب الدهر المليء بالتقلّبات والمفاجآت، وجلال ليس مستمداً من ملك أو ثراء وإنّما من صميم النفس ...(٣).

---

(١) حلية الأولياء : ٢ / ٣٩، طبعة بيروت .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٩ / ١٩٣.

(٣) راجع فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى : ٢١.

الفصل الثالث

مظاهر من شخصيّة الزهراء (عليها السلام)

الحديث عن الزهراء فاطمة يتجاوز الفسحة التي امتدّت بين ساعةٍ أبصرت فيها النور وساعةٍ انطفأت فيها من عينيها لمعة الحياة.

فإنّها ابنة نبيّ هزّ جذور الفكر في الإنسان وقفز به فوق الأجيال، كما إنّها زوجة رجلٍ هو ركنٌ من أركان الحق وامتداد لأعظم نبيّ في تاريخ الإنسان.

لقد حازت على كمال العقل وجمال الروح وطيب الصفاء وكرم المحتد، وعاشت في جوٍّ شعّت عليه وامتدّت به وعبّرت عنه فكراً وانتاجاً، وغدت خطّاً في الرسالة التي انطلقت ثورةً، فكانت هي ركناً من أركانها التي لا يمكن فهم تاريخ الرسالة من دون فهم تاريخها.

وقد مثّلت الزهراء (عليها السلام) أشرف ما في المرأة من إنسانية وصيانة وكرامة وقداسة ورعاية وعناية، بالإضافة إلىٰ ما كانت عليه من ذكاء وقّاد وفطنة حادّة وعلم واسع، وكفاها فخراً أنّها تربّت في مدرسة النبوّة وتخرّجت من معهد الرسالة وتلقّت عن أبيها الرسول الأمين (صلى الله عليه وآله) ما تلقّاه عن ربّ العالمين، وممّا لا شك فيه أنّها تعلّمت في دار أبويها ما لم تتعلّمه طفلة غيرها

في مكة[١].

لقد سمعت القرآن الكريم من النبيّ المصطفىٰ وسمعته من عليّ المرتضىٰ، وصلّت به وعبدت به ربّها بعد أن وعت أحكامه وفرائضه وسننه وعياً لم يحصل عليه غيرها من ذوي الشرف والمكرمات.

ونشأت الزهراء نشأة إيمان ويقين ، نشأة وفاء وإخلاص وزهد ، وعلمت مع السنين أنّها سليلة شرف لا منازع لها فيه من واحدة من بنات حوّاء، فوثقت بكفاية هذه الشرف الذي لا يُدانىٰ، وشبّت بين انطوائها على نفسها واكتفائها بشرفها في دار الرسالة وعهد الايمان.

لقد نشأت الزهراء وهي تحذو حذو أبيها في كلّ كمال، حتى قالت عنها عائشة: ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله (ﷺ) من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبّلها ورحّب بها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت اليه ورحّبت به وأخذت بيده فقبّلتها[٢].

ومن هنا نعرف السرّ أيضاً في ما صرّحت به عائشة من أنّها لم تجد في الأرض امرأة كانت أحبّ الى رسول الله (ﷺ) من فاطمة ، وقد علّلت هي ذلك بقولها: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً من فاطمة إلّا أن يكون الذي ولّدها (ﷺ)[٣].

وهكذا صارت الزهراء البتول صورة الأُنوثة الكاملة التي يتخشّع بتقديسها المؤمنون.

---

(١) أهل البيت لتوفيق أبو علم : ١١٦.

(٢) أهل البيت لتوفيق أبو علم : ١١٦ .

(٣) المصدر نفسه .

١ ـ علمها ومعرفتها:

لم تكتفِ الزهراء فاطمة (عليها السلام) بما هيّأ لها بيت الوحي من معارف وعلوم، ولم تقتصر على الاستنارة العلمية التي كانت تُهيئها لها شموس العلم والمعرفة المحيطة بها من كلّ جانب.

لقد كانت تحاول في لقاءاتها مع أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبعلها باب مدينة علم النبي أن تكتسبَ من العلوم ما استطاعت، كما كانت ترسل ولديها الحسن والحسين إلى مجلس الرسول (صلى الله عليه وآله) بشكل مستمر ثم تستنطقهما بعد العودة اليها، وهكذا كانت تحرص على طلب العلم كما كانت تحرص على تربية ولديها تربيةً فُضلى، ولقد كانت تبذل ما تكتسبه من العلوم لسائر نساء المسلمين بالرغم من كثرة واجباتها البيتية.

إنّ هذا الجهد المتواصل لها في طلب العلم ونشره قد جعلها من كبريات رواة الحديث ومن حملة السُنّة المطهرة، حتى أصبح كتابها الكبير الذي كانت تعتزّ به أشدّ الاعتزاز يُعرف باسم «مصحف فاطمة» وانتقل إلى أبنائها الأئمة المعصومين يتوارثونه كابراً عن كابر، كما سوف تلاحظه بالتفصيل في باب تراثها سلام الله عليها.

ويكفيك دليلاً على ذلك وعلى سموّها فكراً وكمالها علماً ما جادت به قريحتها من خطبتين[1] ألقتهما بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) احداهما بحضور كبار الصحابة في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) والأُخرىٰ في بيتها، وقد تضمّنتا صوراً رائعةً من عمق فكرها وأصالته واتّساع ثقافتها وقوّة منطقها وصدق نبوءاتها فيما ستنتهي اليه الأُمّة بعد انحراف القيادة، هذا فضلاً عن رفعة أدبها وعظيم

(١) راجع الخطبتين فيما سيأتي من أحداث حياتها بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله) من هذا الكتاب.

جهادها في ذات الله وفي سبيل الحقّ تعالىٰ.

لقد كانت الزهراء (عليها السلام) من أهل بيتٍ اتقوا الله وعلّمهم الله ـ كما صرح بذلك الذكر الحكيم ـ وهكذا فطمها الله بالعلم فسمّيت فاطمة، وانقطعت عن النظير فسمّيت بالبتول.

٢ ـ مكارم أخلاقها :

كانت فاطمة (عليها السلام): «كريمة الخليقة، شريفة الملكة، نبيلة النفس، جليلة الحس، سريعة الفهم، مرهفة الذهن، جزلة المروءة، غـزاء المكـارم، فـيّاحة نفّاحة، جريئة الصدر، رابطة الجأش، حميّة الأنف، نائية عن مذاهب العجب، لا يحدّدها مادّيّ الخيلاء، ولا يثني أعطافها الزهوو الكبرياء»(١).

لقد كانت سبطة الخليقة في سماحة وهوادة إلى رحابة صدر وسعة أناة في وقار وسكينة ورفق ورزانة وركانة ورصانة وعفة وصيانة.

عاشت قبل وفاة أبيها متهلّلة العزة وضّاحة المحيّا حسنة البشر باسمة الثغر، ولم تغرب بسمتها إلّا منذ وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله).

كانت لا يجري لسانها بغير الحقّ ولا تنطق إلّا بالصدق، لا تذكر أحداً بسوء، فلا غيبة ولا نميمة، ولا همز ولا لمز، تـحفظ السـرّ وتـفي بـالوعد، وتصدق النصح وتقبل العذر وتتجاوز عن الإساءة، فكثيراً ما أقالت العـثرة وتلقّت الإساءة بالحلم والصفح.

«لقد كانت عزوفة عن الشرّ، ميّالة إلى الخير، أمينة، صدوقة في قولها، صادقة في نيّتها ووفائها، وكانت في الذروة العالية من العفاف، طاهرة الذيل

---

(١) أهل البيت : ١٣٢ ـ ١٣٤.

عفيفة الطرف، لا يميل بها هواها، إذ هي من آل بيت النبيّ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وكانت إذا ما كلّمت إنساناً أو خطبت في الرجال يكون بينها وبينهم ستر يحجبها عنهم عفةً وصيانة.

ومن عجيب صونها أنّها استقبحت بعد الوفاة ما يصنع بالنساء من أن يطرح على المرأة الثوب فيصفها[1].

وكانت الزهراء (عليها السلام) زاهدةً قنوعة، موقنة بأنّ الحرص يفرّق القلب ويشتّت الأمر، مستمسكة بما قاله لها أبوها: **«يا فاطمة! اصبري على مرارة الدنيا لتفوزي بنعيم الأبد»** فكانت راضية باليسير من العيش، صابرة على شظف الحياة، قانعة بالقليل من الحلال، راضيةً مرضيّة، لا تطمح إلى ما لغيرها، ولا تستشرف ببصرها إلى ما ليس من حقّها، وما كانت تتنزّل إلى سؤال غير الله تعالى، فهي رمز لغنى النفس، كما قال أبوها (صلى الله عليه وآله): **«إنّما الغنى غنى النفس»**.

إنّها السيّدة البتول التي انقطعت إلى الله تعالى عن دنياها وعزفت عن زخارفها وصدفت عن غرورها وعرفت آفاتها، وصبرت على أداء مسؤولياتها وهي تعاني شظف العيش ولسانها رطب بذكر مولاها.

لقد كان همّ الزهراء الآخرة، فلم تحفل بمباهج الدنيا وهي ترى إعراض أبيها (صلى الله عليه وآله) عن الدنيا وما فيها من متع ولذائذ وشهوات.

وعرف عنها صبرها على البلاء وشكرها عند الرخاء ورضاها بواقع القضاء، وقد روت عن أبيها (صلى الله عليه وآله): **«إنّ الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه وإن**

---

(١) أهل البيت: ١٣٢ ـ ١٣٤.

رضي اصطفاه»[١].

٣ ـ جودها وإيثارها :

وكانت على هدي أبيها في جوده وسخائه، وقد سمعته يقول: **«السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد عن النار، وأنّ الله سبحانه جواد يحبّ الجواد»** وكان الإيثار من شعار المصطفى (ﷺ) حتى قالت بعض زوجاته: ما شبع ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، وكان يقول (ﷺ) : **«ولو شئنا لشبعنا ولكنّا نؤثر على أنفسنا»**[٢]، وكانت الزهراء خير من يؤثر على نفسه اقتداءً بأبيها حتى عُرف عنها ايثارها بقميص عرسها ليلة زفافها سلام الله عليها، وكفى بما أوردناه في سورة الدهر شاهداً على عظيم ايثارها وجميل سخائها.

وروي عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه قال: صلّى بنا رسول الله (ﷺ) صلاة العصر، فلمّا انفتل جلس في قبلته والناس حوله، فبينا هم كذلك إذ أقبل شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل[٣] قد تهلّل وأخلق، ولا يكاد يتمالك كبراً وضعفاً، فأقبل عليه رسول الله (ﷺ) يستحثّه الخبر، فقال الشيخ: يا نبيّ الله، أنا جائع الكبد فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني، وفقير فأرشني، فقال (ﷺ): **«ما أجد لك شيئاً، ولكنّ الدالّ على الخير كفاعله، إنطلق إلى منزل من يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يؤثر الله على نفسه، انطلق إلى حجرة فاطمة»**. (وكان بيتها ملاصقاً لبيت رسول الله (ﷺ) الذي ينفرد به لنفسه من

---

(١) أهل البيت : ١٣٧.

(٢) أهل البيت : ١٣٨ .

(٣) السمل : الثَوْبُ الخَلِق ، وتهلّل الثوب : انخراقه .

أزواجه) وقال: «**يا بلال قم فقف به على منزل فاطمة**».

فانطلق الأعرابي مع بلال، فلمّا وقف على باب فاطمة؛ نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، ومختلف الملائكة، ومهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند ربّ العالمين، فقالت فاطمة: «**عليك السلام، فمن أنت يا هذا؟**» قال: شيخ من العرب أقبلت على أبيك السيد البشير من شقّة، وأنا يا بنت محمد (صلى الله عليه وآله) عاري الجسد جائع الكبد فواسيني يرحمكِ الله.

وكان لفاطمة وعليّ ورسول الله (صلى الله عليه وآله) ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك من شأنهما، فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين، فقالت: «**خذ أيّها الطارق، فعسى الله أن يختار لك ما هو خير فيه**»، قال الأعرابي: يا بنت محمد، شكوت اليك الجوع فناولتني جلد كبش ما أصنع به مع ما أجد من السغب؟

قال: فعمدت لمّا سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبد المطلب، فقطعته من عنقها ونبذته الى الأعرابي وقالت: «**خذ وبعه، فعسى الله أن يعوضك به ما هو خير منه**».

فأخذ الأعرابي العقد وانطلق إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والنبيّ جالس في أصحابه فقال: يا رسول الله، أعطتني فاطمة هذا العقد، فقالت: « **بعه** ».

قال فبكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: «**كيف لا يعوّضك به ما هو خير منه ؟! وقد أعطتك فاطمة (عليها السلام) بنت محمد سيّدة بنات آدم**».

فقام عمار بن ياسر (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله، أتأذن لي بشراء هذا العقد؟ قال: «**اشتره يا عمار، فلو اشترك فيه الثقلان ما عذّبهم الله بالنار**»، فقال عمار: بكم العقد يا أعرابي؟ قال: بشبعة من الخبز واللحم وبردة يمانية أستر بها عورتي وأُصلي بها لربّي ودينار يبلغني أهلي ..

وكان عمار قد باع سهمه الذي نفله رسول الله(ﷺ) من خيبر ولم يبق معه شيئاً، فقال: لك عشرون ديناراً ومئتا درهم هجرية وبردة يمانية وراحلتي تبلغك أهلك، وشبعك من خبز البرّ واللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال يا رجل! وانطلق به عمّار فوفاه فأضمن له، وعاد الأعرابي إلى رسول الله (ﷺ) فقال له رسول الله (ﷺ): **«أشبعت واكتسيت ؟»** قال الأعرابي: نعم، واستغنيت بأبي أنت وأُمي قال: **«فأجز فاطمة بصنيعها»** فقال الأعرابي: اللهمّ إنّك إله ما استحدثناك ولا إله لنا نعبده سواك، وأنت رازقنا على كلّ الجهات، اللهمّ أعطِ فاطمة ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت.

فأمّن النبي على دعائه وأقبل على أصحابه، فقال: **«إنّ الله قد أعطى فاطمة في الدنيا ذلك، أنا أبوها ولا أحد من العالمين مثلي، وعليّ بعلها ولولا عليّ؛ لماكان لفاطمة كفؤ أبداً، وأعطاها الحسن والحسين وما للعالمين مثلهما سيدا شباب أسباط الأنبياء وسيدا شباب أهل الجنة»**.

وكان بإزائه مقداد وعمار وسلمان. فقال: « وأزيدكم ؟ »، قالوا: نعم يا رسول الله، قال (ﷺ): **«أتاني الروح - يعني جبرئيل - أنّها إذا هي قُبضت ودفنت يسألها الملكان في قبرها: من ربّك؟ فتقول: الله ربّي، فيقولان فمن نبيّك؟ فتقول: أبي، فمن وليّكِ؟ فتقول: هذا القائم على شفير قبري ألا وأزيدكم من فضلها؟ إنّ الله قد وكّل بها رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها، وهم معها في حياتها وعند قبرها وعند موتها، يكثرون الصلاة عليها وعلى أبيها وعلى بعلها وبنيها، فمن زارني بعد وفاتي فكأنّما زارني في حياتي، ومن زار فاطمة فكأنّما زارني، ومن زار علي بن أبي طالب فكأنّما زار فاطمة، ومن زار الحسن والحسين فكأنّما زار عليّاً، ومن زار ذريّتهما فكأنّما زارهما»**.

فعمد عمار إلىٰ العقد فطيّبه بالمسك، ولفّه في بردة يمانية، وكان له عبد اسمه (سهم) ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخيبر، فدفع العقد إلى المملوك وقال له: خذ هذا العقد وادفعه لرسول الله وأنت له، فأخذ المملوك العقد فأتىٰ به رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره بقول عمار، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «**انطلق الىٰ فاطمة فادفع اليها العقد وأنت لها**»، فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخذت فاطمة(عليها السلام) العقد وأعتقت المملوك فضحك الغلام، فقالت: «**ما يضحكك يا غلام؟**»، قال: أضحكني عظم بركة هذا العقد، أشبع جائعاً وكسىٰ عرياناً وأغنىٰ فقيراً وأعتق عبداً ورجع إلىٰ ربّه[1].

٤ ـ ايمانها وتعبّدها لله :

الايمان بالله قيمة الإنسان الكامل، والتعبّد لله سلّم الوصول إلى قمم الكمال ، وقد حاز الأنبياء والأولياء على مقاعد الصدق في دار الكرامة بما اشتملوا عليه من درجات الايمان وبما اجتهدوا في الدنيا وأخلصوا فيه من العبادة لله سبحانه .

وقد شهد القرآن الكريم ـ كما لاحظنا في سورة الدهر ـ على كمال إخلاصها وخشيتها لله سبحانه وعظيم إيمانها به وباليوم الآخر، وشهد الرسول (صلى الله عليه وآله) لها قائلاً : « **إنّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً إلى مشاشها ففرغت لطاعة الله** »[2] وأخبر عن عبادتها « **أنّها متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض ، ويقول الله عزّوجل لملائكته : يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيّدة إمائي قائمة بين يديّ ترتعد**

(١) بحار الأنوار : ٤٣ / ٥٦ ـ ٥٨ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٣ / ٤٦، المشاش: رأس العظم الليّن .

فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها على عبادتي ، أُشهدكم أني قد أمّنت شيعتها من النار »[١] .

وقال الحسن بن علي (عليه السلام) : «رأيت أُمي فاطمة (عليها السلام) قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعةً ساجدةً حتى اتّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء ، فقلت لها : يا أُمّاه! لمَ لا تدعينَ لنفسكِ كما تدعين لغيرك ؟ فقالت : يا بُنيَّ الجار ثم الدار»[٢] .

وكانت تخصّص الساعات الأخيرة من نهار الجمعة للدعاء ،كما كانت لا تنام الليل في العشر الأخير من شهر رمضان المبارك وكانت تحرّض جميع من في بيتها بإحياء الليل بالعبادة والدعاء .

وقال الحسن البصري : ما كان في هذه الأُمّة أعبد من فاطمة ،كانت تقوم حتى تورّمت قدماها[٣] . وكانت تنهج في صلاتها من خوف الله تعالى[٤] .

وهل خرجت فاطمة في حياتها كلّها عن المحراب ؟ وهل كانت حياتها كلّها إلّا السجود الدائم ؟ فهي في البيت تعبد الله في حسن التبعّل وفي تربية أولادها، وهي في قيامها بالخدمات العامة كانت تطيع الله وتعبده أيضاً، كما أنّها في مواساتها للفقراء كانت تقوم بعبادة الله بنفسها وبأهل بيتها مؤثرة على نفسها.

---

(١) أمالي الصدوق ، المجلس : ٢٤ / ١٠٠ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٣ / ٨١ـ ٨٢.

(٣) بحار الأنوار : ٤٣ / ٨٤ .

(٤) إعلام الدين : ٢٤٧، وعدة الداعي : ١٥١ .

٥ ـ حنوّها وشفقتها :

« لمست الزهراء (عليها السلام) من أبيها حبّه ومودّته وحنوّه وشفقته فكانت نعم البرّة به (صلى الله عليه وآله) ، أخلصت له في حبّها وولائها وحنوّها ووفائها له ، فآثرته على نفسها ، وكانت تتولّى تدبير بيت أبيها (صلى الله عليه وآله) وتقوم بإدارته ، فتنجز ما يصلحه وتبعث فيه الهدوء والراحة له ، وكانت تسارع إلى كلّ ما يرضي أباها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، تسكب له الماء ليغتسل وتهيّئ له طعامه وتغسل ثيابه ، فضلاً عن اشتراكها مع النساء في الغزو لحمل الطعام والشراب وسقاية الجرحىٰ ومداواتهم، وفي غزوة أُحد هي التي داوت جراح أبيها حينما رأت أنّ الدم لا ينقطع، فأخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ذرّته على الجرح فاستمسك الدم .. وجاءته في حفر الخندق بكسرةٍ من خبز فرفعتها اليه فقال: **ما هذه يا فاطمة ؟** قالت : **من قرص اختبزته لابنيّ جئتك منه بهذه الكسرة** ، فقال: **«يا بُنيّة : أما إنّها لأوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام »**(١) .

وقد استطاعت الزهراء أن تسدّ الفراغ العاطفي الذي كان يعيشه الرسول(صلى الله عليه وآله) بعد أن فقد أبويه في أول حياته وفقد زوجته الكريمة خديجة الكبرىٰ في أقسىٰ ظروف الدعوة والجهاد في سبيل الله .

إنّ مواقف الأُمومة التي صدرت عن الزهراء بالنسبة لأبيها وحدّثنا التاريخ عن نتفٍ منها تؤكّد نجاح فاطمة في هذه المحاولة التي أعادت إلى النبي (صلى الله عليه وآله) المصدر العاطفي الذي ساعده دون شك في تحمّل الأعباء الرسالية الكبرىٰ ، ومن هنا قد نفهم السرّ في ما تكرّر على لسانه (صلى الله عليه وآله) من أنّ **« فاطمة أُم أبيها »**(٢) .

---

(١) راجع أهل البيت لتوفيق أبو علم : ١٤١ ـ ١٤٢ .

(٢) راجع أسد الغابة : ٥ / ٥٢٠، والاستيعاب : ٤ / ٣٨٠ .

إذ نرىٰ أنّه كان يعاملها معاملة الأُم فيقبّل يدها ، ويبدأ بزيارتها عند عودته إلى المدينة ،كما يودّعها وينطلق من عندها في كلّ رحلاته وغزواته، كان يتزوّد من هذا المنبع الصافي عاطفةً لسفره ورحلته ،كما نلاحظ في سيرته كثرة دخوله عليها في حالات تعبه وآلامه أو حال جوعه أو حال دخول ضيف عليه ، ثم تقابله فاطمة (ﷺ) كما تقابل الأُم ولدها فترعاه وتحتضنه وتخفّف آلامه كما تخدمه وتطيعه .

٦ ـ جهادها المتواصل :

ولدت فاطمة في حدّة الصراع بين الإسلام والجاهلية، وفتحت عينيها والمسلمون في ضراوة الجهاد مع الوثنية الجائرة، لقد فرضت قريش الحصار على رسول الله (ﷺ) وبني هاشم جميعاً، فدخل الرسول مع زوجته المجاهدة وابنته الطاهرة الشعب، وحاصرتهم ثلاث سنين وأذاقتهم فيها ألوان الحرمان، وهكذا عايشت الزهراء هذا الحصار القاسي وذاقت في طفولتها مرارة الحرمان وشظف العيش دفاعاً عن الحق وتضحيةً من أجل المبدأ .

ومرّت سنون الحصار صعبةً ثقيلةً، وخرج رسول الله منها منتصراً، وشاء الله أن يختار خديجة لجواره في ذلك العام ويتوفىٰ أبا طالب عمّ الرسول وحامي الدعوة وناصر الإسلام، ويأخذ الحزن والأسىٰ من قلب الرسول(ﷺ) مأخذه بعد أن فقد أحبّ الناس إلى قلبه وأعزهم عليه .

وهكذا رزئت فاطمة وهي لم تشبع بعد من حنان الأُمومة ، وشاطرت أباها المأساة والألم بالرغم من أنّها قد فقدت مصدر الحنان الثر ، ولقد صبّت قريش كلّ حقدها وأذاها على الرسول بعد وفاة عمّه وحاميه والزهراء ترى بأُمّ عينيها ما يقوم به سفهاء قريش وطغاتهم من انتقاص الرسول وايذائه وهو

يريد إخراجهم من الظلمات إلى النور، وكان الرسول يحاول أن يخفّف عنها عبء الألم ويحثّها على التجلّد قائلاً: «**لا تبكي يا بنيّة، فإنّ الله مانع أباك وناصره على أعداء دينه ورسالته**»[1]، وهكذا يزرع الرسول في نفس ابنته روحاً جهاديةً عاليةً ويملأ قلبها بالصبر والثقة بالنصر.

وهاجرت الزهراء بعد هجرة أبيها إلى المدينة في جوّ مكة المرعب مع ابن عمّها عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) الذي كان مستهيناً بكبرياء قريش وغرورها، ليلتحق بالرسول (صلى الله عليه وآله) في «قباء» بعد أن تورّمت قدماه من مواصلة السير على قدميه.

وانتقلت الزهراء إلى بيت زوجها المتواضع في المدينة بعد أن أرسى أبوها دعائم دولته المباركة، وشاركته في جهاده صابرةً على قساوة الحياة ومصاعب الجهاد في سبيل الله، وهي تحاول أن تقدّم صورة الحياة العائلية الفريدة، ولعبت الزهراء دوراً بارزاً وشاقاً في نصرة الحقّ والدفاع عن وصيّة الرسول (صلى الله عليه وآله) حينما وقفت موقفاً لا مثيل له إلى جانب عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في أحرج أيّام حياته مؤكّدةً أنّ الجبهة الداخلية في حياة عليّ صامدة لا تشعر بالضعف، ولكنها تترك تقدير الظروف وانتخاب الموقف لقائدها وزوجها الإمام، يقرّر ويصمّم ويأمر فيطاع.

لقد كانت الزهراء تأتي قبور الشهداء كلّ غداة سبت وتترحم عليهم وتستغفر لهم، وهذه البداية لأعمال الأُسبوع تفصح عن مدى تقدير فاطمة للجهاد وللشهادة، وتعبّر بوضوح عن حياتها العمليّة التي تبدأ بالجهاد وتستند على الجهاد والتضحية إلى درجة الاستشهاد[2].

---

(١) سيرة المصطفى: ٢٠٥، وراجع تاريخ الطبري: ١ / ٤٢٦ (طبع دار الفكر - بيروت).

(٢) من مقدمة (فاطمة الزهراء وترفي غمد)، للسيّد موسى الصدر.

الباب الثاني

فيه فصول :

الفصل الأول :

نشأة الزهراء فاطمة (عليها السلام)

الفصل الثاني :

مراحل حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

الفصل الثالث :

الزهراء (عليها السلام) مع أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله)

الفصل الأوّل

نشأة الزهراء فاطمة (عليها السلام)

١ ـ شخصية السيّدة خديجة «أمّ فاطمة» (عليها السلام) :

ولدت السيدة خديجة بنت خويلد زوجة النبيّ الأُولىٰ من أبوين قرشيين كلاهما من أعرق الأُسر في الجزيرة العربية، وقد اجتمع لها بالإضافة إلىٰ هذا النسب الرفيع، الذكر الطيب والخلق الكريم والصفات الفاضلة، وبلغ من علوّ شأنها أنّها كانت قبل أن تتزوج بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) تُعرف بالطاهرة وبسيّدة نساء قريش، وهي مع ذلك من أثرياء قريش وأوسعهم جاهاً ومفطورة علىٰ التدين بعاملي الوراثة والتربية ، فأبوها خويلد هو الذي نازع (تُبّعاً الآخر) ملك اليمن حين أراد أن يحمل الحجر الأسود معه إلىٰ اليمن، فتصدّىٰ له ولم ترهبه قوّته وكثرة أنصاره حرصاً منه علىٰ هذا النسك من مناسك دينه[1] .

وأسد بن عبد العزىٰ ـ جدّ السيّدة خديجة ـ كان من المبرّزين في حلف الفضول الذي تداعت له قبائل من قريش ، فتعاقدوا وتعاهدوا علىٰ أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو غيرهم ممّن دخلها من سائر الناس إلّا قاموا معه وكانوا علىٰ من ظلمه حتىٰ تُرد مظلمته ، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « لقد

---

(١) سيرة الأئمة الإثني عشر ، للسيد هاشم معروف الحسني : ١ / ٤٢ .

شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحبّ أنّ لي به حمر النعم ، ولو أُدعىٰ به في الإسلام لأجبت »[١] .

وابن عمّها ورقة بن نوفل كان يعكف علىٰ دراسة كتب النصارىٰ واليهود، ويعمل بما يستحسنه منهما، لا لأنه كان يعاشر النصارىٰ واليهود، ولا لأنّ مكة كانت مقراً لهما، بل لأنّه كان يسخر من عبادة الأصنام والتماثيل ويبحث عن دين يطمئن اليه[٢] .

إذن كانت السيدة خديجة من أُسرة عريقة معروفة بالعلم والديانة، وكان ذووها علىٰ الحنيفيّة دين إبراهيم (عليه السلام) ، وممّن ينتظرون ظهور دين الحقّ في بلاد الجزيرة العربية[٣].

نشاطها التجاري :

خطب أشراف قريش السيدة خديجة وقدّموا لها العروض المغرية فلم تستجب لأحد منهم[٤] ، وظلّت تعيش بعيدةً عن الرجال ومشاكلهم طيبة النفس مرتاحة الضمير، لأنّ أكثر الخاطبين كانوا يضعون في حساباتهم ثروتها الواسعة حتىٰ بلغت الأربعين من عمرها .

كانت في يدي السيّدة خديجة أموالٌ طائلة، ولكنّها لم تترك هذه

(١) سيرة ابن هشام : ١ / ١٣٤ ط دار المعرفة ـ بيروت .

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر : ١ / ٤٢ .

(٣ و ٤) ومن هنا يظهر أنّها لم تتزوّج أحداً قبل الرسول (صلى الله عليه وآله) فضلاً عن أن تكون قد تزوجت بزوجين مشركين وفاقدين لأيّ مكانة بين الناس ، ويؤيد ذلك ما جاء به البلاذري في أنساب الاشراف وأبو القاسم الكوفي في الاستغاثة وغيرهما . راجع الصحيح من السيرة للعاملي وكامل بهائي لعماد الدين طبري ومناقب ابن شهر آشوب.

وعن ابن عباس أنّ عمرها حين الاقتران بالرسول (صلى الله عليه وآله) كان ٢٨ عاماً . راجع شذرات الذهب : ١ / ١٤، وأنساب الأشراف : ١ / ٩٨ .

الأموال راكدةً ولم ترابِ بها في زمان كان الربا رائجاً ، وإنّما استثمرت هذه الأموال في التجارة واستخدمت رجالاً صالحين لهذا الغرض ، واستطاعت أن تكسب عن طريق التجارة ثروة ضخمة .

ويروي المحدّثون أنّ السيّدة خديجة كانت ترسل في تجارتها إلىٰ الشام جماعة بأجر معين ، وقبيل زواجها بالنبيّ أرسلت اليه ليذهب في تجارتها وبذلت له ضعفي ما كانت تبذله لغيره لأنّه كان حديث الناس رجالاً ونساءً في أمانته وصدقه واستقامته ، فوافق علىٰ طلبها بعد أن استشار عمّه أبا طالب ، وأرسلت معه غلامها ميسرة لخدمة القافلة ورعايتها ، وكانت الرحلة ناجحة وموفّقة بشكل لم تُوفّق له رحلة قبلها ، وأسرع ميسرة قبل دخول القافلة مشارف مكة ليخبر خديجة بما جرىٰ وما حدث لمحمد (صلى الله عليه وآله) في طريقه مع بحيرا الراهب وغيره .

ومن نبوغ وحدّة ذكاء السيّدة خديجة ونظرتها البعيدة أنّها أدركت عظمة شخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وسموّ أخلاقه قبل تكليفه برسالة السماء، فاختارته زوجاً لها من دون الرجال والشخصيات المرموقة الذين تقدّموا لخطبتها، بل إنّها هي التي تقدّمت وعرضت نفسها ورغبت في الاقتران به ، علىٰ رغم البون الشاسع بين حياتها المادية وحياته البسيطة .

وجاء في تاريخ اليعقوبي عن عمار بن ياسر أنّه قال : أنا أعلم الناس بزواج خديجة بنت خويلد من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، لقد كنت صديقاً له وإنّا لنمشي يوماً بين الصفا والمروة وإذا بخديجة وأُختها هالة معها، فلمّا رأت رسول الله (صلى الله عليه وآله) جاءتني أُختها هالة وقالت : يا عمار! ما لصاحبك رغبة في خديجة ؟ فقلت لها : والله لا أدري ، فرجعتُ اليه وذكرت ذلك له ، فقال لي : إرجع فواضعها وعدها يوماً نأتيها فيه ، فلمّا كان ذلك اليوم أرسلت إلىٰ عمّها

عمرو بن أسد ودهنت لحيته وألقت عليه حبراً ، ثم حضر رسول الله(ﷺ) في نفر من أعمامه يتقدّمهم أبو طالب، فخطب في الحاضرين، وتمّ الزواج بينهما .

وأضاف عمّار : أنها لم تستأجره في تجارتها ولم يكن أجيراً لأحد أبداً[1] .

٢ ـ زواج النبي (ﷺ) بخديجة :

ولد محمّد (ﷺ) في بيت من أرفع بيوت العرب شأناً وأعلاها مجداً وأكثرها عزّةً ومنعةً ، فنمى وترعرع وشبّ ، وشبّت معه آمال الحياة كلّها ، وقد شاء الله أن يربّي محمّداً (ﷺ) ويعدّه ويؤهّله لحمل الرسالة والاضطلاع بتبليغ الأمانة ، فأحاطه برعايةٍ خاصّةٍ رسمت حياته وفق قدر ربّاني متناسب مع ما ينتظره من عظم المسؤولية في حمل آخر رسالة عالمية إلهية .

وحين بلغ محمّد (ﷺ) سن الخامسة والعشرين من عمره الشريف كان لا بدّ له من الاقتران بامرأة تناسب إنسانيته وتتجاوب مع عظيم أهدافه وترتفع إلىٰ مستوىٰ حياته بما ينتظرها من جهاد وبذل وصبر ، لقد كان بإمكان محمد (ﷺ) وهو بهذه المؤهلات الراقية أن يتزوج من أية فتاة أرادها من بني هاشم ، ولكن مشيئة الله شاءت أن يتّجه قلب خديجة نحوه صلوات الله عليه ، ويتعلّق قلبها بشخصه الكريم فيقبل(ﷺ) ذلك الطلب ويقترن بخديجة .

لقد أعطت خديجة زوجها حبّاً وهي لا تشعر بأنّها تعطي . بل تأخذ

(١) أورد حديث زواجه منها علىٰ هذا النحو ابن كثير في تأريخه البداية والنهاية: ٢ / ٣٦١ بعد أن أورد الصورة الأولىٰ الشائعة بين المحدّثين .

منه حبّاً فيه كلّ السعادة ، وأعطته ثروة وهي لا تشعر بأنّها تعطي ، بل تأخذ منه هداية تفوق كنوز الأرض، وهو بدوره أعطاها حبّاً وتقديراً رفعاها إلىٰ أعلىٰ مرتبة وهو لا يشعر بأنّه قد أعطاها ، بل قال : ما قام الإسلام إلّا بسيف عليّ ومال خديجة ، ولم يتزوّج بغيرها حتىٰ توفّيت وهو لا يشعر بأنّه أعطاها .

وقصة زواج خديجة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعدّ منعطفاً مهماً ومن النقاط اللامعة في حياتها. فقد كانت لها روح الاستقلال والاعتماد علىٰ النفس والحرية بشكل واضح ، وكانت تمارس التجارة كأفضل الرجال عقلاً ورشداً. ورفضت الزواج من الأشراف والأثرياء الذين تقدّموا اليها، ورضيت باندفاع للزواج من محمد (صلى الله عليه وآله) الفقير اليتيم ، بل تقدمت بشوق لتقترح علىٰ محمد (صلى الله عليه وآله) الزواج منها، وأن يكون المهر من أموالها ، فلمّا أراد الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يتزوّج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتىٰ دخل علىٰ عمّ خديجة، فابتدأ أبو طالب بالكلام قائلاً :

« الحمد لربّ هذا البيت الذي جعلنا زرع إبراهيم وذرّية اسماعيل ، وأنزلنا حرماً آمناً وجعلنا الحكام علىٰ الناس ، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، ثمّ إنّ ابن أخي ـ يعني محمداً (صلى الله عليه وآله) ـ ممن لا يوزن برجل من قريش إلّا رجح به ، ولا يقاس به رجل إلّا عظم عنه ، ولا عدل له في الخلق وإن كان مقلاً في المال فإنّ المال رفد جار وظلّ زائل ، وله في خديجة رغبة ، وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها ، والمهر عليّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله ، وله وربّ هذا البيت حظّ عظيم ودين شائع ورأي كامل » .

ثم سكت أبو طالب ، فتكلّم عمّها وتلجلج وقصر عن جواب أبي

طالب وأدركه القطع والبهر وكان رجلاً عالماً ، فتداركت خديجة الموقف وزوّجت نفسها من محمّد (ﷺ)(١) .

ويروىٰ أنّ خديجة وكّلت ابن عمّها ورقة في أمرها ، فلمّا عاد ورقة إلىٰ منزل خديجة بالبشرىٰ وهو فرح مسرور نظرت اليه فقالت : مرحباً وأهلاً بك يا ابن عمّ ، لعلك قضيت الحاجة ، قال : نعم يا خديجة يهنئك ، وقد رجعت أحكامك إليّ وأنا وكيلك ، وفي غداة غد أُزوجك إن شاء الله تعالىٰ بمحمّد (ﷺ)(٢) .

ولمّا خطب أبو طالب (ع) الخطبة المعروفة وعقد النكاح قام محمّد (ﷺ) ليذهب مع أبي طالب، فقالت خديجة : إلىٰ بيتك ، فبيتي بيتك وأنا جاريتك(٣) .

وبعد أن تمّ الزواج المبارك انتقل رسول الله (ﷺ) إلىٰ دار خديجة، تلك الدار التي ظلّت معلماً شاخصاً ولساناً ناطقاً يحكي أحداث الدعوة والجهاد وصبر رسول الله (ﷺ) ومعاناته .

مكانة خديجة (رضي الله عنها) **لدىٰ النبيّ** (ﷺ) :

اجتمع شمل محمّد (ﷺ) وخديجة وتأسست الأُسرة وبُني البيت الذي يغمره الحبّ والسعادة والحنان والدفء العائلي والانسجام ، فقد كانت أول من آمن بدعوة الرسول الأكرم (ﷺ) من النساء، وبذلت كلّ ما بوسعها من أجل أهدافه المقدسة ، وجعلت ثروتها بين يدي الرسول (ﷺ) وقالت :

---

(١) بحار الأنوار : ١٦ / ١٤ ، وراجع تذكرة الخواص : ٣٠٢ .

(٢) بحار الأنوار : ١٦ / ٦٥ .

(٣) بحار الأنوار : ١٦ / ٤.

جميع ما أملك بين يديك وفي حكمك ، اصرفه كيف تشاء في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر دينه .

وتحمّلت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) عذاب قريش ومقاطعتها وحصارها ، وكان هذا الإخلاص الفريد والايمان الصادق والحبّ المخلص من خديجة حريّاً أن يقابله رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما يستحقّ من الحبّ والإخلاص والتكريم، وبلغ من حبّه لها وعظيم مكانتها في نفسه الطاهرة أنّ هذا الحب والوفاء لم يفارق رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتىٰ بعد موتها ، ولم تستطع أيّ من زوجاته أن تحتل مكانها في نفسه ، حتى قال الرسول (صلى الله عليه وآله) : **وخير نساء اُمتي خديجة بنت خويلد ...**[1] .

وعن عائشة أنّها قالت :كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا ذكر خديجة لم يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها، فذكرها ذات يوم فحملتني الغيرة فقلت : وهل كانت إلّا عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها ؟ قالت : فغضب حتىٰ اهتز مقدّم شعره وقال : « **والله ما أخلف لي خيراً منها ، لقد آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدّقتني إذ كذّبني الناس وأنفقتني مالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله أولادها إذ حرمني أولاد النساء** » . قالت : فقلت في نفسي : والله لا أذكرها بسوء أبداً[2] .

وفي رواية : أنّ جبرئيل (عليه السلام) أتىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال : « **يا محمد! هذه خديجة قد أتتك فاقرأها السلام من ربّها ، وبشّرها ببيت في الجنة من قصب، لاصخب فيه ولا نصب** »[3] .

وكان (صلى الله عليه وآله) يحترم صديقاتها إكراماً وتقديراً لها،كما جاء عن أنس أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان إذا اُتي بهدية قال : «**إذهبوا إلى بيت فلانة فإنّها كانت صديقة**

---

(١) تذكرة الخواص : ٣٠٢ (طبعة النجف) ، وراجع مسند الإمام أحمد : ١ / ١٤٣ .

(٢) تذكرة الخواص : ٣٠٣ .

(٣) المصدر السابق : ٣٠٢ .

لخديجة ، إنّها كانت تحبّها»(١) .

وروي عنه (ﷺ) أنّه كان إذا ذبح الشاة يقول : **«أرسلوا إلى أصدقاء خديجة»**، فتسأله عائشة في ذلك فيقول : **«إنّي لأُحب حبيبها»** .

وروي أنّ امرأة جاءته (ﷺ) وهو في حجرة عائشة فاستقبلها واحتفى بها ، وأسرع في قضاء حاجتها ، فتعجبت عائشة من ذلك، فقال لها رسول الله (ﷺ) : **«إنّها كانت تأتينا في حياة خديجة»** .

إنّ خديجة لَتستحق كلّ هذا التقدير والاحترام من رسول الله (ﷺ) بعد أن بلغت المقام السامي والدرجة العالية عند الله حتى حباها ربّ العالمين بالدرجة الرفيعة في الجنة، وقد أوضح رسول الله مكانتها في الجنة بقوله (ﷺ) : **«أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم إمرأة فرعون»**(٢) .

وكانت خديجة تؤازره على أمره في تبليغ الدعوة، فخفّف الله عن رسوله (ﷺ) بمؤازرتها، فكانت تسرّه وتروّح عنه عندما كان يجد قسوة وغلظة أو ما يكره من ردّ وتكذيب من قريش فيحزن فإذا رجع إلى داره هوّنت عليه معاناته (ﷺ) وبثّت فيه النشاط كي لا يشعر بالتعب، وكان الرسول (ﷺ) يسكن اليها ويشاورها في المهم من أُموره(٣) .

٣ـ الأمر الإلهي في خلق فاطمة (عليها السلام) :

قد هيّأ الله سبحانه وتعالى البيئة الصالحة لتكوين شخصية الصّديقة الطاهرة فاطمة (عليها السلام) ، فالأب الرسول الأكرم (ﷺ) والأُم خديجة (عليها السلام).

---

(١) سفينة البحار : ٢ / ٥٧٠ (الطبعة المحققة) .

(٢) ذخائر العقبى ، للطبري : ٥٢ ، ومستدرك الحاكم : ٣ / ١٦٠ و ١٨٥ .

(٣) بحار الأنوار : ١٦ / ١٠ ـ ١١.

والروايات تحدثنا عن مزيد من الاهتمام الربّاني والعناية الإلهية في مسألة خلق الزهراء ووجودها، وأشار رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلىٰ هذه المسألة في مواطن عديدة .

فقد روي أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بينما كان جالساً بالأبطح إذ هبط عليه جبرئيل (عليه السلام) فناداه : « **يا محمد! العليّ الأعلىٰ يقرئك السلام ، وهو يأمرك أن تعتزل خديجة أربعين صباحاً** » فبعث إلىٰ خديجة بعمار بن ياسر وأخبرها بالأمر الإلهي، وأقام النبي (صلى الله عليه وآله) أربعين يوماً يصوم نهاراً ويقوم ليلاً، فلمّا كان تمام الأربعين هبط جبرئيل (عليه السلام) فقال : « **يا محمّد! العليّ الأعلىٰ يقرئك السلام ، وهو يأمرك أن تتأهّب لتحيته وتحفته** » . فبينما النبي (صلى الله عليه وآله) كذلك إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل سندس ، فوضعه بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله) وأقبل جبرئيل (عليه السلام) وقال: « **يا محمّد! يأمرك ربّك أن تجعل الليلة إفطارك علىٰ هذا الطعام** ». فأكل النبي (صلى الله عليه وآله) شبعاً وشرب من الماء رياً ، ثم قام ليصلي فأقبل عليه جبرئيل وقال : « **الصلاة محرمة**[1] **عليك في وقتك حتىٰ تأتي منزل خديجة، فإنّ الله ـ عزّوجلّ ـ آلىٰ علىٰ نفسه أن يخلق من صلبك في هذه الليلة ذرية طيبة** » . فوثب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلىٰ منزل خديجة رضي الله عنها .

قالت خديجة رضي الله عنها : وكنت قد ألفت الوحدة ، فكان إذا جنّني الليل غطيت رأسي ، وأسجفت ستري وغلقت بابي ، وصلّيت وردي ، وأطفأت مصباحي ، وآويت إلىٰ فراشي ، فلمّا كان تلك الليلة لم أكن بالنائمة ولا بالمنتبهة ، إذ جاء النبيّ فقرع الباب فناديت : « من هذا الذي يقرع حلقة لا يقرعها إلّا محمّد (صلى الله عليه وآله) ؟ .. قالت خديجة : فنادىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعذوبة

---

(١) قد يكون المراد هو الصلاة النافلة .

كلامه وحلاوة منطقه : «**افتحي يا خديجة ، فإنّي محمّد**» وفتحت الباب ودخل النبيّ المنزل ، فلا والذي سمك السماء وأنبع الماء ما تباعد عنّي النبيّ (ﷺ) حتىٰ أحسست بثقل فاطمة في بطني[١] .

٤ ـ أُنس خديجة بفاطمة (عليها السلام) :

لمّا تزوّجت خديجة بنت خويلد رسول الله (ﷺ) هجرها نُسوة مكة وكنّ لا يكلّمنها ولا يدخلن عليها؛ فلمّا حملت بالزهراء فاطمة (عليها السلام) كانت إذا خرج رسول الله (ﷺ) من منزلها تكلّمها فاطمة الزهراء في بطنها من ظلمة الأحشاء ، وتحدّثها وتؤانسها ، فدخل يوماً رسول الله (ﷺ) وسمع خديجة تحدّث فاطمة فقال لها : «**يا خديجة! من تكلّمين ؟**» قالت : يا رسول الله إنّ الجنين الذي أنا حامل به إذا أنا خلوت به في منزلي كلّمني وحدّثني من ظلمة الأحشاء، فتبسّم رسول الله (ﷺ) ثم قال : «**يا خديجة! هذا أخي جبرئيل (عليه السلام) يخبرني أنّها ابنتي، وأنّها النسمة الطاهرة المطهّرة، وأنّ الله تعالىٰ أمرني أن أُسمّيها «فاطمة» وسيجعل الله تعالىٰ من ذرّيتها أئمة يهتدي بهم المؤمنون**»[٢] .

وروي أنّه لمّا سأل الكفار رسول الله (ﷺ) أنّه يريهم انشقاق القمر ـ وقد بان لخديجة حملها بفاطمة وظهر ـ قالت خديجة : واخيبة من كذّب محمّداً وهو خير رسول ونبيّ فنادت فاطمة من بطنها : يا أُمّاه! لا تحزني ولا ترهبي فإنّ الله مع أبي[٣] .

---

(١) بحار الأنوار : ١٦ / ٧٩ ـ ٨٠ ، وروىٰ هذا المضمون . الذهبي في ميزان الاعتدال : ٣ / ٥٤٠ ، والخطيب البغدادي في تأريخه : ٥ / ٨٧ ، ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبىٰ : ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) عن الثاقب في المناقب (للطوسي) : ١٨٧ . راجع مسند فاطمة (عليها السلام) للتويسركاني : ٧٥.

(٣) عن الروض الفائق : ٣١٤ ، والجنّة العاصمة : ١٩٠ ، راجع مسند فاطمة (عليها السلام): ٧٧ .

إنّ خديجة التي وقفت مع رسول الله في أيام محنته الأُولىٰ وتعرّضت لهجران النساء عوّضها الله علىٰ صبرها وبذلها الغالي والنفيس من أجل نشر الدعوة الإسلامية عوّضها بالبشرىٰ بحملها بهذه البنت التي سيكون لها ولذريتها شأن عظيم .

٥ـ فاطمة الوليدة :

انقضت أيام الحمل واقترب موعد الولادة ولم تزل خديجة تأنس بجنينها وتعيش الأمل علىٰ الفرحة بالولادة، فلمّا حضرتها الولادة أرسلت إلىٰ نساء قريش ونساء بني هاشم أن يجئن ويلين منها ما تلي النساء من النساء في مثل هذا الظرف ، فأرسلن اليها : عصيتنا ولم تقبلي قولنا ، وتزوّجت محمّداً يتيم أبي طالب ، فقيراً لا مال له ، فلسنا نجيء ولا نلي من أمركِ شيئاً ، فاغتمت خديجة لذلك، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة طوال كأنّهن من نساء بني هاشم ، ففزعت منهنّ ، فقالت إحداهن : لا تحزني يا خديجة ، فإنّا رسل ربّكِ إليكِ ، ونحن أخواتك ، أنا سارة وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة ، وهذه مريم بنت عمران وهذه كلثم أُخت موسىٰ بن عمران ، بعثنا الله تعالىٰ اليكِ لنلي من أمركِ ما تلي النساء من النساء فجلست واحدة عن يمينها والأُخرىٰ عن يسارها والثالثة من بين يديها والرابعة من خلفها ، فوضعت فاطمة (عليها السلام) طاهرة مطهرة ، فلمّا سقطت إلىٰ الارض أشرق منها نور حتىٰ دخل بيوتات مكة، فتناولتها المرأة التي بين يديها فغسلتها بماء الكوثر وأخرجت خرقتين بيضاوين فلفّتها بواحدة وقنعتها بالثانية ، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة (عليها السلام) بالشهادتين ثم سلّمت عليهنّ وسمّت كلّ واحدة منهن باسمها ، وأقبلن يضحكن إليها ،

وقالت النسوة : خذيها يا خديجة طاهرة مطهّرة زكية ميمونة ، بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقمتها ثديها فدرّ عليها[١] .

وكانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته لمن يرضعه، فلمّا ولدت فاطمة(عليها السلام) لم يرضعها أحدٌ غير خديجة[٢] .

٦ ـ تأريخ الولادة :

اختلف المؤرّخون في تأريخ ولادتها (عليها السلام) إلّا أنّ المشهور بين مؤرّخي الإمامية أنّه في يوم الجمعة في العشرين من شهر جمادي الآخرة في السنة الخامسة من البعثة ، بينما قال غيرهم : إنّها ولدت قبل البعثة بخمس سنين[٣] .

روىٰ أبو بصير عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد (عليه السلام) قال : « **ولدت فاطمة في جمادي الآخرة يوم العشرين سنة خمس وأربعين من مولد النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، فأقامت بمكة ثمان سنين وبالمدينة عشر سنين ، وبعد وفاة أبيها خمسة وسبعين يوماً ، وقُبضت في جمادي الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة** »[٤] .

ومن أسمائها : الصدّيقة هي الكثيرة التصديق، وقد كانت سلام الله

---

(١) دلائل الإمامة : ٨ و ٩ ، نزهة المجالس : ٢ / ٢٢٧ ، بحار الأنوار : ١٦ / ٨٠ ـ ٨١ ، أمالي الصدوق : ٤٧٥.

(٢) عوالم العلوم : ١١ / ٤٦ عن البداية والنهاية : ٥ / ٣٠٧ (طبع مصر) .

(٣) تذكرة الخواص (لعبد الرحمن بن الجوزي) : ٣٠٦ ، محمد بن يوسف الحنفي في نظم درر السمطين : ١٧٥ ، الطبري في ذخائر العقبى : ٦٢ ، مقاتل الطالبيين (لأبي الفرج الإصفهاني) : ٣٠ ، ومن مصادر الإمامية : ابن شهر آشوب : ٣ / ٣٥٧ ، الكليني في أصول الكافي : ١ / ٤٥٨ ، بحار الأنوار :٤٣ / : ٦ ـ ٩.

(٤) دلائل الإمامة : ١٠.

عليها مصدِّقة لأبيها صادقة في أقوالها صدوقة في أفعالها ووفائها ، فهي الصدِّيقة الكبرىٰ، وعلى معرفتها دارت القرون كما ورد عن حفيدها الصادق (عليه السلام)[١] .

والمباركة باعتبار الخير الكثير الذي يأتي من قِبَلِها، وقد وصفها القرآن الكريم بالكوثر باعتبار أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد انقطع نسله إلّا منها، فهي أُمّ الأئمة الأطهار وأُمّ الذريّة الطاهرة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكثرة الذرّية ـ التي دافعت عن رسالة محمّد (صلى الله عليه وآله) وتحمّلت أعباء الوقوف أمام الظالمين والمنحرفين عنها ـ هي الخير الكثير أو أهمّ مصاديقه التي أعطاها الله لرسوله كما نصّ عليه في سورة الكوثر .

وعن ابن عباس أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) قال : «ابنتي فاطمة حوراء آدمية ، لم تحض ولم تطمث ، وإنّما سمّاها فاطمة لأنّ الله فطمها ومحبيها عن النار»[٢] .

وعنه (صلى الله عليه وآله) : «أن فاطمة حوراء إنسيّة، كلّما اشتقت إلى الجنّة قبّلتُها»[٣] .

وقالت أُمّ أنس بن مالك :كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر أو الشمس كفر غماماً إذا خرج من السحاب، بيضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشدّ الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) شبهاً[٤] .

ولقّبت بالطاهرة لطهارتها من كلّ دنس وكلّ رفث، وأنّها ما رأت قطّ يوماً حمرةً ولا نفاساً[٥] كما جاء عن الإمام الباقر (عليه السلام) ، وقد شهد القرآن الكريم بطهارتها من الدنس في آية التطهير .

(١) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٠٥ ، وراجع المناقب : ٣ / ٢٣٣ .

(٢) تاريخ بغداد : ١٢ / ٣٣١ الحديث ٦٧٧٢ وكنز العمال : ١٢ / ١٠٩ .

(٣) تاريخ الخطيب البغدادي : ٥ / ٨٧ والغدير : ٣ / ١٨ .

(٤) مستدرك الحاكم : ٣ / ١٦١ .

(٥) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٩ .

وكانت سلام الله عليها راضية بما قدّر لها من مرارة الدنيا ومشاقها ومصائبها وثوابها، مرضية عند ربها كما أخبر بذلك القرآن الكريم عنها في سورة الدهر، إذ ارتضى ربّها سعيها وآمنها من الفزع الأكبر، وهي ممّن ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾[١] وخشي ربّه دون شك كما نلاحظ ذلك في سيرتها.

والمحدَّثة هي التي تحدّثها الملائكة، كما حدّثت الملائكة مريم ابنة عمران وأُمّ موسىٰ وسارة امرأة ابراهيم إذ بشّرتها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب.

وكنّاها رسول الله (ﷺ) بأُمّ أبيها تعظيماً لشأنها، إذ لم يكن أحد يوازيها في محبّته لها ورفعة مكانتها لديه، وكان يعاملها معاملة الولد لأُمّه كما كانت تعامله معاملة الأُم لولدها، إذ كانت تحتضنه وتضمد جروحه وتخفّف من آلامه.

كما كُنيت بأُمّ الأئمة، إذ أخبر الرسول (ﷺ) أنّ الأئمة من ولدها وأنّ المهديّ من نسلها[٢].

* * *

(١) سورة المائدة (٥): ١١٩.

(٢) ينابيع المودة: ٢ / ٨٣، ومنتخب الأثر: ١٩٢، وكنز العمال: ١٢ / ١٠٥.

الفصل الثاني

مراحل حياة الزهراء(عليها السلام)

لقد عاشت الزهراء فاطمة(عليها السلام) في ظلّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأُمّها خديجة(عليها السلام) ثمّ انفردت بأبيها حتّى هجرته(صلى الله عليه وآله) الى يثرب إذ كان يرعاها وترعاه بحنان الأُمومة، ثم اقترنت بابن عمّها علي بن أبي طالب(عليه السلام) فأصبحت تستظلّ بظلال أبيها محمد(صلى الله عليه وآله) وفي كنف دولة الإسلام الفتية، تسعى جاهدة لأداء مهامّها الرساليّة والعائلية جنباً إلى جنب، حتى غربت شمس النبوّة العظمىٰ بوفاة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)، وحدثت الطامّة الكبرى في إفلات زمام الزعامة السياسية للدولة الإسلامية الفتية من يد الإمام علي ابن أبي طالب(عليه السلام) ، فكانت العضد الوحيد للإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) المسؤول عن معالجة الموقف الحرج معالجة رسالية بعيدة عن التحيّز القبلي أو العاطفي .

لقد عاشت الزهراء(عليها السلام) في كنف زوجها الإمام علي(عليه السلام) بعد أبيها(صلى الله عليه وآله) فترة قصيرة جداً وتجرّعت من الغصص والمحن ما لم يعلم مدى مرارتها إلّا الله سبحانه وتعالى بارئ النفوس وعلّام الغيوب.

ومن هنا ارتأينا أن نقسّم دراستنا هذه لمراحل حياتها كما يلي:

المرحلة الأُولى: مرحلة الطفولة في ظل أبيها(صلى الله عليه وآله) وأُمّها(عليها السلام).

المرحلة الثانية: حياتها بعد وفاة خديجة(عليها السلام) مع أبيها(صلى الله عليه وآله) حتى زواجها.

المرحلة الثالثة: حياتها منذ زواجها مع عليّ(عليه السلام) حتى وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله).

المرحلة الرابعة: حياتها بعد وفاة أبيها حتى مرضها.

المرحلة الخامسة: حياتها في فترة مرضها حتى استشهادها(عليها السلام).

وسوف نتابع دراسة المراحل الثلاث الأُولى في الفصل الثالث من هذا الباب.

ونخصّص الفصل الأول من الباب الثالث لدراسة المرحلة الرابعة من حياتها(عليها السلام).

بينما نخصّص الفصل الثاني منه لدراسة المرحلة الخامسة من حياتها سلام الله عليها.

الفصل الثالث

الزهراء(عليها السلام) مع أبيها رسول الله(صلى الله عليه وآله)

فاطمة(عليها السلام) في مرحلة الطفولة

حين نطالع الفترة التي ولدت فيها الزهراء(عليها السلام) نجد أنّ مجتمع الجزيرة ـ آنذاك ـ عاش أحداثاً خطيرة وصراعات وأوضاعاً متأزّمة، فالدعوة الجديدة التي جاء بها النبي الأكرم جعلت المجتمع على مفترق طرق.

ومن الناحية الاقتصادية كان فقيراً بحكم طبيعته، إلّا من حركة اقتصادية ضعيفة كانت تقتصر على التجارة المحدودة مع بلاد اليمن والشام.

ومن الناحية الاجتماعية فقد كانت تسوده الديانة الكافرة والتقاليد البالية والعنصرية القبلية، وتطغى عليه الحروب والغارات التي تشنها قبيلة على أُخرى لأسباب قد لا تكون معقولة أبداً، وكانت ظاهرة وأد البنات من أقسى ظواهره المتخلفة.

في هذه الفترة بعث النبي (صلى الله عليه وآله) ـ وعمره أربعون عاماً ـ فانطلق لوحده ليقف بوجه الكفر العالمي وعبادة الأصنام والشرك، ويغالب المشاكل والمصاعب الخطيرة، فبلّغ بالدعوة سرّاً في أول الأمر حفاظاً عليها

من الأعداء، حتىٰ جاء أمر الله بإعلان الدعوة واقتحام صفوف الباطل، فأعلن الرسول دعوته ، ودعا الناس إلىٰ الإسلام ، وأخذ عدد المسلمين يزداد يوماً بعد يوم ، وأحسّ أعداء الإسلام بالخطر من هذا التيار الجديد فوثبت كلّ قبيلة علىٰ من فيها من مستضعفي المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذّبونهم بألوان العذاب من الضرب والتجويع والترك علىٰ حرّ الرمال وكيّهم بالنار في محاولة منهم لافتتان المسلمين وردعهم عن دينهم ، فلمّا رأىٰ رسول الله(ﷺ) ما يصيب أصحابه من البلاء قال لهم : « **لو خرجتم إلىٰ أرض الحبشة حتىٰ يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه** » فاستجاب المسلمون لأمر الرسول (ﷺ) فخرجوا وتركوا أرضهم وأموالهم ، مخافة الفتنة وفراراً إلىٰ الله بدينهم[١] .

١ ـ فاطمة (عليها السلام) في شِعب[٢] أبي طالب (عليه السلام) :

لمّا رأت قريش أنّ أصحاب الرسول (ﷺ) قاوموهم وتحمّلوا أذاهم ، وأنّ الاسلام أخذ يعلو شأنه وينتشر في القبائل ، وعجزوا عن صدّه؛ ائتمروا بينهم علىٰ قتل الرسول (ﷺ) ، فلمّا أحسّ أبو طالب بذلك انحاز إلىٰ شعبه ، واجتمع اليه بنو هاشم وبنو عبد المطلب ليحموا الرسول (ﷺ) وكان حمزة عمّ النبي (ﷺ) يحرسه حتىٰ الصباح ، فحاصرتهم قريش حصاراً اقتصادياً شديداً ، وكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه علىٰ أن لا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئاً ، فأقاموا علىٰ ذلك سنتين أو ثلاثاً حتىٰ جهدوا ، لا يصل إلىٰ أحدهم شيء إلّا سرّاً ، والجوع يشتد ببني هاشم ويتعالىٰ صراخ الأطفال الجياع

(١) السيرة النبوية لابن هشام القسم الاول: ٣٢١ طبع دار المعرفة ـ بيروت ، والكامل في التاريخ : ٢ / ٧٦ .
(٢) الشِعب : الوادي .

أحياناً.

في هذا الظرف العصيب والقاسي قضت الزهراء (عليها السلام) شطراً من أيام الرضاعة في شعب أبي طالب، ثم فطمت من اللبن، وهناك درجت تمشي على رمضاء الشعب، وتعلّمت النطق وهي تسمع أنين الجياع وصراخ الأطفال المحرومين، وبدأت تأكل في زمن الحرمان والفاقة، وإذا ما استيقظت في هدأة الليل وجدت الحرس يدورون ـ بحذر وترقّب ـ حول أبيها يخافون عليه من غدر الأعداء في حلكة الليل، ثلاث سنين تقريباً والزهراء (عليها السلام) في هذا السجن لا يربطها بالعالم الخارجي أيّ شيء حتى أدركت سن الخامسة.

٢ ـ وفاة السيّدة خديجة وعام الحزن:

وتمرّ سنون الحصار صعبة ثقيلة، ويخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن معه من الحصار والمقاطعة، وقد كتب الله تعالى لهم النصر والغلبة، وتخرج خديجة وقد أثقلتها السنون وأرهقها عناء الحصار والحرمان، وها هي قد قضت بالجدّ والصبر عمرها الجهادي المشرق وحياتها المثالية الفريدة في دنيا المرأة، لقد قرب أجل خديجة وشاء الله تعالى أن يختارها لجواره، فتتوفى في ذلك العام الذي خرج فيه بنو هاشم من الحصار وكان العام العاشر من البعثة.

وتوفّي في العام ذاته أبو طالب عمّ الرسول (صلى الله عليه وآله) وحامي الدعوة الإسلامية وناصر الإسلام، ولقد شعر رسول الله بالحزن والأسى، وأحسّ بالفراق والوحشة، إنّه فقد الحبيب والعون والمواسي، فقد خديجة زوجته وحبيبته وعونه، وفقد عمّه الحامي والمدافع عنه، فسمّى ذلك العام بـ(عام

الحزن) .

وليس رسول الله (ﷺ) وحده هو الذي رزئ في ذلك العام، بل وفاطمة الصبية الصغيرة التي لم تشبع من حنان الأُمومة وعطف الوالدة بعد ، فقد شاطرته المأساة ورزئت هي الأُخرىٰ ، فشملتها المحنة في ذلك العام الحزين، وشعرت بغمامة الحزن واليتم تخيّم علىٰ حياتها الطاهرة .

ويحسّ الأب الرسول (ﷺ) بوطأة الحزن علىٰ نفس فاطمة (عليها السلام) ويرىٰ دموع الفراق تتسابق علىٰ خديها، فيرقّ القلب الرحيم ، وتفيض مشاعر الود والأُبوة الصادقة ، فيحنو رسول الله (ﷺ) علىٰ فاطمة ، يعوضها من حبّه وحنانه ما فقدته في أُمّها من حبّ ورعاية وحنان .

لقد أحبّ رسول الله (ﷺ) فاطمة وأحبته وحنا عليها وحنت عليه ، فلم يكن أحد أحبّ إلىٰ قلبه ولا إنسان أقرب إلىٰ نفسه من فاطمة ؛ لقد أحبها وكان يؤكّد ـ كلّما وجد ذلك ضرورياً ـ هذه العلاقة بفاطمة ، ويوضّح مقامها ومكانتها في أُمّته ، وهو يُمهّد لأمر عظيم وقدر خطير يرتبط بفاطمة ، وبالذريّة الطاهرة التي أعقبتها فاطمة وبالأُمة الإسلامية كلّها ،كان يؤكّد ذلك ليعرف المسلمون مقام فاطمة ومكانة الأئمة من ذريّتها ليعطوا فاطمة حقّها ، ويحفظوا لها مكانتها ، ويراعوا الذرّية الطاهرة حقّ رعايتها ، فها هو رسول الله(ﷺ) يعرّف فاطمة ويؤكد للمسلمين : «**فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني**»[1] .

وتكبر فاطمة (عليها السلام) وتشبّ ويشبّ معها حبّ أبيها لها، ويزداد حنانه عليها، وتبادله هي هذا الحب وتملأ قلبه بالعطف والرعاية فيسميها

---

(١) صحيح البخاري : ٥ / ٣٦ ، كنز العمال : ١٢ / ح٣٤٢٢٢ . المناقب : ٣ / ٣٣٢ ، ذخائر العقبى : ٤٧ .

«أمّ أبيها» .

إنّه النموذج القدوة من العلاقة الأبوية الطاهرة التي تساهم في بناء شخصيّة الأبناء وتوجّه سلوكهم وحياتهم ، لقد كانت هذه العلاقة هي المثل الأعلىٰ في رعاية الإسلام للفتاة والعناية بها وتحديد مكانتها .

٣ ـ فاطمة الممتحنة :

وشاء الله سبحانه وتعالىٰ أن تشهد فاطمة فترة صراع الدعوة في مكة ، وتشهد محنة أبيها (صلى الله عليه وآله) ، فترىٰ الأذىٰ والاضطهاد يقع عليه ، وتشهد جوّ مكة المعادي لبيت النبوّة ، بيت الهدىٰ والإيمان والفضيلة ، وتشاهد أباها والصفوة المؤمنة من دعاة الإسلام والسابقين بالإيمان يخوضون ملحمة البطولة والجهاد ، فيؤثّر هذا الجوّ الجهادي في نفسها ، ويساهم في تكوين شخصيتها وإعدادها لحياة التحمّل والمعاناة ، لقد عايشت فاطمة كلّ ذلك وهي بعد لمّا تزل صبيّة صغيرة، لقد عايشت المحنة الأشد مع أبيها، بعد فقد أُمها ، المواسي والأنيس والحبيب الذي كان يخفّف عنها متاعب الحياة والآلام والاضطهاد ، وبعد فقده عمّه أبا طالب حامي الدعوة والمدافع عن رسول الله الذي ما تجرأت قريش في حياته أن تؤذيه (صلى الله عليه وآله) أو تنال منه شيئاً ، إلّا كان لها بالمرصاد[1] ، هذه الحماية التي عبّر عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد فقده أبا طالب بقوله : « **ما زالت قريش كاعة[2] عنّي حتىٰ مات أبو طالب** »[3] .

لقد صبّت قريش حقدها وأذاها علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تلك الفترة

(١) البداية والنهاية : ٣ / ١٥١ ، وسيرة ابن هشام : ١ / ٤١٦.

(٢) كاعة : ضعيفة وجبانة .

(٣) كشف الغمة : ١ / ١٦ ، ومستدرك الصحيحين : ٢ / ٦٢٢ بألفاظ أُخرىٰ .

العصيبة من عمر الدعوة ، وبكل ما تملك من وسائل الأذىٰ والاستهزاء والسخرية ومحاولات الانتقاص من مكانة محمد (ﷺ) وشخصيته .

لقد تحمّل رسول الله (ﷺ) من أجل دعوته وفي سبيل مبادئه ورسالته ما لم يتحمّله أحد من الأنبياء ، فقد بلغ الأمر بأحد سفهاء قريش أن يغترف غرفة من تراب الأرض ويقذفها في وجه رسول الله (ﷺ) وعلىٰ رأسه ، فيتحمّل رسول الله (ﷺ) هذا الأذىٰ ويعود إلىٰ بيته صابراً محتسباً وقد لطخ التراب وجهه ورأسه، ويعود إلىٰ بيته وفاطمة (ع) تنظر اليه فترىٰ ما لحق به من أذىٰ قريش وتماديها في الصلف والغرور ، فيحزّ الألم في نفسها ويعظم عليها تجرؤ السفهاء والمغرورين من طغاة الجاهلية ومتكبريها علىٰ رسول الله(ﷺ) ثم تقوم لأبيها وتنفض التراب عنه وتأتي بالماء وتغسل رأسه ووجهه الكريم .

ولم يمرّ هذا المشهد المؤلم دون أن يؤثر في نفسها (ع) فيستبدّ بها الحزن والألم علىٰ القائد رسول الله أبيها (ﷺ) فتبكي وتتألّم لجرأة هؤلاء الجاهلين الطغاة علىٰ رجل يريد أن يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور ويهديهم سبيل الهدىٰ والرشاد ، ويؤثّر موقف فاطمة في نفس أبيها (ﷺ) ويشعر بحرارة الألم تمسّ قلبها ، فيحاول (ﷺ) أن يخفّف عنها ويحثّها علىٰ التجلّد والتحمّل ، فيمدّ يديه الكريمتين ويضعهما علىٰ رأسها فيمسّه برقّة وحنان وهو يقول لها : **« لا تبكي يا بنية فإنّ الله مانع أباك ، وناصره علىٰ أعداء دينه ورسالته »**[1] .

بهذه الكلمات الجهادية المربّية يحاول رسول الله (ﷺ) أن يزرع في

(١) البداية والنهاية : ٣ / ١٥١ ، سيرة ابن هشام : ١ / ٤١٦ .

نفس فاطمة (عليها السلام) روحاً جهادية عالية ، ويملأ نفسها وقلبها بالصبر والثقة بالنصر .

ولم تنته هذه المشاهد المثيرة المؤلمة ولم يقف أذىٰ قريش واستخفافها برسول الله (صلى الله عليه وآله) ودعوة الحق والهدىٰ والتحرير إلىٰ هذا الحدّ ، بل راحت تتمادىٰ في غيّها وتصرّ علىٰ عنتها وكبريائها ، فقد روي عن عبدالله ابن مسعود أنّه قال : ما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعا علىٰ قريش غير يوم واحد، فإنّه كان يصلّي ورهط من قريش جلوس ، وسلىٰ[1] جزور قريب منه ، فقالوا : من يأخذ هذا السلىٰ فيلقيه علىٰ ظهره ، فقام رجل ـ وهو عقبة بن أبي معيط ـ وألقاه علىٰ ظهره فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة (عليها السلام) فأخذته عن ظهره فقال (صلى الله عليه وآله) : «**اللهمّ عليك الملأ من قريش ، اللهمّ عليك بعتبة بن ربيعة ، اللهمّ عليك بشيبة بن ربيعة، اللهمّ عليك بأبي جهل بن هشام، اللهمّ عليك بعقبة بن أبي معيط، اللهمّ عليك بأُبي بن خلف وأُمية بن خلف**».

قال عبدالله بن مسعود : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ثم سحبوا إلىٰ القليب[2] غير أُبي بن خلف أو أُمية فإنّه كان رجلاً ضخماً فتقطع[3] .

* * *

(١) السلىٰ : الجلد الرقيق الذي يخرج فيه ولد الماشية من بطن أُمه ملفوفاً فيه .

(٢) القليب : البئر .

(٣) ذخائر العقبىٰ ، للطبري : ٥٧ ، ومثله في البداية والنهاية لابن كثير : ٣ / ٣٥٧ .

الزهراء(عليها السلام) مع أبيها(صلى الله عليه وآله) حتى بيت الزوجيّة

١ ـ هجرتها (عليها السلام) إلىٰ المدينة :

هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في السنة الثالثة عشرة للبعثة من مكة إلىٰ يثرب « المدينة » حفاظاً علىٰ نفسه وإبقاءً علىٰ دعوته ، وأوصىٰ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أن يبيت علىٰ فراشه ليلة الهجرة ليوهم المشركين ويشغلهم ، وأوصاه (صلى الله عليه وآله) بعدة وصايا ، منها : أنّه إذا وصل مأمنه يرسل اليه من يدعوه بالتوجّه اليه مع عائلته من الفواطم وغيرهن ، ويردّ جميع الأمانات التي كانت مودعة عنده إلىٰ أهلها ويسدّد الديون التي كانت عليه .

ولمّا وصل (صلى الله عليه وآله) منطقة «قباء» ـ وهي علىٰ أميال من يثرب ـ واستقر فيها؛ بعث مع أبي واقد الليثي كتاباً إلىٰ عليّ (عليه السلام) يأمره بالقدوم عليه مع الفواطم وردّ الإمانات إلىٰ أهلها ، فقام أمير المؤمنين (عليه السلام) من ساعته واشترىٰ الرواحل اللازمة وأعدّ متطلبات السفر والهجرة من مكة ، وأمر من كان معه من ضعفاء المؤمنين أن يتسللوا ويتخفّوا إذا ملأ الليل بطن كلّ وادٍ إلىٰ ذي طوىٰ .

فلمّا أدىٰ الأمانات قام علىٰ الكعبة فنادىٰ بصوت رفيع : **يا أيّها الناس! هل من صاحب أمانة ؟ هل من صاحب وصيّة ؟ هل من عدّة له قِبل رسول الله ؟ فلمّا لم يأت أحد لحق بالنبيّ (صلى الله عليه وآله)**[1] .

خرج عليٌّ (عليه السلام) بالفواطم في وضح النهار ـ وهنّ : فاطمة الزهراء (عليها السلام)

---

(١) المناقب (لابن شهر آشوب) : ٢ / ٥٨ فصل المسابقة إلى الهجرة .

وفاطمة بنت أسد الهاشمية أُمّه وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب ـ وتبعتهم حاضنة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وخادمته بركة أُمّ أيمن ، وابنها أيمن مولىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وعاد مع الركب مبعوثه (صلى الله عليه وآله) أبو واقد الليثي ، فجعل يسوق الرواحل ، فأعنف بهم فقال له الإمام علي (عليه السلام): « **إرفق بالنسوة يا أبا واقد ، إنّهن ضعاف** » قال : إنّي أخاف أن يدركنا الطلب، فقال عليّ (عليه السلام) : « **أربع عليك ، فإنّ رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **قال لي : يا عليّ لن يصلوا من الآن إليك بأمرٍ تكرهه** »، ثم جعل عليّ (عليه السلام) يسوق بهنّ سوقاً رقيقاً وهو يرتجز ويقول :

وليس إلّا الله فـــارفع ضـــنّكا   يكـفيك ربّ النـاس مـا أهـمّكا

وسار ، فلمّا شارف «ضجنان» أدركه الطلب سبعة فوارس من شجعان قريش متلثّمين وثامنهم مولىٰ الحارث بن أُمية يدعىٰ جناحاً ، وكان شجاعاً مقداماً، فأقبل الإمام عليّ (عليه السلام) علىٰ أيمن وأبي واقد وقد تراءىٰ القوم فقال لهما: « **أنيخا الأبل وأعقلاها** » ، وتقدّم حتىٰ أنزل النّسوة ، ودنا القوم فاستقبلهم عليّ (عليه السلام) منتضياً سيفه ، فأقبلوا عليه وقالوا : ظننت أنّك ناجٍ بالنّسوة، إرجع لا أبا لك قال : « **فإن لم أفعل ؟** » قالوا : لترجعنّ راغماً ، أو لنرجعنّ بأكثرك شعراً ـ أي رأسك ـ ودنا الفوارس من النّسوة والمطايا ليثوّروها ، فحال عليّ (عليه السلام) بينهم وبينها ، فأهوىٰ له جناح بسيفه فراغ عليّ (عليه السلام) عن ضربته ، وتختله عليّ (عليه السلام) فضربه علىٰ عاتقه ، فأسرع السيف مضياً فيه حتىٰ مسّ كاثبة فرسه، فشدّ عليهم بسيفه فتصدّع القوم عنه ، وقالوا له: إغنِ عنّا نفسك يابن أبي طالب قال : « **فإنّي منطلق إلىٰ ابن عمّي رسول الله**(صلى الله عليه وآله) **فمن سرّه أن أفري لحمه وأُهريق دمه فليتبعني** » فرجعوا مخذولين منكسرين .

ثم أقبل علىٰ صاحبيه أيمن وأبي واقد فقال لهما : « **أطلقا مطاياكما** » ، ثم سار بالركب ظافراً قاهراً حتىٰ نزل « ضجنان » ، فتلوّم بها ـ أي لبث فيها ـ

قدر يومه وليلته ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين ، وكانوا يصلّون ليلتهم ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبهم ، فلم يزالوا كذلك حتىٰ طلع الفجر فصلّىٰ الإمام عليّ (عليه السلام) بهم صلاة الفجر ، ثم سار لوجهه حتىٰ قدموا « قبا » القريبة من المدينة، والتحقوا برسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث كان ينتظرهم بها[1] .

ونزل الوحي علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما كان في شأنهم قبل وصولهم ، بآيات من القرآن المجيد هي : ﴿ **الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبهم** ... ﴾[2] .

ومكث النبي (صلى الله عليه وآله) خمسة عشر يوماً بـ«قبا» في انتظار قدوم الوفد ، وفي تلك الفترة أسّس مسجد « قبا » ، ونزلت فيه آيات بيّنات قال تعالىٰ : ﴿ **لمسجد أُسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم أحق أن تقوم فيه** ﴾ كما أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) حثّ علىٰ الصلاة فيه وإحيائه وذكر الأجر الكبير لمن صلّىٰ فيه .

وبعد استراحة الركب سار (صلى الله عليه وآله) بمن معه من أصحابه وأهله متوجهاً إلىٰ يثرب واستقبلته الجماهير المسلمة بالأشعار والأهازيج وشعارات الترحيب، واستقبله سادات يثرب وزعماء الأوس والخزرج مرحّبين بقدومه باذلين كلّ ما وسعهم من امكانات مالية وعسكرية ، وكان عندما يمرّ علىٰ حيّ من أحيائهم يتقدّم الأشراف ليأخذوا بخطام الناقة رجاء أن ينزل في حيّهم حيث الضيافة والمنعة ، فكان (صلى الله عليه وآله) يدعو لهم بالخير ويقول : « **دعوا الناقة تسير فإنّها مأمورة** » .

ثم بركت في رحبة من الأرض بجوار دار أبي أيوب الأنصاري ،

---

(١) المناقب : ١ / ١٨٤ .

(٢) آل عمران (٣) : ١٩١ ـ ١٩٥ .

فنزل (صلى الله عليه وآله) ونزلت السيّدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) مع الفواطم ودخلن علىٰ أمّ خالد(١) ، وبقيت السيّدة فاطمة (عليها السلام) مع أبيها (صلى الله عليه وآله) زهاء سبعة أشهر حتىٰ تمّ بناء المسجد ودار رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبيته المتواضع المؤلف من عدّة حجرات بعضها بالأحجار، والبعض الآخر من جريد النخل ، أمّا ارتفاع الحجرات فقد وصفه الإمام الحسن (عليه السلام) سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما جاء عنه أنّه قال : « **كنت أدخل بيوت النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأنا غلام مراهق فأنال السقف بيدي** » .

أمّا الأثاث الذي هيّأه النبيّ لبيته الجديد فهو في منتهىٰ البساطة والخشونة والتواضع ، وأعدّ لنفسه فيه سريراً مؤلّفاً من أخشاب مشدودة بالليف، واستقرّت الزهراء في دار هجرتها وفي بيت أبيها ، ذلك البيت البسيط المتواضع في دار الإسلام ، لتنعم بعنايته وحبّه ورعايته ، تلك العناية والرعاية والحبّ الذي لم يحظ بمثله امرأة ولا أحد من الناس سواها .

إلىٰ هذا البيت المتواضع جاءت فاطمة بنت محمّد (صلى الله عليه وآله) مهاجرة من مكة لترىٰ أباها بين أنصاره في يثرب يفدونه بالأنفس ومعه المهاجرون، وقد اطمأن بهم المقام مع إخوانهم ممن أسلم من الأوس والخزرج، وانصرفوا مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلىٰ الدعوة للإسلام والتخطيط لغد أفضل، وقد آخىٰ النبيّ بينهم وبين مسلمي المدينة ليذهب عنهم وحشة الاغتراب ويشدّ بعضهم إلىٰ بعض بتلك الأُخوة التي تجمعهم علىٰ صعيد واحد، وهو الإيمان بإله واحد لا شريك له، وترك عليّاً لنفسه فأخذ بيده ومعه حشد من المهاجرين والأنصار ، وقال : « **هذا أخي ووصيّي ووارثي من بعدي** »(٢) ولم يمضِ وقت طويل علىٰ تلك المؤاخاة التي فاز بها عليّ (عليه السلام) حتىٰ أصبح صهراً للنبيّ وزوجاً لأحبّ بناته

---

(١) خالد : هو اسم أبي أيوب الأنصاري .

(٢) قادتنا، للميلاني : ٣ / ٣٨٩ نقلاً عن حياة الحيوان : ١ / ١١٨ ، وراجع البداية والنهاية : ٣ / ٢٧٧ .

إليه وأعزّهنّ على قلبه وروحه .

وبعد ما استقر رسول الله (ﷺ) في المدينة تزوّج « سودة » وهي أول من تزوّجها بعد السيّدة خديجة (رض) ثم تزوّج « أمّ سلمة بنت أبي أُميّة » وفوّض أمر ابنته الزهراء اليها .

قالت أمّ سلمة : تزوّجني رسول الله (ﷺ) وفوّض أمر ابنته فاطمة (عليها السلام) إليّ ، فكنت أُؤدّبها وأدلّها ، وكانت والله أأدب منّي وأعرف بالأشياء كلّها[1] .

٢ ـ محاولات خطبتها (عليها السلام) :

فاقت فاطمة الزهراء (عليها السلام) نساء عصرها في الحسب والنسب فهي بنت محمّد رسول الله (ﷺ) وخديجة[2] رضي الله عنها وسليلة الفضل والعلم والسجايا الخيّرة ، وغاية الجمال الخَلقي والخُلقي ، ونهاية الكمال المعنوي والإنساني ، علا شأوها وتألّق نجمها .

وكانت (عليها السلام) تمتاز منذ صغر سنها بالنضج الفكري والرشد العقلي ، وقد وهب الله لها عقلاً كاملاً وذهناً وقاداً وذكاءً حاداً وحسناً وجمالاً في إشراقةِ محياها النورانية ، فما أكثر مواهبها وما أعظم فضائلها وهي تكبر يوماً بعد يوم تحت ظلال النبيّ (ﷺ) حتى أدركت سلام الله عليها مدرك النساء!!

وما إن دخلت السنة الثانية من هجرة النبيّ (ﷺ) وبدأت طلائع الاستقرار تلوح للمسلمين حتى خطبها أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة في الإسلام والشرف والمال من النبيّ (ﷺ)، فكان (ﷺ) يردّهم ردّاً جميلاً

(١) دلائل الإمامة : ١٢ .

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر : ١ / ٨٠ ـ ٨١ .

ويقول لكلّ من جاءه : «إنّي أنتظر فيها أمر الله» وكان (صلى الله عليه وآله) يعرض عنهم بوجهه الكريم حتىٰ كان الرجل يظنّ في نفسه أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساخط عليه[١].

وكان رسول الله قد حبسها علىٰ عليّ، ويرغب أن يخطبها منه[٢].

وعن بريدة قال : خطب أبو بكر فاطمة (عليها السلام)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «إنّها صغيرة، وإنّي أنتظر بها القضاء» فلقيه عمر فأخبره، فقال : ردّك، ثم خطبها عمر فردّه[٣].

٣ ـ عليّ (عليه السلام) يتقدّم لخطبة الزهراء (عليها السلام) :

كان الإمام عليّ (عليه السلام) يفكّر في خطبة الزهراء، ولكنّه بقي (عليه السلام) بين الحالة التي يعيشها هو والمجتمع الإسلامي من فقر وفاقة وضيق في المعيشة، يصرفه عن التفكير في الزواج ويشغله عن نفسه وهواجسها في بناء الأُسرة، وبين واقعه الشخصي وقد تجاوز الواحد والعشرين من العمر[٤]، وآن له أن يتزوّج من فاطمة التي لا كفؤ لها سواه ولا كفؤ له سواها، وهي نسيج لا يتكرّر.

ذات يوم وما أن أكمل الإمام (عليه السلام) عمله حتىٰ حلّ عن ناضحه وأقبل يقوده إلىٰ منزله فشدّه فيه، وتوجّه نحو منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان في بيت السيدة أُمّ سلمة، وبينما كان الإمام في الطريق هبط ملك من السماء بأمر إلهي هو أن يزوّجَ النور من النور، أي فاطمة من عليّ[٥].

(١) كشف الغمة : ١ / ٣٥٣.

(٢) كشف الغمة : ١ / ٣٥٤.

(٣) تذكرة الخواص : ٣٠٦.

(٤) ذخائر العقبىٰ : ٣٦.

(٥) راجع معاني الأخبار : ١٠٣، والخصال : ٦٤٠، وأمالي الصدوق : ٤٧٤، وبحار الأنوار: ٤٣ / ١١١.

فدقّ عليّ (عليه السلام) الباب ، فقالت أُمّ سلمة : من بالباب ؟ فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « **قومي يا أُمّ سلمة فافتحي له الباب ومريه بالدخول ، فهذا رجل يحبّه الله ورسوله ويُحبّهما** » فقالت أُمّ سلمة : فداك أبي وأُمي ، من هذا الذي تذكر فيه هذا وأنت لم تره ؟ فقال : « **مه يا أُمّ سلمة ، فهذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق، هذا أخي وابن عمّي وأحبّ الخلق إليّ** » قالت أُمّ سلمة : فقمت مبادرةً أكاد أعثر بمرطي ، ففتحت الباب فإذا أنا بعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : « **السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته** » فقال له النبيّ (صلى الله عليه وآله) : « **وعليك السلام يا أبا الحسن ، اجلس** » فجلس عليّ (عليه السلام) بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجعل ينظر إلى الأرض كأنّه قصد لحاجة وهو يستحي أن يبيّنها ، فهو مطرق إلى الأرض حياءً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكأنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) علم ما في نفس عليّ (عليه السلام) فقال له : « **يا أبا الحسن، إنّي أرى أنّك أتيت لحاجة، فقل حاجتك وابدِ ما في نفسك ، فكلّ حاجة لك عندي مقضية** » قال عليّ (عليه السلام) : «**فداك أبي وأُمي إنّك أخذتني عن عمّك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي، فغذّيتني بغذائك ، وأدّبتني بأدبك ، فكنتَ إليّ أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البرّ والشفقة ، وإنّ الله تعالى هداني بك وعلى يديك ، وإنّك والله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة يا رسول الله فقد أحببت مع ما شدّ الله من عضدي بك أن يكون لي بيت وأن تكون لي زوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطباً راغباً ، أخطب اليك إبنتك فاطمة ، فهل أنت مزوّجي يا رسول الله ؟** » فتهلّل وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرحاً وسروراً ، وأتى فاطمة فقال : « **إنّ عليّاً قد ذكركِ وهو من قد عرفتِ** » فسكتت (عليها السلام) ، فقال (صلى الله عليه وآله) : « **الله أكبر ، سكوتها رضاها** » فخرج فزوّجها[1] .

---

(١) راجع بحار الأنوار : ٤٣ / ٩٣ ، وذخائر العقبى : ٣٩ .

قالت أُمّ سلمة : فرأيت وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتهلّل فرحاً وسروراً ، ثم تبسّم في وجه عليّ (عليه السلام) فقال : « يا عليّ فهل معك شيء أُزوّجك به ؟ » فقال عليّ (عليه السلام) : « فداك أبي وأُمّي ، والله ما يخفى عليك من أمري شيء ، أملك سيفي ودرعي وناضحي ، وما أملك شيئاً غير هذا » فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « يا عليّ أمّا سيفك فلا غنى بك عنه ، تجاهد في سبيل الله ، وتقاتل به أعداء الله ، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك ، وتحمل عليه رحلك في سفرك ، ولكني قد زوّجتك بالدرع ورضيت بها منك ».

« يا أبا الحسن ، أأُبشرك ؟ ! » قال عليّ (عليه السلام) قلت : « نعم فداك أبي وأُمّي بشّرني ، فإنّك لم تزل ميمون النقيبة ، مبارك الطائر ، رشيد الأمر ، صلّى الله عليك » .

فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «أُبشرك يا عليّ فإنّ الله ـ عزوجل ـ قد زوّجكها في السماء من قبل أن أزوّجكها في الأرض، ولقد هبط عليّ في موضعي من قبل أن تأتيني ملك من السماء فقال : يا محمّد! إنّ الله ـ عزوجل ـ اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختارك من خلقه فبعثك برسالته ، ثم اطلع إلى الأرض ثانية فاختار لك منها أخاً ووزيراً وصاحباً وختناً فزوّجه إبنتك فاطمة (عليها السلام)، وقد احتفلت بذلك ملائكة السماء، يامحمّد! إن الله ـ عزوجل ـ أمرني أن آمرك أن تزوّج عليّاً في الأرض فاطمة، وتبشّرهما بغلامين زكيين نجيبين طاهرين خيّرين فاضلين في الدنيا والآخرة، ياعليّ! فوالله ما عرج الملك من عندي حتى دققت الباب »[1] .

٤ ـ أمر زواجها من السماء :

قال ابن أبي الحديد : وإنّ إنكاحه عليّاً إيّاها ماكان إلّا بعد أن أنكحه الله

(١) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٢٧ .

تعالىٰ إيّاها في السماء بشهادة الملائكة(١).

وعن جابر بن عبدالله قال: لمّا زوّج رسول الله (ﷺ) فاطمة من عليّ (ع) كان الله مزوّجه من فوق عرشه(٢).

وعن أبي جعفر (ع) قال: «قال رسول الله (ﷺ): إنّما أنا بشر مثلكم، أتزوج فيكم وأزوّجكم إلّا فاطمة، فإنّ تزويجها نزل من السماء»(٣).

٥ ـ خطبة العقد:

قال أنس: بينما أنا قاعد عند النبيّ (ﷺ) إذ غشيه الوحي، فلمّا سري عنه قال: «يا أنس! تدري ما جاءني به جبرئيل من صاحب العرش؟» قلت: الله ورسوله أعلم، بأبي وأُمّي ما جاء به جبرئيل؟ قال (ﷺ): «إنّ الله تعالىٰ أمرني أن أزوّج فاطمة علياً، انطلق فادع لي المهاجرين والأنصار» قال: فدعوتهم، فلمّا أخذوا مقاعدهم قال النبي (ﷺ): «الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرغوب اليه فيما عنده، المرهوب عذابه، النافذ أمره في أرضه وسمائه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميّزهم بأحكامه، وأعزّهم بدينه، وأكرمهم بنبيّه محمّد، ثم إنّ الله تعالىٰ جعل المصاهرة نسباً وصهراً، فأمر الله يجري إلىٰ قضائه، وقضاؤه يجري إلىٰ قدره، فلكلّ قدر أجل، ولكلّ أجل كتاب ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب﴾، ثم إنّ الله أمرني أن أزوّج فاطمة بعليّ، فأُشهدكم أنّي قد زوّجته علىٰ أربعمائة مثقال من فضة إن رضي بذلك عليّ».

وكان عليّ غائباً قد بعثه رسول الله (ﷺ) في حاجته، ثم إنّ رسول

(١) شرح نهج البلاغة: ٩ / ١٩٣، وبنص آخر في ذخائر العقبىٰ: ٤٠ ـ ٤١.
(٢) بحار الأنوار: ٤٣ / ١٤٢.
(٣) بحار الأنوار: ٤٣ / ١٤٥.

الله (صلى الله عليه وآله) أمر بطبق فيه بسر فوضع بين أيدينا ، ثم قال (صلى الله عليه وآله) : « انتهبوا » ، فبينا نحن ننتهب إذ أقبل علي (عليه السلام) ، فتبسّم اليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال : « **يا عليّ! إنّ الله أمرني أن أزوّجك فاطمة ، فقد زوّجتكها على أربعمائة مثقال فضة إن رضيت** » فقال عليّ (عليه السلام) : « **قد رضيت يا رسول الله** » ثم إنّ علياً مال فخرّ ساجداً شكراً لله تعالى وقال : « **الحمد لله الذي حبّبني إلى خير البرية محمد رسول الله** » ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « **بارك الله عليكما ، وبارك فيكما وأسعدكما ، وأخرج منكما الكثير الطيب** » .

قال أنس : فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيب[1] .

٦ ـ مهرها وجهازها :

وجاء عليّ بالمهر بعد أن باع درعه لعثمان، وكان اربعمائة درهم سود هَجَرية، فقبض الرسول (صلى الله عليه وآله) الدراهم وأعطاها لبعض أصحابهِ ونسائهِ ليشتروا متاعاً للبيت الجديد، فكان الجهاز:

« ١ ـ قميصاً بسبعه دراهم . ٢ ـ خماراً بأربعة دراهم . ٣ ـ قطيفة سوداء خيبرية. ٤ ـ سريراً مزمّلاً بشريط . ٥ ـ فراشين من خيش مصر حشو أحدهما ليف ، وحشو الآخر من جزّ الغنم (صوف) . ٦ ـ أربعة مرافق من أدم الطائف حشوها إذخر . ٧ ـ ستراً من صوف . ٨ ـ حصيراً هجري . ٩ ـ رحاءَ اليد . ١٠ ـ سقاءً من أدم . ١١ ـ مخضباً من نحاس . ١٢ ـ قعباً للّبَن . ١٣ ـ شنّاً للماء . ١٤ ـ مطهرةً مزفّتة . ١٥ ـ جرّةً خضراء . ١٦ ـ كيزان خزف . ١٧ ـ نطعاً من أدم . ١٨ ـ عباءً قطراني . ١٩ ـ قربةَ ماء ».

---

(١) كفاية الطالب : الباب ٧٨ ص ٢٩٨ ، والمناقب : ٣ / ٣٥١ فصل تزويجها (عليها السلام) ، وكشف الغمة : ١ / ٣٤٨ ـ ٣٤٩، وذخائر العقبى : ٤١ .

قالوا : وحملناه جميعاً حتىٰ وضعناه بين يدي رسول الله (ﷺ) فلمّا نظر إليه بكىٰ وجرت دموعه ، ثم رفع رأسه إلىٰ السماء وقال : « **اللهمّ بارك لقومٍ جلّ آنيتهم الخزف** »(١).

جهّز علي (ع) داره ، وفرش (ع) بيته بالرمل الليّن ونصب خشبة من حائط إلىٰ الحائط لتعليق الثياب عليها وبسط علىٰ الأرض إهاب كبش ومخدَّة ليف .

وعن أبي يزيد المديني قال : لمّا أُهديت فاطمة إلىٰ عليّ (ع) لم تجد عنده إلّا رملاً مبسوطاً ووسادة وجرّة وكوزاً(٢) .

٧ ـ مقدّمات الزفاف ووليمة العرس :

قال عليّ (ع) : « **ومكثت بعد ذلك شهراً لا أُعاود رسول الله (ﷺ) في أمر فاطمة بشيء، استحياءً من رسول الله (ﷺ) غير أنّي كنت إذا خلوت برسول الله (ﷺ) يقول لي : « يا عليّ ما أحسن زوجتك وأجملها ! أبشر يا عليّ فقد زوّجتك سيّدة نساء العالمين » فقال عليّ (ع) : « فلمّا كان بعد شهر دخل عليَّ أخي عقيل فقال : يا أخي ما فرحت بشيء كفرحي بتزوجك فاطمة بنت محمّد(ﷺ) ، يا أخي فما بالك لا تسأل رسول الله (ﷺ) يدخلها عليك ؟ فتقرّ عيناً باجتماع شملكما** » .

قال عليّ (ع) : « **والله يا أخي إنّي لأُحبّ ذلك وما يمنعني من مسألته إلّا الحياء منه** » فقال : أقسمت عليك إلّا قمت معي ، فقمنا نريد رسول الله (ﷺ)، فلقيتنا

---

(١) المناقب ابن شهرآشوب : ٣ / ٣٥٣ ، وكشف الغمة : ١ / ٣٥٩ .

الشريط : ورق مفتول يشترط به السرير . الخيش : نسيج خشن من الكتان. والاذخر ، حشيش طيب الريح. والمخضب : وعاء لغسل الثياب أو خضبها . والقعب : القدح العظيم الغليظ . والشن : القربة الصغيرة والزفت : نوع من القير تطلى به الآنية كي لا يترشح منها الماء .

(٢) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى : ٤٧٧ نقلاً عن المناقب لأحمد بن حنبل .

في طريقنا بركة « أُمّ أيمن » ـ مولاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ فذكرنا ذلك لها، فقالت : لا تفعل ودعنا نحن نكلّمه ، فإنّ كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال .

ثم انثنت راجعة فدخلت إلىٰ أمّ سلمة فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء النبي فاجتمعن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأحدقن به وقلن ـ والكلام لا يزال لأُمّ سلمة (أُمّ المؤمنين) ـ فديناك بآبائنا وأُمهاتنا يا رسول الله قد اجتمعنا لأمر لو أنّ خديجة في الأحياء لقرّت بذلك عينها، قالت أُمّ سلمة : فلمّا ذكرنا خديجة بكىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال (صلى الله عليه وآله) : « **خديجة وأين مثل خديجة ؟ صدّقتني حين كذّبني الناس ووازرتني علىٰ دين الله وأعانتني عليه بما لها** ».

قالت أُمّ سلمة : فقلنا: فديناك بآبائنا وأُمهاتنا ، يا رسول الله إنّك لم تذكر من خديجة أمراً إلّا وقد كانت كذلك ، غير أنّها قد مضت إلىٰ ربّها ، فهنّأها الله بذلك ، وجمع بيننا وبينها في درجات جنّته ورضوانه ورحمته، يا رسول الله هذا أخوك في الدين وابن عمك في النسب عليّ بن أبي طالب ، يحب أن تدخل عليه زوجته فاطمة وتجمع بها شمله، فقال : « **يا أُمّ سلمة ، فما بال عليّ لا يسألني ذلك ؟** » .

فقلت : يمنعه الحياء منك يا رسول الله ، قالت أُمّ أيمن : فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « **انطلقي إلىٰ عليّ فآتيني به** » ، فخرجت من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإذا عليّ ينتظرني ليسألني عن جواب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فلمّا رآني قال : « **ما وراءك يا أُمّ أيمن ؟** » .

قلت : أجب رسول الله، قال عليّ (عليه السلام) : « **فدخلت وقمن أزواجه فدخلن البيت وجلست بين يديه مطرقاً نحو الأرض حياءً منه** » ، فقال (صلى الله عليه وآله) : « **أتحبّ أن تدخل عليك زوجتك ؟** »، فقلت وأنا مطرق : « **نعم ، فداك أبي وأُمّي** » .

فقال : « نعم وكرامة ، يا عليّ ، أدخلها عليك في ليلتنا هذه أو في ليلة غد إن شاء الله »، فالتفت رسول الله (ﷺ) إلىٰ النساء وقال : «من هاهنا»؟ فقالت أُمّ سلمة : أنا أُمّ سلمة وهذه زينب وهذه فلانة وفلانة ، فقال رسول الله (ﷺ) : « هيّئوا لابنتي وابن عمّي في حجري بيتاً » فقالت أُمّ سلمة : في أيّ حجرة يا رسول الله ؟ فقال (ﷺ) : «في حجرتك»، وأمر نساءه أن يزيّنّ فاطمة ويصلحن من شأنها.

قالت أُمّ سلمة : فسألت فاطمة : هل عندك طيب ادّخرتيه لنفسك ؟ قالت(عليها السلام) : « نعم » فأتت بقارورة فسكبت منها في راحتي فشممت منها رائحة ما شممت مثله قطّ ، فقلت : ما هذا ؟ قالت (عليها السلام) : «كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله (ﷺ) فيقول لي (ﷺ) : يا فاطمة هاتِ الوسادة فاطرحيها لعمّك ، فأطرح له الوسادة فيجلس عليها ، فإذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني بجمعه [فسأل عليّ (عليه السلام) رسول الله (ﷺ) عن ذلك فقال (ﷺ): هو عنبر يسقط من أجنحة جبرئيل] ».

قال رسول الله (ﷺ) : « يا علي ، لا بدّ للعرس من وليمة » .

فقال سعد : عندي كبش ، وجمع رهط من الأنصار أصواعاً من ذرة، وأخذ رسول الله (ﷺ) من الدراهم التي سلّمها إلىٰ أُم سلمة عشرة دراهم فدفعها إليّ وقال : « اشتر سمناً وتمراً وإقطاً »، فاشتريت وأقبلت به إلى رسول الله (ﷺ) ، تحسر عن ذراعيه ودعا بسفرة من أدم ، وجعل يشدخ[١] التمر والسمن ويخلطهما بالأقط حتى اتخذه حيساً[٢]، ثم قال : « يا علي أُدعُ من أحببت » .

---

(١) الشَّدْخ :كسر الشيء الرطب أو الأجوف .

الأقِط : الجبن المتخذ من اللبن الحامض ، راجع كشف الغمة : ١ / ٣٦١.

(٢) الحيس : تمر يدق ويعجن بالسمن عجناً شديداً حتىٰ يندر النوىٰ منه .

فخرجت إلىٰ المسجد وهو مشحن بالصحابة ، فاستحييتُ أن أُشخص قوماً وأدع قوماً ، ثم صعدت علىٰ ربوة هناك وناديت : أجيبوا إلىٰ وليمة فاطمة، فأقبل الناس أرسالاً[1] فاستحييت من كثرة الناس وقلّة الطعام ، فعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما تداخلني ، فقال (صلى الله عليه وآله) : «**يا عليّ إنّي سأدعو الله بالبركة ، فجلّل السفرة بمنديل، وقال : أدخل عليَّ عشرة بعد عشرة ففعلت ، وجعلوا يأكلون ويخرجون لا ينقص الطعام**» وكان النبيّ (صلى الله عليه وآله) يصبّ الطعام بيده ، والعبّاس وحمزة وعليّ وعقيل يستقبلون الناس، قال عليّ : «**فأكل القوم عن آخرهم طعامي وشربوا شرابي ، ودعوا لي بالبركة وصدروا وهم أكثر من أربعة آلاف رجل**» .

ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالصحاف فملئت ووجه بها إلىٰ منازل أزواجه ، ثم أخذ صحيفة وجعل فيها طعاماً، وقال : « **هذه لفاطمة وبعلها** »[2].

٨ ـ مراسم ليلة الزفاف :

فلمّا انصرفت الشمس للغروب قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «**يا أُمّ سلمة هلمّي فاطمة**»، فانطلقت فأتت بها تسحب أذيالها وقد تصببت عرقاً حياءً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعثرت ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «**أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة**»، فلمّا وقفت بين يديه كشف الرداء عن وجهها حتىٰ رآها عليٌّ (عليه السلام) .

وأمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) بنات عبد المطّلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة، وأن يفرحن ويرجزن ويكبّرن ويحمدن ، ولا يقلن ما لا يرضي الله، قال جابر : فأركبها علىٰ ناقته أو علىٰ بغلته الشهباء، وأخذ سلمان زمامها ، وحولها سبعون ألف حوراء ، والنبيّ (صلى الله عليه وآله) وحمزة

---

(١) أرسال : جمع (رسل) وهو القطيع من كل شيء ، الجماعة .

(٢) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٣٢ ، ١٣٧ .

وعقيل وجعفر وبنو هاشم يمشون خلفها مشهرين سيوفهم، ونساء النبيّ(ﷺ) قدّامها يرجزن .

وكانت النّسوة يرجّعن أول بيت من كلّ رجز ثم يكبّرن، ودخلن الدار، ثم أنفذ رسول الله (ﷺ) إلىٰ عليّ ودعاه ، ثم دعا فاطمة فأخذ بيدها ووضعها في يد عليّ، وقال : « **بارك الله في ابنة رسول الله ، يا علي نِعم الزوج فاطمة، ويا فاطمة نِعم البعل عليّ** » .

ثم قال : « **يا عليّ هذه فاطمة وديعة الله ووديعة رسوله عندك، فاحفظ الله واحفظني في وديعتي** »(١) .

ثم دعا وقال : « **اللهمّ اجمع شملهما، وألّف بين قلبيهما ، واجعلهما وذرّيتهما من ورثة جنّة النعيم، وارزقهما ذرّية طاهرة طيبة مباركة ، واجعل في ذرّيتهما البركة ، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلىٰ طاعتك ويأمرون بما رضيت** » ثم قال : « **إنطلقا إلىٰ منزلكما ولا تُحدِثا أمراً حتىٰ آتيكما** ».

قال عليّ (عليه السلام) : « **فأخذت بيد فاطمة وانطلقت بها حتىٰ جلست في جانب الصفة وجلست في جانبها وهي مطرقة إلىٰ الأرض حياءً منّي وأنا مطرق إلىٰ الأرض حياءً منها** » .

فماكان إلّا أن دخل رسول الله (ﷺ) وبيده مصباح ، فوضعه في ناحية المنزل، وقال لي : « **يا عليّ خذ في ذلك القعب ماءً من تلك الشكوة ، ففعلت ثم أتيته به فتفل فيه تفلات ، ثم ناولني القعب وقال : اشرب منه ، فشربت ثم رددته إلىٰ رسول الله (ﷺ) فناوله فاطمة وقال : اشربي حبيبتي فشربت منه ثلاث جرعات ثم ردّته إليه، فأخذ ما بقي من الماء فنضحه علىٰ صدري وصدرها وقال: إنّما يريد الله ليذهب عنكم**

---

(١) شجرة طوبىٰ : ٢٥٤ .

الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ، ثم رفع يديه وقال : يا ربّ إنّك لم تبعث نبيّاً إلّا وقد جعلت له عترة ، اللهمّ فاجعل عترتي الهادية من عليّ وفاطمة ، ثم خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب وقال : طهّركما الله وطهّر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم ، أستودعكما الله وأستخلفه عليكما » وأغلق الباب وأمر النساء فخرجن .

فلمّا أراد الخروج رأىٰ امرأة فقال: من أنتِ؟، قالت : أسماء ، فقال : **«ألم آمركِ أن تخرجي؟»** قالت أسماء : بلىٰ يا رسول الله ـ فداك أبي وأُمي ـ وما قصدت خلافك ، ولكنّي أعطيت خديجة عهداً، حينما حضرت خديجة الوفاة بكت، فقلت: أتبكين وأنت سيدة نساء العالمين ؟ وأنتِ زوجة النبيّ (صلى الله عليه وآله) ومبشّرة علىٰ لسانه بالجنة ؟

فقالت : ما لهذا بكيت، ولكن المرأة ليلة زفافها لا بدّ لها من امرأة تفضي اليها بسرّها ، وتستعين بها علىٰ حوائجها ، وفاطمة حديثة عهد بصبا ، وأخاف أن لا يكون لها من يتولّىٰ أمرها حينئذٍ .

فقلت : يا سيدتي لك عليّ عهد الله إن بقيت إلىٰ ذلك الوقت أن أقوم مقامَكِ في هذا الأمر ، فبكىٰ رسول الله وقال : **«بالله لهذا وقفتِ ؟»**. فقلت : نعم والله ، فدعا لي(١).

٩ ـ زيارة النبيّ (صلى الله عليه وآله) للزهراء في صبيحة عرسها :

دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) علىٰ فاطمة (عليها السلام) في صبيحة عرسها بقدح فيه

---

(١) ورد في الروايات أنّ أسماء بنت عميس حضرت زفاف فاطمة ، وأسماء كانت مهاجرة بأرض الحبشة مع زوجها جعفر ابن أبي طالب (عليه السلام) ولم تعد هي ولا زوجها إلّا يوم فتح خيبر ، ولم تشهد زفاف فاطمة والتي حضرت الوفاة لعلّها (سلمىٰ بنت عميس) أُختها زوجة حمزة بن عبد المطلب ، وكانت أسماء أشهر من أُختها فرووا عنها أو أنّ راوياً واحداً سها وتبعه الآخرون . (كشف الغمة : ١ / ٣٦٨) .

لبن فقال : « اشربي فداكِ أبوك » ، ثم قال لعلي (عليه السلام) : « اشرب فداك ابن عمّك »[١] .

ثم سأل علياً : « كيف وجدت أهلك ؟ قال (عليه السلام) : نِعم العون على طاعة الله » . وسأل فاطمة فقالت : « خير بعل »[٢] .

قال عليّ (عليه السلام) : «ومكث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ذلك ثلاثاً لا يدخل علينا، فلمّا كان في صبيحة اليوم الرابع جاءنا (صلى الله عليه وآله) ليدخل علينا . . . » فلمّا دخل عليهما أمر علياً بالخروج ، وخلا بابنته فاطمة (عليها السلام) وقال : « كيف أنت يا بُنيّة ؟ وكيف رأيت زوجكِ ؟ » .

قالت : « يا أبه خير زوج ، إلّا أنّه دخل عليَّ نساء من قريش وقلن لي زوّجكِ رسول الله من فقير لا مال له »، فقال (صلى الله عليه وآله) لها : « يا بنية ما أبوك ولا بعلُك بفقير، ولقد عرضت عليّ خزائن الأرض ، فاخترت ما عند ربّي ، والله يا بنية ما ألوتك نصحاً أنّ زوّجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً » .

« يا بُنية إنّ الله ـ عزوجل ـ اطلع إلى الأرض فاختار من أهلها رجلين فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك ، يا بنية نِعم الزوج زوجكِ ، لا تعصي له أمراً » .

ثم صاح رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعليّ : « يا عليّ »، فقال : « لبيك يا رسول الله » ، قال : اُدخل بيتك والطف بزوجتك وارفق بها ، فإنّ فاطمة بضعة منّي، يؤلمني ما يؤلمها ويسرّني ما يسرّها ، أستودعكما الله وأستخلفه عليكم »[٣] .

وفي رواية : لمّا زوّج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إبنته فاطمة (عليها السلام) قال لها : « زوّجتك سيّداً في الدنيا والآخرة ، وإنّه أول أصحابي إسلاماً وأكثرهم علماً وأعظمهم

(١) كشف الغمة : ١ / ٣٦٨ .
(٢) بحار الأنوار : ٤٣ / ١١٧ .
(٣) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٣٢ .

حلماً »[١].

١٠ ـ تأريخ الزواج :

الروايات التي وردت عن أهل البيت (عليهم السلام) تنص كلّها على وقوع الزواج بعد عودة المسلمين من معركة بدر منتصرين.

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : « **تزوّج علي فاطمة (عليها السلام) في شهر رمضان وبنى بها في ذي الحجة من العام نفسه بعد معركة بدر** »[٢].

وروي أيضاً أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل بفاطمة (عليها السلام) بعد رجوعه من معركة بدر لأيام خلت من شوال السنة الثانية من الهجرة النبويّة المباركة[٣].

وروي في أوّل يوم من ذي الحجة (السنة الثانية من الهجرة) زوّج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة علياً (عليهما السلام)[٤].

* * *

(١) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٣٣، وكنز العمال : ١١ / ح٣٢٩٢٦ مثله، ومسند الإمام أحمد : ٥ / ٢٦ مثله، مختصر تاريخ دمشق : ١٧ / ٣٣٧.

(٢) كشف الغمة : ١ / ٣٦٤، بحار الأنوار : ٤٣ / ١٣٤.

(٣) أمالي الطوسي : ٤٣ مجلس ٢ حديث ٤٧.

(٤) مصباح المتهجد للطوسي : ٦١٣ (ط. حجرية).

مميّزات زواج الزهراء (عليها السلام) بعليّ (عليه السلام)

لقد امتاز زواج السيّدة فاطمة سلام الله عليها بما يلي :

١ ـ إنّه زواج من السماء وبأمر من الله تعالىٰ قبل أن يكون نسباً أرضياً ، ومجرد ارتباط عاطفي ، ويكفينا في ذلك ما رويَ عن عمر بن الخطاب إذ قال : نزل جبرئيل فقال : **«يا محمّد إنّ الله يأمرك أن تزوّج فاطمة ابنتك من عليّ »**[١] .

٢ ـ إنّ الله تعالىٰ قد جعل الذرّيّة النبويّة الطاهرة محصورة بهذا الزواج المبارك ، ومن طريق هذين الزوجين ، وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : **« كلّ نسب وسبب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي، وكلّ بني أُنثىٰ فعصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فإنّي أبوهم وأنا عصبتهم »**[٢] .

٣ ـ إنّ الزهراء (عليها السلام) وحيدة محمّد (صلى الله عليه وآله) التي لم يكن لها أُخت في النسب الأبوي ، أمّا زينب ورقية وأُمّ كلثوم ـ وإن اشتهرن بكونهنّ بنات محمّد (صلى الله عليه وآله) ـ فهنّ بنات هالة أُخت خديجة، وقد كنّ في بيت خديجة حينما اقترنت بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) ، ولم يؤيّد التحقيق التأريخي بنوّتهنّ لمحمّد (صلى الله عليه وآله)[٣] .

---

(١) ذخائر العقبىٰ : ٤١ ، وراجع شرح نهج البلاغة : ٩ / ١٩٣ .

(٢) كنز العمال : ج١٣ / ٣٧٥٨٦ ، وقريب منه ما في شرح نهج البلاغة : ١٢ / ١٠٦ .

(٣) الإمام علي بن أبي طالب سيرة وتاريخ : ص٢٧ ، الشيخ محمد حسن آل ياسين، وراجع الاستغاثة لأبي القاسم الكوفي المتوفىٰ ٣٥٢ : الصفحة ٨٠ ـ ٨٢ طبعة دار الكتب العلمية ـ قم .

من الزواج إلىٰ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)

١ ـ الزهراء (عليها السلام) في بيت الزوجيّة :

لمّا تزوّج علي من فاطمة (عليها السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليّ : «**اُطلب منزلاً**»، فطلب علي منزلاً فأصابه مستأخراً عن النبي (صلى الله عليه وآله) قليلاً فبنىٰ بها فيه .

فجاء النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلىٰ ابنته فقال : « **إنّي اُريد أن اُحوّلك إليّ** »، فقالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : «**فكلّمْ حارثة بن النعمان أن يتحوّل عنّي**» فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « **قد تحوّل حارثة عنّا حتىٰ قد استحييت منه** »، فبلغ ذلك حارثة فجاء إلىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) وقال : يا رسول الله إنّه بلغني أنّك تحوّل فاطمة إليك وهذه منازلي وهي أسقب بيوت بني النجّار بك ، وإنّما أنا ومالي لله ولرسوله ، والله يا رسول الله المال الذي تأخذ منّي أحبّ إليّ من الذي تدع، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « **صدقت ، بارك الله عليك** » فحوّلها رسول الله إلىٰ بيت حارثة[1] .

انتقلت السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلىٰ البيت الزوجي وكان انتقالها من بيت الرسالة والنبوّة الىٰ دار الإمامة والولاية ، فهي تعيش في جوّ تكتنفه القداسة والنزاهة ، وتحيط به عظمة الزهد وبساطة العيش ، وكانت تعين زوجها علىٰ أمر دينه وآخرته .

كان عليّ (عليه السلام) يحترم السيدة فاطمة الزهراء احتراماً لائقاً بها ، لا لأنّها زوجته فقط، بل لأنّها أحبّ الخلق إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولأنّها سيّدة نساء

(١) الطبقات لابن سعد : ٨ / ٢٢ ، طبعة دار الفكر .

العالمين، ولأنّ نورها من نور رسـول الله (ﷺ)، ولأنّـها مـجموعة الفـضائل والقيم.

ولم يُعلم بالضبط مدّة إقامة الإمام عليّ والسيّدة فـاطمة (عليهما السلام) فـي دار حارثة بن النعمان إلّا أنّ رسول الله (ﷺ) بنىٰ لها بيتاً ملاصقاً لمسجده، له باب شارع إلىٰ المسجد كبقية الحجرات التي بناها لزوجاته، وانتقلت السيدة فاطمة إلىٰ ذلك البيت الجديد الملاصق لبيت الله والمجاور لبيت رسول الله(ﷺ).

ولم يكن رسول الله (ﷺ) ليترك هذا الغـرس الـنبويّ دون أن يـرعاه ويحتضنه بتوجيهه وعنايته، فعاش الزوجان في ظلّ رسول (ﷺ) وفي كنفه ومنح(ﷺ) فاطمة بـعد زواجـها مـا لم يـمنحه لأحـد مـن الحبّ والنـصيحة والتوصية، فقد علّمها أبوها (ﷺ) معنى الحياة، وأوحىٰ لها بأنّ الإنسانية هي جوهر الحياة، وأنّ السعادة الزوجية القائمة علىٰ الخلق والقيم الإسلامية هي أسمىٰ من المال والقصور والزخارف وقطع الأثاث وتحف الفن المزخرفة.

وتعيش فاطمة الزهراء في كنف زوجها قريرة العين سعيدة النفس، لا تفارقها البساطة ولا يبرح بيتها خشونة الحياة، فهي الزوجة المثالية، زوجة عليّ (عليه السلام) بطل المسلمين، ووزير الرسول (ﷺ) ومشاوره الأول، وحـامل لواء النصر والجهاد، وعليها أن تكون بمستوىٰ المسؤولية الخـطيرة، وأن تكون لعليّ كما كانت اُمّها خديجه لرسول الله (ﷺ) تشاركه في جهاده وتصبر علىٰ قساوة الحياة ورسالة الدعوة الصعبة.

لقد كانت حقاً بمستوىٰ مهمتها التي اختارها الله تعالىٰ لهـا، فكـانت القدوة الصالحة للمسلم الرسالي وللمرأة النموذجية المسلمة.

أ ـ إدارة شؤون البيت والحياة الشاقة :

البيت الوحيد الذي كان يضمّ بين جدرانه زوجين معصومين مطهّرين منزّهين عن ارتكاب الذنوب واكتساب المآثم ، يتصفان بالفضائل الأخلاقية والكمال الإنساني هو بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) .

فعليّ (عليه السلام) نموذج الرجل الكامل في الإسلام ، وفاطمة نموذج المرأة الكاملة في الإسلام ، ترعرعا في ظلّ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وغذّاهما بالعلم وسائر الفضائل، واستأنست آذانهما الواعية منذ الصغر بالقرآن الكريم وهما يسمعان النبيّ (صلى الله عليه وآله) يرتّله ليلاً ونهاراً وفي كلّ آن، وأطلّا على الغيب وارتشفا العلوم والمعارف الإسلامية من معينها الأصيل ومنبعها العذب، ورأيا الإسلام يتحرّك في شخص رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكيف إذن لا تكون أسرتهما النموذج الأمثل للأُسرة المسلمة ؟.

كان بيت عليّ وفاطمة (عليهما السلام) أروع نموذج في الصفاء والإخلاص والمودّة والرحمة ، تعاونا فيه بوئام وحنان على إدارة شؤون البيت وإنجاز أعماله، وقضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بخدمة فاطمة دون الباب وقضى على عليّ (عليه السلام) بما خلفه .

قالت فاطمة (عليها السلام) : « **فلا يعلم ما داخلني من السرور إلّا الله ، بكفايتي رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحمّل رقاب الرجال** »(١) .

إنّ الزهراء خرّيجة مدرسة الوحي، وهي تعلم أنّ معقل المرأة من المواقع المهمّة في الإسلام ، وإذا ما تخلّت عنه وسرحت في الميادين

---

(١) بحار الأنوار : ٤٣ / ٨١.

الأُخرىٰ عجزت عن القيام بوظائف تربية الأبناء كما ينبغي، ومن هنا تهلّل وجهها بالبشر وداخلها السرور بما قضىٰ به الرسول (صلى الله عليه وآله).

لقد كانت بنت النبيّ الأكرم تبذل قصارىٰ جهدها لإسعاد أُسرتها، ولم تستثقل أداء مهام البيت رغم كلّ الصعوبات والمشاق، حتىٰ أنّ عليّاً أمير المؤمنين (عليه السلام) رقّ لحالها وامتدح صنعها، وقال لرجل من بني سعد: «ألا أُحدّثك عنّي وعن فاطمة؟ إنّها كانت عندي وكانت من أحبّ أهله (صلى الله عليه وآله) إليه، وإنّها استقت بالقربة حتىٰ أثّر في صدرها، وطحنت بالرحىٰ حتىٰ مجلت يداها، وكسحت البيت حتىٰ اغبرّت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتىٰ دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد فقلت لها: لو أتيت أباكِ فسألتيه خادماً يكفيكِ ضرّ ما أنتِ فيه من هذا العمل، فأتت النبيّ (صلى الله عليه وآله) فوجدت عنده حدّاثاً[1] فاستحت فانصرفت».

قال علي (عليه السلام): «فعلم النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّها جاءت لحاجة، قال (عليه السلام): فغدا علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونحن في لِفاعنا، فقال (صلى الله عليه وآله): السلام عليكم، فقلت: وعليك السلام يا رسول الله أُدخل، فلم يعد أن يجلس عندنا، فقال (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة، ما كانت حاجتك أمس عند محمّد؟ قال (عليه السلام): فخشيت إن لم تجبه أن يقوم، فأخبره عليّ بحاجتها، فقلت: أنا والله أُخبرك يا رسول الله إنّها استقت بالقربة حتىٰ أثّرت في صدرها وجرّت بالرحىٰ حتىٰ مجلت يداها وكسحت البيت حتىٰ اغبرّت ثيابها وأوقدت النار تحت القدر حتىٰ دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيتِ أباكِ فسألتيه خادماً يكفيك ضرّ ما أنت فيه من هذا العمل، فقال (صلى الله عليه وآله): أفلا أُعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبّرا أربعاً وثلاثين».

وفي رواية: أنّها لمّا ذكرت حالها وسألت جارية بكىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله)

---

(١) أي: جماعة يتحدّثون معه.

فقال : « يا فاطمة والذي بعثني بالحقّ ، إنّ في المسجد أربعمائة رجل ما لهم طعام وثياب ولو لا خشيتي لأعطيتك ما سألتِ ، يا فاطمة وإنّي لا أُريد أن ينفك عنكِ أجرك إلى الجارية ، وإنّي أخاف أن يخصمك علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم القيامة بين يدي الله ـ عزوجل ـ إذا طلب حقّه منكِ، ثم علّمها صلاة التسبيح » .

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « مَضَيْتِ تريدين من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الدنيا فأعطانا الله ثواب الآخرة »[1] .

وفي ذات يوم دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عليّ (عليه السلام) فوجده هو وفاطمة (عليها السلام) يطحنان في الجاروش، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) : «أيّكما أعيىٰ ؟» فقال عليّ (عليه السلام) : «فاطمة يا رسول الله» فقال (صلى الله عليه وآله) : « قومي يا بنية » ، فقامت وجلس النبي (صلى الله عليه وآله) موضعها مع علي (عليه السلام) فواساه في طحن الحبّ[2] .

وروي عن جابر الأنصاري أنّه رأى النبي (صلى الله عليه وآله) فاطمة وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها ، فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال : « يا بنتاه ، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة » فقالت : « يا رسول الله ، الحمد لله على نعمائه ، والشكر لله على آلائهِ » ، فأنزل الله ﴿ ولسوف يعطيك ربّك فترضىٰ ﴾[3] .

وعن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال : « كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة (عليها السلام) تطحن وتعجن وتخبز »[4] .

وعن أنس : أنّ بلالاً أبطأ عن صلاة الصبح ، فقال له النبيّ (صلى الله عليه وآله) : «ما

(١) بحار الأنوار : ٤٣ / ٨٥.
(٢) المصدر السابق : ٤٣ / ٥٠ .
(٣) المصدر السابق : ٣ / ٨٦.
(٤) المصدر السابق : ١٥١ .

حبسك ؟ » قال : مررت بفاطمة تطحن والصبي يبكي ، فقلت لها : إن شئت كفيتك الرحىٰ وكفيتني الصبي ، وإن شئت كفيتكِ الصبي وكفيتني الرحىٰ فقالت : « **أنا أرفق بابني منك** » .

فذاك الذي حبسني ، قال (ﷺ) : « **فرحمتها ، رحمك الله** »[١] .

وعن أسماء بنت عميس عن فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) : « أنّ الرسول (ﷺ) **أتىٰ يوماً فقال : أين ابناي ؟** » يعني حسناً وحسيناً ، قالت : « **أصبحنا وليس عندنا في بيتنا شيء يذوقه ذائق** » . فقال عليّ (ع) : « **اذهب بهما إلىٰ فلان** »؟، فتوجّه إليهما رسول الله (ﷺ) فوجدهما يلعبان في مشربة بين أيديهما فضل من تمر فقال (ﷺ) : «**يا عليّ ، ألا تقلب ابنيّ قبل أن يشتدّ الحرّ عليهما ؟**» فقال عليّ (ع) : « **أصبحنا وليس في بيتنا شيء ، فلو جلست يا رسول الله حتىٰ أجمع لفاطمة تمرات** »، فلمّا اجتمع له شيء من التمر جعله في حجره ثم عاد إلىٰ البيت[٢] .

وعن عمران بن حصين قال : كنت مع النبيّ (ﷺ) جالساً إذ أقبلت فاطمة فوقفت بين يديه فنظر اليها وقد غلبت الصفرة علىٰ وجهها ، وذهب الدم من شدّة الجوع ، فقال : « **أُدني يا فاطمة** » فدنت ثم قال : « **أُدني يا فاطمة** » فدنت حتىٰ وقفت بين يديه ، فوضع يده علىٰ صدرها في موضع القلادة وفرج بين أصابعه وقال : « **اللهمّ مشبع الجاعة ورافع الوضعة لا تجع فاطمة بنت محمّد** »[٣] .

هذه هي الدنيا في عين فاطمة بنت الرسول مواجهة للمعاناة وتألّم من الجوع وانهيار من التعب ، ولكن كلّ ذلك يبدو ممزوجاً بحلاوة الصبر وندىٰ

(١) ذخائر العقبىٰ : ٦١ .

(٢) المصدر السابق : ٥٩ .

(٣) نظم درر السمطين : ١٩١ .

الايثار ، لأنّ وراءه نعيماً لا انتهاء له ، حصة يوم يوفّىٰ الصابرون أجرهم بغير حساب .

إنّ إلقاء نظرة فاحصة علىٰ حياة الزهراء (عليها السلام) توضّح لنا أنّ حياتها الشاقة لم تتغيّر حتىٰ بعد أن أصبحت موفورة المال ، في سعة من العيش ـ خصوصاً بعد فتح بني النضير وخيبر وتمليكها فدكاً وغيرها ـ عمّا كانت عليه قبل ذلك رغم غلّتها الوافرة، إذ روي أنّ فدكاً كان دخلها أربعة وعشرين ألف دينار ، وفي روايةٍ سبعين ألف دينار سنوياً[١] .

فالزهراء لم تعمر الدور ولم تبن القصور ولم تلبس الحرير والديباج ولم تَقْتَنِ النفائس، بل كانت تنفق كلّ ذلك علىٰ الفقراء والمساكين وفي سبيل الدعوة إلىٰ الله ونشر الإسلام .. وهكذا كان حال زوجها عليّ (عليه السلام) الذي أوقف علىٰ الحُجاج مائة عين استنبطها في ينبع[٢] وقد بلغت صدقات أمواله في السنة أربعين ألف دينار[٣] وكانت صدقاته هذه كافية لبني هاشم جميعاً إن لم نقل إنّها تكفي أُمة كبيرة من الناس من غيرهم، إذا لاحظنا أنّ ثلاثين درهماً كانت كافية لشراء جارية للخدمة، وكان الدرهم يكفي لشراء حاجات كثيرة حينذاك .

ب ـ طيب معاشرتها للإمام عليّ (عليه السلام) :

عاشت الزهراء (عليها السلام) في بيت أعظم شخصية إسلامية بعد الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) على الإطلاق ، رجلٍ مهمته حمل راية الإسلام والدفاع عنه .

(١) سفينة البحار : ٧ / ٤٥ .

(٢) المناقب : ٢ / ١٢٣ ، وبحار الأنوار : ٤١ / ٣٢ .

(٣) كشف المحجة : ص١٣٣ ، وأنساب الأشراف : ٢ / ١١٧ ، ومجمع الزوائد : ٩ / ١٢٣ ، وبحار الأنوار : ٤١ / ٤٣ ، وأسد الغابة : ٤ / ٢٣ .

وكانت الظروف السياسية حساسة وفي غاية الخطورة يوم كانت جيوش الإسلام في حالة إنذار دائم، إذ كانت تشتبك في حروب ضروس في كلّ عام ، وقد اشترك الإمام عليّ (عليه السلام) في أكثرها .

وكانت الزهراء توفّر الجوّ اللازم والدفء والحنان المطلوب في البيت المشترك، وبهذا كانت تشترك في جهاد عليّ أيضاً فإنّ جهاد المرأة حسن التبعّل كما ورد في الحديث الشريف(١) .

لقد كانت الزهراء (عليها السلام) تشجّع زوجها ، وتمتدح شجاعته وتضحيته، وتشدّ على يده للمعارك المقبلة، وتسكّن جراحه وتمتص آلامه ، وتسرّي عنه أتعابه ، حتى قال الإمام عليّ (عليه السلام) : « **ولقد كنت أنظر اليها فتنجلي عنّي الغموم والأحزان بنظرتي اليها** »(٢) .

ولقد كانت حريصة كلّ الحرص في القيام بمهام الزوجية، وما خرجت فاطمة (عليها السلام) من بيتها يوماً بدون إذن زوجها ، وما أسخطته يوماً وما كذبت في بيته وما خانته وما عصت له أمراً، وقابلها الإمام عليّ (عليه السلام) بنفس الاحترام والودّ وهو يعلم مقامها ومنزلتها الرفيعة، حتى قال : « **فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها من بعد ذلك حتى قبضها الله إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً** »(٣) .

وذكر الإمام (عليه السلام) ذلك في لحظات عمر الزهراء (عليها السلام) الأخيرة حين أرادت أن توصيه : « **يا ابن عمّ! ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ، ولا خالفتك منذ عاشرتني** »؟ فقال (عليه السلام) : « **معاذ الله ، أنتِ أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً منه، والله جدّدت عليّ مصيبة رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **وقد عظمت وفاتكِ وفقدك ، فإنّا لله وإنّا اليه**

---

(١) وسائل الشيعة : ٢٠ / ٢٢١ طبعة مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) .

(٢) المناقب للخوارزمي : ٣٥٣، طبعة مؤسسة النشر الاسلامي .

(٣) المصادر السابق.

راجعون »(١).

وعن أبي سعيد الخدري قال : أصبح عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ذات يوم ساغباً فقال : « يا فاطمة هل عندك شيء تغذينيه ؟» قالت : «لا ، والذي أكرم أبي بالنبوّة وأكرمك بالوصيّة ما أصبح الغداة عندي شيء وما كان شيء أُطعمناه مذ يومين إلّا شيء كنت أُؤثرك به على نفسي وعلى ابنيّ هذين (الحسن والحسين) فقال عليّ (عليه السلام) : «يا فاطمة ألا كنت أعلمتني فأبغيكم شيئاً ؟» فقالت: «يا أبا الحسن إنّي لأستحي من إلهي أن أكلّف نفسك ما لا تقدر عليه»(٢).

هكذا عاش هذان الزوجان النموذجيان في الإسلام، وأدّيا واجباتهما، وضربا المثل الأعلى للأخلاق الإسلامية السامية، كيف لا؟ وقد قال النبيّ (صلى الله عليه وآله) في ليلة الزفاف لعليّ (عليه السلام) : « يا عليّ ، نِعمَ الزوجة زوجتك » وقال لفاطمة (عليها السلام) : « يا فاطمة نِعم البعل بعلُك »(٣).

وقال (صلى الله عليه وآله) : « لو لا عليّ لم يكن لفاطمة كفؤ »(٤).

ج ـ فاطمة (عليها السلام) في دور الأمّ :

إنّ الأُمومة من الوظائف الحساسة والمهام الثقيلة التي أُلقيت على عاتق الزهراء (عليها السلام) حيث أنجبت خمسة أطفال هم : الحسن والحسين وزينب وأُمّ كلثوم في حين اسقط جنينها المحسن قبل ولادته(٥).

---

(١) روضة الواعظين : ١ / ١٥١.

(٢) بحار الأنوار : ٤٣ / ٥٩.

(٣) المصدر السابق : ٤٣ / ١١٧ ، ١٣٢.

(٤) كشف الغمة : ١ / ٤٧٢.

(٥) لأنّ المحسن ولد ميتاً من ضربة المهاجمين على دار الزهراء بعد امتناع علي(عليه السلام) من البيعة بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله). وقد عدّ ابن عساكر في تأريخه في ترجمة الإمام الحسن ـ أولاد السيّدة الزهراء ـ وأورد ←

وقد قدّر الله سبحانه وتعالىٰ أن يكون نسل رسول الله (ﷺ) وذرّيّته من فاطمة (ﷺ)، كما أخبر رسول الله (ﷺ) بقوله: «**إنّ الله جعل ذرّيّة كلّ نبيّ في صلبه وجعل ذرّيّتي في صلب عليّ بن أبي طالب**»[١].

إنّ الزهراء (ﷺ) ـ وهي ربيبة الوحي والنبوّة ـ تَعرِف جيداً مناهج التربية الإسلامية والتي تجلّت في تربيتها لمثل الحسن (ﷺ) الذي أعدّته ليتحمّل مسؤولية قيادة المسلمين ويتجرّع الغصص في أحرج اللحظات من تأريخ الرسالة، ويصالح معاوية على مضضٍ حفاظاً على سلامة الدين الإسلامي والفئة المؤمنة، ويعلن للعالم أنّ الإسلام وهو دين السلام لا يسمح لأعدائه باستغلال مشاكله الداخلية لضربه وإضعافه، فيُسقط ما في يد معاوية ويُفشل خططه ومؤامراته لإحياء الجاهلية، ويكشف تضليله لعامة الناس ولو بعد برهة، ويقضي على اللعبة التي أراد معاوية أن يمرّرها على المسلمين.

والزهراء (ﷺ) قد ربّت مثل الحسين (ﷺ) الذي اختار التضحية بنفسه وجميع أهله وأعزّ أصحابه في سبيل الله ومن أجل مقارعة الظلم والظالمين، ليُروّي بدمه شجرة الإسلام الباسقة.

وربّت الزهراء (ﷺ) مثل زينب وأُمّ كلثوم، وعلّمتهنّ دروس التضحية والفداء والصمود أمام الظالمين، حتىٰ لا يذعنّ ولا يخضعن للظالم وقوته، ويقلن الحقّ، أمام جبروت بني أُميّة بكلّ جرأة وصراحة، لتتضح خطورة المؤامرة على الدين وعلى أُمّة سيّد المرسلين.

← المحسن قائلاً: مات في حياة أبيه. فراجع.

(١) تأريخ بغداد: ١ / ٣١٦، كنز العمال: ١١ / ح ٣٢٨٩٢.

٢ ـ الزهراء (عليها السلام) مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) في تثبيت دعائم الدولة :

أ ـ الزهراء قبل فتح مكة :

منذ أن دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) المدينة المنورة كان دائباً على هدم أركان الجاهلية واستئصال جذورها وضرب مواقعها ، فكانت حياته في المدينة المنوّرة كما كانت في مكة حياة جهاد وبناء، جهاد المشركين والمنافقين واليهود والصليبيين ، وبناء الدولة الإسلامية العظيمة ، ونشر الدعوة وتبليغها في كلّ بقعة يمكن لصوت التوحيد أن يصل إليها، فراح رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحارب بالكلمة والعقيدة تارةً ، وبالسيف والقوة تارةً أُخرىٰ ، وبالأُسلوب الذي يمليه الموقف وتفرضه الحكمة .

وهكذا جاهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقاتل في مرحلة حرجة صعبة ، لم يكن يملك فيها من المال والجيوش والاستعدادات العسكرية ما يعادل أو يقارب جيوش الأحزاب وقوىٰ البغي والضلال التي تصدّت لدعوة الحق والهدىٰ ، بل كانت كلّ قواه قائمة في إيمانه وانتصاره بربّه وبالفئة المخلصة من أصحابه.

والذي يقرأ تاريخ الدعوة وجهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصبره واحتماله؛ يعرف عظمة هذا الإنسان المبدئي ، ويدرك قوّة عزيمته ومدىٰ صبره ورعاية الله ونصره له ولأُولئك المجاهدين الذين حملوا راية الجهاد بين يديه، فيكتشف مصدر النصر والقوة الواقعيين .

ولقد مرّت هذه الفترة الجهادية الصعبة بكامل ظروفها وأبعادها بفاطمة(عليها السلام) وهي تعيش في كنف زوجها وأبيها، تعيش بروحها ومشاعرها،

وبجهادها في بيتها ، وفي مواساتها ومشاركتها لأبيها ، في شدّته ومحنته، فقد شهدت جهاد أبيها وصبره واحتماله ، شاهدته وهو يُجرح في (أُحد) وتُكسر رباعيته ، ويخذله المنافقون ، ويستشهد عمّ أبيها حمزة أسد الله ونخبة من المؤمنين معه .

روي أنّه لمّا انتهت فاطمة (عليها السلام) وصفيّة إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ بعد معركة أُحد ـ ونظرتا اليه قال (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) : « **أمّا عمّتي فاحبسها عنّي وأمّا فاطمة فدعها** » فلمّا دنت فاطمة (عليها السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورأته قد شُجّ وجهه وأُدمي فوه ، صاحت وجعلت تمسح الدم وتقول : اشتد غضب الله علىٰ مَنْ أدمىٰ وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان (صلى الله عليه وآله) يتناول في يده ما يسيل من الدم فيرميه في الهواء فلا يتراجع منه شيء[1].

وكانت فاطمة (عليها السلام) تحاول تضميد جرح رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقطع الدم الذي كان ينزف من جسده الشريف ، فكان زوجها يصبّ الماء علىٰ جرح رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي تغسله ، ولما يئست من انقطاع الدم أخذت قطعة حصير وأحرقتها حتىٰ صار رماداً فذرّته علىٰ الجرح حتىٰ انقطع دمه[2].

ويحدّثنا التأريخ عن مشاركة فاطمة (عليها السلام) بروحها ومشاعرها لأبيها في كفاحه وصبره وجهاده في أكثر من موقع .

فقد روي أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قدم من غزاة له ، فدخل المسجد فصلّىٰ فيه ركعتين ، ثم بدأ ـ كعادته ـ ببيت فاطمة قبل بيوت نسائه، جاءها ليزورها ويسر بلقائها ، فرأت علىٰ وجهه آثار التعب والإجهاد ، فتألّمت لمّا رأت وبكت فسألها (صلى الله عليه وآله) : « **ما يبكيك يا فاطمة ؟** » فقالت : « **أراك قد شحب**

(١) بحار الأنوار : ٢٠ / ٩٦، وروىٰ أحمد بن حنبل في مسنده : ٥ / ٣٣٤ ما في معناه .
(٢) فضائل الخمسة : ٣ / ١٦١ .

لو نك » فقال (صلى الله عليه وآله) لها : « يا فاطمة إنّ الله ـ عزوجل ـ بعث أباكِ بأمر لم يبق على ظهر الأرض بيت مدر ولا شعر إلّا دخله به عزّاً أو ذلاًّ يبلغ حيث يبلغ الليل »(١) .

وليست هذه العاطفة وتلك العناية والمشاركة مع الأب القائد والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) من ابنته فاطمة (عليها السلام) هي كلّ ما تقدّمه لأبيها من إيثارها له واهتمامها به ومشاركتها له في شدّته وعسرته ، إنّها جاءت يوم الخندق ورسول الله(صلى الله عليه وآله) منهمك مع أصحابه في حفر الخندق لتحصين المدينة وحماية الإسلام، جاءت وهي تحمل كسرة خبز فرفعتها اليه فقال (صلى الله عليه وآله) : **« ما هذه يا فاطمة ؟ »** قالت : **« من قرص اختبزته لابنيّ ، جئتك منه بهذه الكسرة »** فقال (صلى الله عليه وآله) : **« يا بنيّة أما إنّها لأول طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاث »**(٢) .

هذه صورة مشرقة لجهاد المرأة المسلمة تصنعها فاطمة في ظلال رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فهي تشارك بكلّ ما لديها لتشد أزر الإسلام وتكافح جنباً إلى جنب مع أبيها وزوجها وأبنائها في ساحة واحدة وخندق واحد، لتدوّنَ في صحائف التأريخ درساً عملياً تتلقاه الأجيال من هذه الأُمّة المسلمة ، فتتعلّم حياة الإيمان التي تصنعها عقيدة التوحيد بعيدة عن اللهو والعبث والضياع .

ب ـ الزهراء(عليها السلام) في فتح مكة :

لقد أحسّت سيّدة النساء بالغبطة والسعادة وقد رأت القسم الأكبر من الجزيرة يخضع لسلطان الإسلام ويدين برسالة أبيها، وها هي قريش مع عتوّها وكبريائها ترسل أحد زعمائها إلى يثرب عاصمة الإسلام لتفاوض

---

(١) فضائل الخمسة (الفيروز آبادي) : ٣ / ١٦١ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٢ / ٣٠، وكنز العمال ١ / ح ١٤٤٨ .

(٢) ذخائر العقبى : ٤٧ ، وفضائل الخمسة : ٣ / ١٦١ .

النبيّ (ﷺ) علىٰ تمديد أمد الهدنة التي تمّ الاتفاق عليها في الحديبية، حينما ذهب النبيّ معتمراً في العام السادس للهجرة .

لقد أرسلت قريش زعيمها أبا سفيان بعد أن أخلّت بالشروط التي تمّ الاتفاق عليها ليعرض على النبيّ طلب قريش فلم يجد تجاوباً من النبيّ، فاستجار بجماعة من المسلمين فلم يجره أحد حتىٰ ابنته رملة زوجة النبيّ(ﷺ)، فدخل علىٰ عليّ والزهراء (عليهما السلام) يطلب منهما الشفاعة له عند رسول الله (ﷺ) فأبىٰ كلّ من عليّ والزهراء والحسنين (عليهم السلام) أن يجيروه، ولمّا يئس من أن يجيره مسلم من المسلمين رجع آيساً خائفاً منكسراً يتعثّر بالفشل والخذلان .

وأيقنت الزهراء من موقف أبيها من أبي سفيان أنّه سيفتتح مكة ، ودنت الأيام فخرج الرسول في عشرة آلاف من المسلمين ولواؤه مع ابن عمّه ووصيّه عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وخرجت معه الزهراء فيمن خرج معه من النساء، لقد ظلّت الزهراء إلىٰ جانب أبيها مزهوّة بنصر الله وقد رأت الأصنام تحت أقدام أبيها، ورأت قريشاً تلوذ به وتقول : أخ كريم وابن أخ كريم ، وأبوها يقول لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

لقد كانت الأيام التي قضتها الزهراء مع أبيها في مكة حافلة بالذكريات، حيث تذكّرت فيها أيام أبيها يوم كان المشركون يطاردونه وأصحابه ويحاصرونه في الشعب، كما وتذكّرت أيام أُمها خديجة وعمّ أبيها أبي طالب.

لقد رأت في تلك الرحلة المظفرة هوازن وثقيفاً وأحلافهما من العرب الذين ظلّوا حتى ذلك التاريخ على موقفهم المتصلّب من الإسلام، رأتهم ينهارون وتندك حصونهم ومعاقلهم وتقع أموالهم وصبيانهم ونساؤهم في

معركة حنين غنيمة للمسلمين .

وعادت مع أبيها وزوجها إلىٰ مدينة الأنصار تاركةً مكة مـرتع الصبا وموطن الأهل والأحباب ، وامتدّت حياتها عامين بعد هذه الرحلة وكانا من أسعد أيّام حياتها حيث الإسلام قد انتشر في جميع أنحاء الجزيرة، وأصبح الأول من بين الأديان[1] .

٣ ـ حجة الوداع والأيّام الأخيرة :

ومرّت تلك الأيام بعطائها وحلوها ومرّها حتىٰ جاءت السنة العـاشرة من الهجرة دعا النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) عامة المسلمين لأداء مناسك الحج ، وحجّ بهم حجّة الوداع ، وعلّمهم أحكام الحج ومناسكه، وعند العودة توقّف الركب عند غدير خم ، وصعد النبي (صلى الله عليه وآله) علىٰ منبرٍ من أحداج الإبل ونادىٰ بصوت عالٍ بعد تمهيدات عديدة : « **من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عـاداه** » فنصب عليّاً (عليه السلام) لخلافته من بعده ، ثم أمر المسلمين فـبايعوا عـليّاً وسلّموا عليه بإمرة المؤمنين ، ثمّ تفرّقوا في بلدانهم ، وعاد النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلىٰ المدينة .

وبدخول السنة الحادية عشرة من الهجرة، وفي الأيام الأخيرة من شهر صفر اشتكىٰ النبيّ من مرضٍ ألمّ به، وكان قد عزم عـلىٰ غـزو الروم وأعـدّ لقيادة جيشه أُسامة بن زيد وهو في مطلع شبابه ، وأمـر جـميعَ المـهاجرين والأنصار أن ينضمّوا اليه ، وجعل يستحثّهم علىٰ الخروج، ونصّ علىٰ بعضهم بالاسم ليخلي الساحة من المـخالفين والمـتربصين، ويـفوّت الفـرصة عـلىٰ المعارضين لخلافة الإمام عليّ (عليه السلام) .

---

(١) راجع سيرة الأئمة الاثني عشر : ١ / ١٠٠ ـ ١٠٥ .

وظنّ أكثر المسلمين في بداية الأمر أنّها وعكة صحيّة طارئة لا تلبث أن تزول بسرعة ، غير أنّ الزهراء لم تكد تسمع بشكوىٰ أبيها حتىٰ ارتجّ قلبها وانهارت وكأنّها والموت علىٰ ميعاد ، فقد بانت أمارات الموت عليه(ﷺ) وضعفت صحّته ، فكان يتهيّأ ويوصي بأهل بيته في كلّ مناسبة، ويزور البقيع ويخاطبهم بكلمات تُشعر بدنوّ أجله ، لا سيما وقد سمعته قبل ذلك يقول في بعض المناسبات لأصحابه وهو يعظهم : « **يوشك أن أُدعىٰ فأُجيب**»، وسمعته يقول في حجّة الوداع علىٰ جبل عرفات وقد وقف بين المسلمين : «**لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا**»، وتكرّرت منه هذه المقالة في السنة العاشرة من الهجرة.

ومرّةً رأت فاطمة (عليها السلام) في منامها ـ بعد حجّة الوداع ـ أنّها كانت تقرأ القرآن وفجأةً وقع القرآن من يدها واختفىٰ ، فاستيقظت مرعوبةً وقصّت الرؤيا علىٰ أبيها (ﷺ) فقال رسول الله (ﷺ) : « **أنا ذلك القرآن ـ يا نور عيني ـ وسرعان ما أرحل** »[١] .

لقد كانت فاطمة (عليها السلام) وأمير المؤمنين أشدّ الناس لصوقاً وأقربهم إلىٰ رسول الله في فترةِ مرضه وحتىٰ وفاته (ﷺ)، فعن عليّ (عليه السلام) : أنّ معاذاً سأل عائشة كيف وجدت رسول الله (ﷺ) عند وجعه ووفاته ؟ فقالت : يا معاذ ما شهدته عند وفاته ولكن دونك هذه فاطمة ابنته فاسألها[٢] .

كما أنّ فاطمة كانت تطوف حين مرض النبيّ (ﷺ) علىٰ أزواجه فتقول : إنّه يشق علىٰ النبيّ (ﷺ) أن يطوف عليكنّ ، فقلن هو في حلّ[٣] .

(١) رياحين الشريعة : ١ / ٢٣٩ .

(٢) راجع الإصابة : ٢ / ١٧٨ (ط . مصر) .

(٣) راجع عوالم العلوم : ١١ / ٣٩٠ .

واشتد المرض بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) أكثر فأكثر، فهو مسجّىً على فراش الموت والزهراء بجانبه يشتدّ وجدها على أبيها، وتقول: واكربي لكربك يا أبتاه! فتارةً تحدّق في وجهه الشاحب وتذرف الدموع الساخنة، وأُخرى تدعو له بالسلامة.

لقد ثقل المرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى أُغمي عليه، فلمّا أفاق؛ وجد أبا بكر وعمر وآخرين عنده، فقال (صلى الله عليه وآله): **«ألم آمركم بالمسير في جيش أُسامة؟»** فاعتذروا إلّا أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان يعلم ما تُكِنُّ صدورهم وما يبيّتون من بقائهم في المدينة ليبتزّوا مركز القيادة الإسلامية، فقال (صلى الله عليه وآله): **«إئتوني بدواة وبياض، أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي أبداً»**، فتنازعوا فقالوا: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يهجر وفي نص آخر: قال عمر: إن النبيّ غلبه الوجع حسبُنا كتاب الله فاختلفوا وكثر اللغط، قال (صلى الله عليه وآله): قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع[١].

كانت الزهراء ترىٰ كلّ ذلك بقلب حزين وعين دامعة، وكأنّها ترتقب أياماً صعبة الأحداث.

٤ ـ وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله) في ساعة الوداع:

لما ثقل واشتد المرض برسول الله (صلى الله عليه وآله) وحضرته الوفاة؛ أخذ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) رأسه الشريف فوضعه في حجره، فأُغمي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفاطمة (عليها السلام) تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وأبيض يستسقىٰ الغمام بوجهه ثمال اليتامىٰ عصمة للأرامل

ففتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) عينيه وقال بصوت ضعيف: **«بُنيّة قولي: ﴿ وما**

---

(١) الكامل في التأريخ: ٢ / ٣٢٠، طبعة دار الفكر ـ بيروت، وصحيح البخاري: كتاب العلم، باب كتابة العلم.

محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ »[1] .

فبكت طويلاً فأومأ اليها بالدنوّ منه ، فأسرّ إليها شيئاً فتهلّل وجهها له . فقيل لها (ع) بعد وفاة رسول الله (ص) : ما الذي أسرّ اليك رسول الله (ص) فسرى عنك به ماكنت عليه من الحزن والقلق بوفاته ؟ قالت : «إنّه أخبرني أنّني أول أهل بيته لحوقاً به ، وأنّه لن تطول المدّة لي بعده حتى أدركه ، فسرى ذلك عنّي »[2].

وعن أنس قال : جاءت فاطمة ومعها الحسن والحسين (عليهم السلام) إلى النبيّ (ص) في المرض الذي قبض فيه فانكبّت عليه فاطمة وألصقت صدرها بصدره وجعلت تبكي ، فقال لها النبيّ (ص) : «يا فاطمة لا تبكي عليّ ولا تلطمي ولا تخمشي عليّ خداً ولا تجزّي عليّ شعراً ، ولا تدعي بالويل والثبور ، وتعزّي بعزاء الله ، ثم بكى وقال : اللهمّ أنت خليفتي في أهل بيتي ، اللهمّ هؤلاء وديعتي عندك وعند المؤمنين ».

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة أنّها قالت : أقبلت فاطمة تمشي كأنّ مشيتها مشي النبيّ (ص) فقال النبيّ (ص) : «مرحباً بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسرّ اليها حديثاً فبكت ، فقلت : استخصّك رسول الله (ص) حديثه ثم تبكين ؟ ثم إنّه أسرّ لها حديثاً فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن ! فسألتها عمّا قال : فقالت : «ماكنت لأفشي سرّ رسول الله (ص)» حتى إذا قُبض النبيّ (ص) سألتها فقالت : «إنّه أسرّ إليّ فقال : « إنّ جبرئيل (ع) كان يعارضني بالقرآن في كلّ عام مرّة وإنّه عارضني به هذا العام مرّتين ، ولا أراه إلّا قد حضر أجلي فبكيت ، ثم قال لي : إنّك أوّل أهل بيتي لحوقاً بي ونعم

---

(١) آل عمران (٣) : ١٤٤ .

(٢) الكامل في التأريخ : ٢ / ٣٢٣ ، وطبقات ابن سعد : ٢ / ٣٩ ، ومسند أحمد ٦ / ٢٨٢ .

السلف أنا لكِ ، أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء أهل الجنة ؟ فضحكتُ »[١] .

وعن موسىٰ بن جعفر عن أبيه (عليهما السلام) : « لمّا كانت الليلة التي قُبض النبيّ في صبيحتها ، دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وأغلق عليه وعليهم الباب وقال (صلى الله عليه وآله) : يا فاطمة! وأدناها منه فناجاها من الليل طويلاً فلمّا طال ذلك خرج عليّ ومعه الحسن والحسين وأقاموا بالباب والناس خلف الباب ، ونساء النبيّ ينظرن إلىٰ عليّ (عليه السلام) ومعه إبناه » فقالت عائشة : لأمر ما أخرجك منه رسول الله وخلا بابنته عنك في هذه الساعة ؟ فقال لها عليّ (عليه السلام) : « قد عرفت الذي خلا بها وأرادها له ، وهو بعض ما كنتِ فيه وأبوك وصاحباه فوجمت أن تردّ عليه كلمة » .

قال عليّ (عليه السلام) : «فما لبث أن نادتني فاطمة (عليها السلام) فدخلت علىٰ النبيّ(صلى الله عليه وآله) وهو يجود بنفسه فقال لي : ما يبكيك يا عليّ ؟ ليس هذا أوان بكاء فقد حان الفراق بيني وبينك ، فأستودعك الله يا أخي ، فقد اختار لي ربّي ما عنده، وإنّما بكائي وغمّي وحزني عليك وعلىٰ هذه أن تضيع بعدي ، فقد أجمع القوم علىٰ ظلمكم ، وقد استودعتكم الله وقبلكم منّي وديعةً ، إنّي قد أوصيت فاطمة ابنتي بأشياء وأمرتها أن تلقيها اليك فنفذها فهي الصادقة الصدوقة » .

ثم ضمّها اليه وقبّل رأسها وقال : « فداكِ أبوكِ يا فاطمة » فعلا صوتها بالبكاء ثم ضمّها اليه وقال : « أما والله لينتقمنّ الله ربّي ، وليغضبنّ لغضبك، فالويل ثم الويل للظالمين ، ثمّ بكىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ».

قال عليّ (عليه السلام) : « فوالله لقد حسبت قطعة منّي ذهبت لبكائه حتىٰ هملت عيناه مثل المطر ، حتىٰ بلت دموعه لحيته وملاءة كانت عليه ، وهو يلتزم فاطمة لا يفارقها ورأسه علىٰ صدري وأنا مسنده، والحسن والحسين يقبلان ويبكيان بأعلىٰ أصواتهما» قال عليّ (عليه السلام): « فلو قلت إنّ جبرئيل في البيت لصدقت لأنّي كنت أسمع

(١) مسند أحمد : ٦ / ٢٨٢ .

بكاء نغمة لا أعرفها ، وكنت أعلم أنّها أصوات الملائكة لا شك فيها، لأن جبرئيل لم يكن في مثل تلك الليلة يفارق النبي (ﷺ) ، ولقد رأيت بكاءً من فاطمة أحسب أنّ السماوات والأرضين بكت لها » .

ثم قال (ﷺ) لها : « يا بنية ، الله خليفتي عليكم وهو خير خليفة ، والذي بعثني بالحقّ لقد بكى لبكائك عرش الله وما حوله من الملائكة والسماوات والأرضون وما بينهما ، يا فاطمة والذي بعثني بالحقّ لقد حرمت الجنة على الخلائق حتى أدخلها ، وإنّك لأول خلق الله يدخلها بعدي ،كاسية حالية ناعمة ، يا فاطمة هنيئاً لكِ ، والذي بعثني بالحقّ إنّ جهنّم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلّا صعق ، فينادى إليها أن يا جهنّم يقول لك الجبار اسكني بعزّي واستقري حتى تجوز فاطمة بنت محمد (ﷺ) إلى الجنان لا يغشاها فقر ولا ذلة، والذي بعثني بالحقّ ليدخلن حسن وحسين ، حسن عن يمينك وحسين عن يسارك ، ولتشرفنّ من أعلى الجنان بين يدي الله في المقام الشريف ، ولواء الحمد مع علي بن أبي طالب(ع) ، والذي بعثني بالحقّ لأقومن بخصومة أعدائك ، وليندمنّ قوم أخذوا حقكِ وقطعوا مودّتكِ وكذبوا عليّ ، وليختلجنّ دوني فأقول : أُمتي أُمتي، فيقال : إنّهم بدّلوا بعدك وصاروا إلى السعير »[1] .

إلى هنا ينتهي الحديث عن ثلاث مراحل من حياة الزهراء (ع) .

وأمّا المرحلة الرابعة من حياتها فهي تبدأ بعد وفاة أبيها المصطفى (ﷺ) وتنتهي باستشهادها (صلوات الله عليها) .

وحيث إنّ هذه المرحلة ـ بالرغم من قصرها ـ تشكّل مقطعاً متميّزاً في حياتها فسوف نفردها بباب خاصٍ ضمن عدّة فصول .

* * *

(١) بحار الأنوار : ٢٢ / ٤٩٠ ، وراجع : نصوص المقطع الأخير من الحديث في صحيح البخاري : كتاب الفتن، الأحاديث (١ ـ ٥) .

الباب الثالث

فيه فصول:

الفصل الأول :

الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها

الفصل الثاني :

مرض الزهراء (عليها السلام) واستشهادها

الفصل الثالث :

من تراث الزهراء (عليها السلام)

الفَصلُ الأوّلُ

الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها

١ ـ حدث السقيفة :

إنّ أصعب مرحلة في تأريخ الأُمة الإسلامية اشتعلت شرارتها ودوىٰ انفجارها هي التي أعقبت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

لقد كانت تحكم الظروف المعقّدة ـ آنذاك ـ عناصر موضوعية وأُخرىٰ ذاتية ، فالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) أتمّ تبليغ الرسالة الإسلامية كاملة عن الله عزوجل، وكان وجوده (صلى الله عليه وآله) عنصر الإشعاع الإيماني ومدعاةً للإستقرار والبناء ، ولكن عمق الخلل الكبير في المجتمع الإنساني والذي يمتد إلىٰ بُعد غير منظور ربّما كان متجسّداً في عقول وسلوك أفراد عديدين كانوا قريبين من مصادر قوة وحركة مجتمع الجزيرة ـ الحديث العهد بالإسلام ـ جعل التفاعل بين طرفي الحقّ والباطل يظهر بشدّة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) .

لقد كان الصراع الذي برز علىٰ ساحة المجتمع الإسلامي دليلاً علىٰ عدم استيعاب العدد الأكبر للعقيدة الإسلامية بكلّ أبعادها وحدودها ، وكان من نتائج هذا الصراع أن بدأت عملية انحراف التجربة الإسلامية وما يترتّب عليها من آثار سيئة علىٰ المسلمين إلىٰ يومنا هذا .

إنّ الفترة التي تلت وفاة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ازدحمت بالأحداث

المتناقضة والارتجالية ، ولكي ندرس حياة الزهراء (عليها السلام) في هذه الفترة لا بدّ أن نستعرض الوضع العام وما جرىٰ من أحداث، كي يمكن من خلالها أن نتصور حالة المجتمع أنذاك والقوىٰ المؤثّرة والمتفاعلة فيه وما تتركه من آثار علىٰ أهل بيت النبوّة عامة والزهراء (عليها السلام) خاصة من تعدّي وظلامات ، وأوّل ما يصادفنا هو إجتماع السقيفة ودوره الأساسي لكلّ المواقف التي تلته وتأسّست عليه .

لقد انشغل الإمام عليّ (عليه السلام) وأهل بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله) وبنو هاشم والموالون لهم في تجهيز النبيّ (صلى الله عليه وآله) والاستعداد لمراسم دفنه ، واستغلت هذا الانشغال العناصر التي كانت لها مطامع ورغبات في الوصول إلىٰ الزعامة غير عابئة بالأوامر والنواهي الإلهية التي وردت علىٰ لسان النبي الكريم .

لقد كان هناك موقفان : الأول : وقوف عمر بن الخطاب وهو يصرّح وسط جموع المسلمين المحتفين حول بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله) والحزن ظاهر عليهم : أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لَمْ يمت ، وأخذ يهدّد ويتوعّد من يدّعي ذلك وإصراره على موقفه المريب حتىٰ مجيء أبي بكر من خارج المدينة .

والموقف الآخر: اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة برئاسة سعد بن عبادة الخزرجي .

وقد اتفق المؤرّخون والمحدّثون بأنّ موقف عمر بن الخطاب انتهىٰ بحضور أبي بكر وقراءته للآية ﴿ **وما محمّد إلّا رسول ...** ﴾ علىٰ الناس، إذ هدأت ثورة عمر بن الخطاب وخرجا معاً من بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله) وتركاه بين أهله المفجوعين بوفاته .

والذي تؤكّده القرائن وسير الأحداث أنهما انصرفا إلىٰ مكانٍ ما كانوا قد أعدّوه لاتخاذ التدابير اللازمة ، وربّما أنّ أكثر الأنصار بما فيهم سعد بن عبادة

لم يضعوا في حسابهم غير عليّ (عليه السلام) للخلافة بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) كما كان الاعتقاد السائد بين عامة المسلمين أنّها لن تعدوه ، ولكن بعد أن تبيّن للأنصار أنّ شيوخ المهاجرين قد تكتّلوا لصرفها عنه والاستيلاء عليها وتجاهلوا نصوص الرسول عليه وأنّهم في هذا التحالف القرشي الجديد يرجعون إلىٰ إحياء الروح الجاهلية والنزعات القبلية ، في حين أنّهم قد قدّموا للدعوة وصاحبها وبذلوا له من أنفسهم وأموالهم ما لم يقدّمه ويبذله أحد من المهاجرين الذين يخطّطون للاستيلاء علىٰ السلطة من بعده ، بعد أن تبيّن لهم ذلك اجتمع فريق منهم بزعامة سعد بن عبادة في السقيفة للتداول بشأن الخلافة، وهتف جماعة منهم باسم سعد بن عبادة ، ولمّا اتّصل الخبر بالمهاجرين عن طريق بعض الأنصار الذين كانوا يناوئون سعداً ويعملون لغير صالحه، تركوا مكانهم وأقبلوا مسرعين إلى سقيفة بني ساعدة، فوقف خطيب الأنصار وأشاد بالأنصار ومواقفهم وتضحياتهم في سبيل الإسلام وتمنّى علىٰ المهاجرين أن لا يتجاهلوهم ويجعلوا لهم شيئاً من الأمر ، وتحدّث بعده أبو بكر فنوّه بفضل قريش وأمجادها وأعاد إلى الأذهان مواقف العرب قبل الإسلام وتفاخرهم بالأحساب والأنساب .

وجاء في رواية العقد الفريد أنّه قال : نحن المهاجرين أوّل الناس إسلاماً وأكرمهم أحساباً وأوسطهم داراً وأحسنهم وجوها وأمسّهم برسول الله رحماً ، ومضى يقول : إنّ العرب لا تدين إلّا لهذا الحيّ من قريش فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما فضّلهم الله به، فقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، وأشار إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح .

وانتهز أبو بكر ـ وهو يتحدّث عن قريش وأمجادها وعن المهاجرين بالذات ـ صوت بشير بن سعد الخزرجي وقد ارتفع في ناحية من نواحي البيت،

وأخذه الحسد لابن عمّه وهو يقول : أيّها الناس ألا إنّ محمّداً من قريش وإنّ قومه أحقّ به وأولى ، وأيم الله لا يراني الله أُنازعهم في هذا الأمر أبداً .

وأبى عليه الحباب بن المنذر الخزرجي أن يبرز بين الناس بهذا الأُسلوب الذي يتّسم بطابع الدجل والنفاق والحسد لابن عمّه ، فقال: لقد عزّ على بشير بن سعد أن يتولّى ابن عمّه السلطة بعد النبي حسداً وبغضاً، فظهر بمظهر من لا يريد أن ينازع أحداً حقّاً هو أولى به ، ثم قال : ما أحوجك إلى ما صنعت يا بشير! لقد نفست الإمارة على ابن عمّك سعد بن عبادة .

ولم ينته الجدل عند هذا الحد، بل قام أسيد بن حضير أحد زعماء الأوس يثير في النفوس أحقاد الجاهلية ويذكر بما بين الحيّين الأوس والخزرج من خلافات وأحقاد وعصبيات قد أطفأتها سماحة الإسلام ، ومضى يخاطب الأوس ويقول : يا بني الأوس، والله لأن وليتموها سعداً عليكم مرة لا يزال للخزرج بذلك عليكم الفضل ولا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً.

واستغل أبو بكر صوت بشير بن سعد الذي جرّ هذا الانقسام ، فأخذ عمر بن الخطاب بيد وأبا عبيدة بالأُخرى ونادى: أيّها الناس ، هذا عمر وهذا أبو عبيدة فبايعوا أيّهما شئتم ، وقام الحباب بن المنذر بعد هذا التدبير المدروس بين الثلاثة وقال : يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، واستولى الغضب على ابن الخطاب فانبرى يقول : من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلّا مدلٍ بباطل أو متجانف لإثم أو متورّط في هلكة؟

ولمّا سمع الحباب بن المنذر تحدّي عمر بن الخطاب وأُسلوبه المتغطرس توجّه إلى الأنصار وقال : أما إذا أبوا عليكم ما سألتموهم فاجلوهم عن هذه البلاد، فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم ، بأسيافكم دان بهذا الدين من

دان ، ثم انتضى سيفه يلوح به ويقول : أنا جذيلها المحكك وغذيقها المرجب ، أما والله إن شئتم لنعيدنّها جذعة ، وهنا عصف الغضب بجوانح عمر بن الخطاب وكاد أن يقع الشرّ بين الطرفين ، فوقف أبو عبيدة بن الجراح ليحول دون وقوع الفتنة ، فقال بصوت هادئ : يا معشر الأنصار كنتم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من غيّر وبدّل ، ومضى يتحدّث بلهجة فيها توسّل ورجاء فلم يلبثوا حتى هدأت نفوسهم وانقسم الأنصار على أنفسهم، وأسرع عمر بن الخطاب بعد هذا الحوار إلى أبي بكر وقال : أبسط يدك يا أبا بكر ، ما كان لأحد أن يؤخّرك عن مقامك الذي أقامك الله فيه ، وقام بعده أبو عبيدة بن الجراح وقال له : إنّك لأفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار وخليفة رسول الله على الصلاة ، فبسط أبو بكر لكليهما كفّه فبايعاه ، وأسرع بعدهما بشير بن سعد وجماعة من الخزرج فبايعوه وتبعهم أُسيد بن حضير بمن معه من الأوس ، وخرجوا من سقيفة بني ساعدة يهتفون لأبي بكر ولا يمرّون على أحد إلّا وأخذوا بيده وأمروها على يد أبي بكر ومن أبى ضربه عمر بن الخطاب بدُرّته وتكاثر عليه أتباعه حتى يرغموه على البيعة، وتمت بيعة أبي بكر بهذا النحو الذي كان مفاجأة لأكثر الناس .

ومن مجموع ذلك يتبيّن أنّ التخطيط لإقصاء عليّ عن السلطة والاستيلاء عليها لم يكن وليد ساعته كما تؤكده الشواهد، وأنّ موقف الأنصار بقيادة سعد بن عبادة كان ارتجالياً لم يُحَضّر له من قبل كما يبدو ذلك من اختلافهم وتضارب آرائهم ، كما تبيّن أنّ القادة الثلاثة أبا بكر وعمر بن الخطاب وابن الجراح هم قادة الحزب القرشي المتآمر على الاستيلاء على السلطة وإقصاء علي بن أبي طالب عنها، وأنّ أقوى ما لديهم من الأدلّة في مقابل الأنصار لا يعدو الأمرين : أولهما : أنّ المهاجرين أوّل الناس إسلاماً ،

والثاني: أنّهم أقرب الناس إلى رسول الله وأمّسهم به رحماً ، وقد أدان هؤلاء القادة أنفسهم بهذه الحجّة ، ذلك لأنّ الخلافة إذا كانت بالسيف إلى الإسلام والقرابة القريبة من رسول الله كما يدّعون فهي لعليّ (ﷺ) وحده ، لأنّه أوّل الناس إسلاماً وإيماناً وتصديقاً برسالة محمّد بن عبدالله (ﷺ) باتفاق جميع المسلمين ، وأخوه بمقتضى المؤاخاة التي عقدها النبيّ معه يوم آخى بين المهاجرين والأنصار في المدينة، وهو ابن عمّه نسباً، وأقرب الناس إلى نفسه وقلبه بلا شك في ذلك عند أحد من الناس .

لقد ناقض نفسه أبو بكر حينما احتجّ على الأنصار بالقرابة والسبق إلى الإسلام ورشّح لها عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح لأنّهما أسبق إلى الإسلام من الأنصار وأمسّهم بالنبي رحماً، وتجاهل علي بن أبي طالب الذي بايعه مائة ألف أو يزيدون في غدير خم قبل مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر، وقد سبق جميع الناس إلى الإسلام، وكان ابن عمّ النبي نسباً وأخاه وحده في الله بإجماع المؤرّخين والمحدّثين ، وبمواقفه وتضحياته وجهاده استقام الإسلام وانتصر على الشرك والوثنية وعلى قريش التي عادت سيرتها الأُولى تحارب محمداً المتمثّل في خط عليّ وشخصه (ﷺ) .

وما كان الأمر مخفياً على أبي بكر الذي يعتقد سلامة هذا الأُسلوب وكفايته حين رشّح لها أحد الرجلين، ولكنه هو وأنصاره كانوا قد خطّطوا لذلك، واتّفقوا مع بعض الأنصار والمهاجرين على إقصاء عليّ عن الخلافة والاستيلاء عليها بكلّ الأساليب ، وكان يتكلم مع الفريق الثاني من الأنصار الذين استفزّهم موقف أبي بكر وأنصاره، واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يتداولون في مصير الخلافة، كان يتكلّم معهم هو ورفيقاه بمنطق القويّ الذي يريد أن يفرض على الغير وجوده ولو بهذا النحو من التمويه والتضليل .

وممّا يدل على ذلك جواب عمر بن الخطاب له حينما أشار على الحضور أن يبايعوا أحد الرجلين عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة ، فأجابه على الفور: أيكون هذا وأنت حيّ ؟ ماكان لأحد أن يؤخّرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله[١]!

هذا الجواب يشير إلى تخطيط واتفاق بينهما على الأُسلوب الذي تتمّ فيه بيعة أبي بكر ، وفي الوقت ذاته يحاول ابن الخطاب من خلاله تضليل الرأي العام وإيهامه بأنّ رسول الله قد اختاره للخلافة كما يشير إليه قوله : ماكان لأحد أن يؤخّرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله ، هذا مع العلم بأنّ المؤرّخين لحياة الرسول (صلى الله عليه وآله) من القدامى والمحدّثين والثقات الذين حفظوا حديثه ورووه للأجيال لم يدّعوا بأنّ النبيّ قد لوّح له ـ ولو من بعيد ـ بذلك المقام الذي يعمل من أجله ابن الخطاب وأنصاره ، بل إنّ مواقف النبيّ معه كانت على العكس من ذلك فلم يعهد إليه بأمر ولا وضعه في مكان يحقّق له امتيازاً عن غيره ، وكان إذا أرسله على رأس سرية من السرايا ـ كما حدث له في غزوة السلاسل ـ أو أعطاه الراية ـ كما صادف ذلك في خيبر ـ يرجع فاشلاً مخذولاً ، وفي الأيام الأخيرة من حياته بعد أن علم بقرب أجله أراد أن يخرجه من المدينة كجندي من جنود المسلمين هو وعمر بن الخطاب بقيادة أُسامة بن زيد وهو شاب لا يتجاوز العشرين من عمره على أبعد التقادير .

أمّا حديث صلاته بالناس في بعض الأيام خلال مرض النبي الذي أشار

---

(١) راجع تفصيل أخبار السقيفة : ابن هشام : ٤ / ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ، تأريخ الطبري حوادث سنة ١١ : ٢ / ٤٤٣ ، وأنساب الأشراف : ١ / ٥٦٣ ـ ٥٦٧ ، طبقات ابن سعد ٢ ق ٢ / ٥٣ ـ ٥٤ ، وتاريخ ابي الفداء : ١ / ١٦٤ ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٢ / ٢١ ـ ٥٧ ، حياة الإمام الحسن بن علي : ١ / ١٥٠ .

إليه أبو عبيدة في حديثه مع الأنصار فمع أنّ إمامة المصلّين كانت ولا تزال مألوفة يتعاطاها الكبير والصغير والفاضل والمفضول فهي على تقديرها لا توجب له فضلاً على أحد من الناس ، وليست من مختصّات الأنبياء والأولياء والقدّيسين ، ولقد دعته إليها ابنته عائشة حيث كان النبي في وضع لا يسمح له بترك فراشه ، ولمّا علم بالأمر خرج يتوكّأ على علي والعباس ونحّاه عن محرابه ، وصلّى بالناس وهو يعاني من وطأة المرض وآلامه .

والشيء الغريب الذي لا يقرّه العقل والمنطق أن يعتبرها جماعة من علماء السنّة ومحدّثيهم فضيلة لأبي بكر تؤهّله للخلافة ، في حين أنّهم يعترفون بمواقف النبي (ﷺ) من علي يوم الدار وفي أُحد والأحزاب والحديبية وخيبر وحنين وتبوك وفي غدير خم، ومؤاخاته له في مكة والمدينة، ولا يرون في جميع ذلك دليلاً على اختياره لمنصب الخلافة من بعده، بل ولا تلميحاً على اختياره ، ويرون في صلاة أبي بكر ركعتين بالمسلمين دليلاً واضحاً على إعداده لقيادة الأُمة من بعده وإعطائه الصلاحيات التي كانت له .

وممّا يدل على أنّ حركة الأنصار واجتماعهم في السقيفة كانت رداً على التخطيط الذي وضعه المهاجرون للاستيلاء على السلطة ما جاء في رواية الزبير بن بكار حيث قال :

لمّا بايع الجماعة أبا بكر؛ أقبلوا به على المسجد يزفّونه زفّاً ، فلمّا كان آخر النهار اجتمع قوم من الأنصار وقوم من المهاجرين وتعاقبوا فيما بينهم على الكلام ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يا معشر الأنصار إنكم وإن كنتم أُولي فضل ونصر وسابقة ولكن ليس فيكم مثل أبي بكر ولا عمر ولا عليّ ولا أبي عبيدة .

فقال زيد بن أرقم: إنّا لا ننكر فضل من ذكرت يا عبد الرحمن، وإنّ منّا لسيد الأنصار سعد بن عبادة، ومن أمر الله رسوله أن يقرئه السلام وأن يأخذ عنه القرآن أُبي بن كعب ومن يجيء يوم القيامة أمام العلماء معاذ بن جبل، ومن أمضى رسول الله شهادته بشهادة رجلين وهو خزيمة بن ثابت، وإنّا لنعلم أنّ بين من ذكرت من قريش من لو طلب الخلافة لم ينازعه فيها أحد وهو عليّ ابن أبي طالب.

وجاء في تاريخ الطبري أنّ أبا بكر لمّا اقترح أحد الرجلين أبا عبيدة أو عمر بن الخطاب وانسحبا هما لأبي بكر قال الأنصار: لا نبايع إلّا عليّ بن أبي طالب[١].

هاتان الروايتان صريحتان في أنّ الأنصار لم يعارضوا في عليّ بن أبي طالب لو أنّه كان مرشّح المهاجرين لها، وهذا يعني أنّ موقفهم المعارض لأبي بكر في السقيفة كان ردّاً على التخطيط، الذي وضعته قريش للاستيلاء على السلطة وانتزاعها من أصحابها الشرعيين.

وقال الأُستاذ توفيق أبو علم في كتابه «أهل البيت»: ولا يبعد أن يكون سعد بن عبادة لمّا رأى تصميم المهاجرين على عدم إعطاء الحقّ لأهله طلبه لنفسه.

ومهما كان الحال، فلقد كانت مواقف النبي من علي (عليه السلام) وتصريحاته المتتالية فيه في مختلف المناسبات تجعله بحكم المتعيّن لها بنظر الجمهور الأعظم من المسلمين، حتى أنّ علياً نفسه كان واثقاً بأنّ الأمر لا يعدوه.

وجاء في شرح النهج لابن أبي الحديد أنّ علياً (عليه السلام) كان لا يشك في أنّ

(١) انظر الجزء الرابع من تاريخ الطبري: ٢١ طبع دار الفكر ـ بيروت.

الأمر له، وأنّه لا ينازعه فيه أحد من الناس ومضى يقول :

وقد قال له عمّه العباس : امدد يدك أُبايعك فيقال عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله فلا يختلف عليك إثنان ، فقال يا عمّ : وهل يطمع فيها طامع غيري ، قال : ستعلم ، فقال : إنّي لا أُحب هذا الأمر من وراء رتاج .

وبالطبع لقد دهش هو ومن معه لهذا الحدث العظيم حينما سمع به ورأى الناس يزفّون أبا بكر إلى المسجد كما تزفّ العروس والنبيّ (ﷺ) لا يزال مسجىً بين أهله وزوجاته ينتظرون أن يتمّ تجهيزه لمقره الأخير ، وحينما بلغه أنّ أبا بكر قد احتجّ على معارضيه من الأنصار بقرابته من رسول الله وسبقه إلى الإسلام كان لزاماً عليه أن يلزمهم بما ألزموا به غيرهم ولو كان لا يؤمن بصحّة هذه الحجّة ولا بجدواها ، وباستطاعته أن يقدّم لهم عشرات الأدلّة التي لا تقبل الجدل والمراجعة لو كانوا يصغون إلى المنطق وتردعهم الحجّة عمّا هم جادّون فيه ، ومع ذلك فقد احتجّ عليهم بالحجّة التي تغلّبوا فيها على الأنصار وبأقوال الرسول ونصوصه عليه وبماضيه وجهاده وأُخوّته لرسول الله، وظلّ متمسكاً بحقّه وإلى جانبه زوجته سيّدة النساء تطالب بنحلتها وحقّ زوجها في الخلافة .

وذهب أكثر الرواة إلى أنّ أبا سفيان وقف موقف المتحمّس لعليّ، وأخذ يهدّد ويتوعّد ويقول : والله لأملأنّها عليهم خيلاً ورجالاً ، ولم يكن ليخفى على عليّ (ع) أنّ ذلك منه كان بقصد الوقيعة بين المسلمين وإشعال الفتنة ليتاح له ولأمثاله ممّن أسرّوا الشرك والنفاق أن يصلوا لأهدافهم المعادية للإسلام وحماته الذين حاربهم أبو سفيان عشرين عاماً ، وبالتالي كان إسلامه وإسلام زوجته هند آكلة الأكباد عام الفتح أعسر إسلام عرف بين المسلمين ، لأنّه كان إسلام مغلوب أعيته جميع الوسائل، فاضطرّ أخيراً إلى الدخول مع

المسلمين وفي نفسيهما آلام وأحقاد كانت تظهر بين الحين والآخر .

وجاء في رواية الطبري وابن الأثير في الكامل أنّ أمير المؤمنين زجر أبا سفيان بن حرب وقال له : **«والله ما أردت إلّا الفتنة ، وإنّك والله طالما بغيت للإسلام شراً لا حاجة لنا في نصرتك»**[1] .

٢ ـ نتائج السقيفة :

أبرزت أحداث السقيفة ثلاثة أطراف معارضة :

١ ـ الأنصار الذين نازعوا الخليفة وصاحبيه في سقيفة بني ساعدة ووقعت بينهم المحاورة والجدال ، وانتهت بفوز قريش بسبب تركّز فكرة الوراثة الدينية في الذهنية العربية ، وانشقاق الأنصار على أنفسهم[2] ، لِتمكّن النزعة القبلية من نفوسهم .

فقد ركّز أبو بكر وصاحباه في هذا النزاع دفاعهم عمّا زعموا من حقوق على نقطة كانت ذات وجاهة في نظر الكثيرين، فإنّ قريشاً ما دامت عشيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخاصته فهي أولى من سائر المسلمين وأحقّ بخلافته وسلطانه، وقد انتفع أبو بكر ومؤيّدوه باجتماع الأنصار في السقيفة من ناحيتين :

الأولى : أنّ الأنصار سجّلوا على أنفسهم بذلك مذهباً لا يسمح لهم بأن يقفوا بعد ذلك في صف عليّ (عليه السلام) ويخدموا قضيّته وأحقيّته .

الثانية : أنّ أبا بكر الذي خدمته الظروف فأقامت منه المدافع الوحيد عن حقوق المهاجرين في مجتمع الأنصار لم يكن ليتهيّأ له ظرف أوفق بمصالحه

---

(١) راجع سيرة الأئمة الاثني عشر ١ : ٢٦٠ ـ ٢٦٧ .

(٢) راجع تاريخ الطبري : ٤ / ٢٥ (طبع دار الفكر ـ بيروت) .

من ظرف السقيفة ، إذ خلا الموقف من أقطاب المهاجرين الذين لم يكن لتنتهي المسألة في محضرهم إلى نتيجتها التي سجلتها السقيفة في ذلك اليوم.

وخرج أبو بكر من السقيفة وقد بايعه جمع من المسلمين الذين أخذوا بوجهة نظره في مسألة الخلافة أو عزّ عليهم أن يتولّاها سعد بن عبادة .

٢ ـ الأُمويون الذين كانوا يريدون أن يأخذوا من الحكم بنصيب ويسترجعوا شيئاً من مجدهم السياسي في الجاهلية وعلى رأسهم أبو سفيان، ولم يعبأ الحاكمون (أبو بكر وجماعته) بمعارضة الأُمويين وتهديد أبي سفيان وما أعلنه من كلمات الثورة بعد رجوعه من سفره الذي بعثه فيه رسول الله (ﷺ) لجباية الأموال ، لعلمهم بطبيعة النفس الأُموية وشهواتها السياسية والمادية، فكان من السهل كسب الأُمويين إلى جانب الحكم القائم كما صنع أبو بكر، فأباح لنفسه أو أباح له عمر ـ بتعبير أصح ـ كما تدلّ الرواية وأن يدفع لأبي سفيان جميع ما في يده من أموال المسلمين وزكواتهم ثم جعل للأُمويين بعد ذلك حظاً من العمل الحكومي في عدّة من المرافق الهامة .

٣ ـ الهاشميّون وأخصّاؤهم كعمار وسلمان وأبي ذر والمقداد (رضوان الله عليهم) وجماعات من الناس الذين كانوا يرون أنّ البيت الهاشمي هو الوارث الطبيعي لرسول الله (ﷺ) بحكم الفطرة ومناهج السياسة التي كانوا يألفونها[1].

نلاحظ أنّ الحزب الحاكم نجح في التعامل مع الأنصار والأُمويين وكسب الموقف منهم، ولكنّ هذا النجاح جرّه إلى تناقض سياسي واضح، لأنّ ظروف السقيفة كانت تدعو الحاكمين إلى أن يجعلوا للقرابة من رسول الله(ﷺ) حساباً في مسألة الخلافة ويقرّوا مذهب الوراثة للزعامة الدينية ، غير

---

(١) راجع للمزيد من التفصيل (فدك في التأريخ) للشهيد السيد محمد باقر الصدر : ٨٤.

أنّ الحال تبدّلت بعد موقف السقيفة، واتّخذت المعارضة لوناً جديداً وواضحاً كلّ الوضوح كان يتلخّص في أنّ قريشاً إذا كانت أولىٰ برسول الله (صلى الله عليه وآله) من سائر العرب لأنّه منها، فبنو هاشم أحقّ بالأمر من بقية قريش.

وهذا ما أعلنه علي (عليه السلام) حين قال: إذا احتجّ عليهم المهاجرون بالقرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانت الحجّة لنا علىٰ المهاجرين بذلك قائمة، فإن فلجت حجّتهم كانت لنا دونهم وإلّا فالأنصار علىٰ دعوتهم. وأوضحه العباس لأبي بكر في حديث له معه إذ قال له: وأمّا قولك: «نحن شجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله)» فإنّكم جيرانها ونحن أغصانها[1]. وقد كان علي (عليه السلام) الذي تزعم معارضة الهاشميّين مصدر رعب شديد في نفوس الحاكمين؛ لأنّ ظروفه الخاصة كانت تمدّه بقوة علىٰ لونين من العمل الايجابي ضد الحكومة القائمة:

أحدهما: ضمّ الأحزاب المعادية إلىٰ جانبه كالأُمويين والمغيرة بن شعبة وأمثالهم ممن كانوا قد بدأوا يعرضون أصواتهم للبيع ويفاوضون الجهات المختلفة في اشترائها بأضخم الأثمان، كما نعرف ذلك من كلمات أبي سفيان التي واجه بها خلافة السقيفة يوم وصوله إلىٰ المدينة، وحديثه مع علي (عليه السلام) وتحريضه له علىٰ الثورة، وميله إلىٰ جانب الخليفة، وسكوته عن المعارضة حينما تنازل له الخليفة عن أموال المسلمين التي كان قد جباها في سفره، وإذن فقد كان الهوىٰ المادي مستولياً علىٰ جماعة من الناس يومئذٍ.

ومن الواضح أنّ علياً كان يتمكّن من أشباع رغبتهم بما خلّفه رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الخمس وغلّات أراضيه في المدينة وفدك التي كانت

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن ابي الحديد: ٦ / ٥.

ذات نتاج عظيم .

ثانيهما : الطور الآخر من المقاومة التي كان علي (عليه السلام) مُزوّداً بإمكانياتها ما لمّح اليه بقوله : « احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة » وأعني بذلك أنّ الفكرة العامة يومئذٍ التي أجمعت علىٰ تقديس أهل البيت والاعتراف لهم بالامتياز العظيم بقربهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانت سنداً قوياً للمعارضة[1] .

(١) فدك في التأريخ ، الشهيد السيد محمد باقر الصدر : ٨٦ .

خيارات السلطة الحاكمة

الخيار الأول : انتزاع القوّة المالية للإمام عليّ (عليه السلام)

ولقد وجد الحزب الحاكم نفسه في موقف حرج جداً، لأنّ أطراف الدولة الإسلامية التي تُجبىٰ منها الأموال لا تخضع للحكم الجديد إلّا إذا استقرت دعائمه في العاصمة (مدينة الرّسول (صلى الله عليه وآله)) والمدينة بعدُ لم تخضع له خضوعاً إجماعياً ، فمثلاً إن كان أبو سفيان أو غيره قد باع صوته للحكومة فمن الممكن أن يفسخ المعاملة إذا عرض عليه شخص آخر ثمناً أكثر منها ربحاً ، وهذا ماكان يستطيع علي (عليه السلام) أن يقوم به في كل حين، فيجب والحالة هذه أن تنتزع من عليّ (عليه السلام) ـ الذي لم يكن مستعداً للمقابلة في تلك الساعة ـ الأموال التي صارت مصدراً من مصادر الخطر علىٰ مصالح الحزب الحاكم ليضمن بقاء الأنصار علىٰ نصرتهم ، وعدم قدرة المعارضين علىٰ إنشاء حزب من أصحاب المطامع والأهواء يومذاك .

ولا يجوز أن نستبعد هذا التقدير لسياسة الفئة المسيطرة ما دام منطبقاً علىٰ طبيعة السياسة التي لا بدّ من انتهاجها، وما دمنا نعلم أنّ الصدّيق اشترىٰ صوت الحزب الأُموي بالمال وبالجاه أيضاً، إذ ولّىٰ ابن أبي سفيان ، فقد جاء أنّ أبا بكر لمّا أستُخلف قال أبو سفيان : ما لنا، ولأبي فصيل إنّما هي بنو عبد مناف، فقيل له : إنّه قد ولّىٰ ابنك، قال : وصلته رحم[1] .

---

(١) تاريخ الطبري : ٤ / ٢٨ .

الخيار الثاني : مواجهة معارضة الإمام (عليه السلام)

تردّد الحزب الحاكم في معالجة العنصر الثاني في قوة المعارضة بين أمرين :

١ ـ أن لا يقرّ للقرابة بشأن في الموضوع ، ومعنىٰ هذا أنّه ينزع عن خلافة أبي بكر ثوبها الشرعي الذي ألبسها إيّاه يوم السقيفة .

٢ ـ أن يناقض نفسه فيظلّ ثابتاً علىٰ مبادئه التي أعلنها في السقيفة ولا يرىٰ حقاً للهاشميين ولا امتياز لهم في مقاييس الرجال، أو يراه لهم ولكن في غير ذلك الظرف الذي يكون معنىٰ المعارضة فيه مقابلة حكمٍ قائمٍ ووضعٍ تعاقد عليه الناس، وعندها فلا أحد ينصرهم .

واختارت الفئة المسيطرة أن تثبت علىٰ آرائها التي روّجتها في مؤتمر الأنصار، وتعترض علىٰ المعارضين بأنّ مخالفتهم بعد بيعة الناس للخليفة ليست إلّا إحداثاً للفتنة المحرّمة في الإسلام[1].

---

(١) راجع فدك في التأريخ ، الشهيد السيد محمد باقر الصدر : ٩١ .

الخطوات العملية الأخرى لمواجهة آل محمد (صلى الله عليه وآله) باعتبارهم زعماء المعارضة

حين نتطلّع بإمعان عند دراسة سياسة الحاكمين نجد إضافة إلى التخطيط لإضعافهم اقتصادياً أنّهم انتهجوا منذ اللحظة الأُولى سياسة معينة تجاه آل محمد (صلى الله عليه وآله) للقضاء على الفكرة التي أمدَّت الهاشميين بقوة على المعارضة كما خنقوا المعارضة نفسها وهي كونهم أقرب الناس لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

ونستطيع أن نصف هذه السياسة بأنّها تهدف إلى إلغاء امتياز البيت الهاشمي وإبعاد أنصاره المخلصين له عن المرافق الهامة في جهاز الحكومة الإسلامية يومئذٍ، وتجريده عمّا له من الشأن والمقام الرفيع في الذهنية الإسلامية، وقد يعزو هذا الرأي إلى عدّة ظواهر تاريخية:

١ ـ سيرة الخليفة وأصحابه مع علي (عليه السلام) التي بلغت من الشدّة أنّ عمر هدّد بحرق بيته وإن كانت فاطمة فيه، ومعنى هذا الإعلان أنّ فاطمة وغير فاطمة من الهاشميين ليس لهم حرمة تمنعهم عن أن يتخذ معهم نفس الطريقة التي سار عليها مع سعد بن عبادة حين أمر الناس بقتله في يوم السقيفة، ومن صور ذلك العنف وصف الخليفة لعليّ (عليه السلام) بأنّه مربّ لكل فتنة، وتشبيهه له بأُم طحال أحب إلى أهلها البغي، وقد قال عمر لعليّ بكل وضوح: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) منّا ومنكم.

٢ ـ إنّ الخليفة الأول لم يُشرك شخصاً من الهاشميين في شأن من شؤون الحكم المهمة، ولا جعل منهم والياً على شبر من المملكة الإسلامية الواسعة الأطراف مع أنّ نصيب الأُمويين في ذلك كان عظيماً، ونستطيع أن نفهم

بوضوح أنّ هذا الأمر وليد سياسة متعمدة، من خلال المحاورة التي جرت بين الخليفة الثاني وابن عباس أظهر فيها تخوّفه من تولّيه ابن عباس «حمص»، لأنّه يخشىٰ إذا صار الهاشميون ولاةً علىٰ أقطار المملكة الإسلامية أن يموت وهم كذلك فيحدث في أمر الخلافة ما لا يريد(١).

٣ـ عزل الخليفة لخالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الذي وجّهه لفتح الشام بعد أن أسندها اليه لا لشيء إلّا لأنّ عمر تنبّه إلىٰ نزعة خالد الهاشميّة وميله إلىٰ آل محمد (ﷺ) وذكّره بموقفه تجاههم بعد وفاة رسول الله (ﷺ).

إذن فقد كانت الفئة الحاكمة تحاول أن تساوي بين بني هاشم وسائر الناس، وترتفع برسول الله (ﷺ) عن الاختصاص بهم، لتنتزع بذلك الفكرة التي كانت تزوّد الهاشميين بطاقة علىٰ المعارضة، ولئن اطمأنّ الحاكمون إلىٰ أن علياً لا يثور عليهم في تلك الساعة الحرجة علىٰ الإسلام فهم لا يأمنون من انتفاضته بعد ذلك في كلّ حين، ومن الطبيعي حينئذٍ أن يسارعوا إلىٰ الإجهاز علىٰ كلتا قوّتيه المادية « فدك » والمعنوية، ما دامت الهدنة قائمة قبل أن يسبقهم إلى حرب أكول.

٤ ـ ومن المعقول بعد هذا أن يقف الخليفة موقفه التأريخي المعروف من الزهراء (ﷺ) في قضية فدك، فهو موقف تلاقىٰ فيه الغرضان وتركّز علىٰ الخطّين الأساسيين لسياسته، لأنّ الدواعي التي بعثته لانتزاع فدك كانت تدعوه إلىٰ الاستمرار علىٰ تلك الخطّة ليسلب بذلك من خصمه الثروة التي كانت سلاحاً قوياً في عرف الحاكمين يومذاك ويعزّز سلطانه، وإلّا فما الذي كان

---

(١) راجع: مروج الذهب علىٰ هامش الجزء الخامس من تاريخ ابن الاثير: ١٣٥.

يمنعه عن تسليم فدك للزهراء بعد أن أعطته الوعد القاطع بأن تصرف منتوجاتها في سبيل الخير ووجوه المصلحة العامة ؟ إلّا أنّه خاف منها أن تفسّر وعدها بما يتّفق مع صرفها لغلات فدك في المجالات السياسية ، وما الذي صدّه عن إرضاء فاطمة بالتنازل لها عن حصّة ونصيب الصحابة إذا صحّ أنّ فدك للمسلمين سوىٰ أنّه أراد أن يقوّي بها خلافته ؟.

وأيضاً فإنّنا إذا عرفنا أنّ الزهراء كانت سنداً قوياً لقرينها في دعوته إلىٰ نفسه ودليلاً يحتجّ به أنصار الإمام علىٰ أحقيّته بالأمر نستوضح أنّ الخليفة كان موفّقاً كلّ التوفيق في موقفه تجاه دعوىٰ الزهراء للنحلة وجارياً علىٰ المنهج السياسي الذي كان يفرضه عليه الظرف الدقيق ، إذ اغتنم الفرصة المناسبة لإفهام المسلمين بصورة لبقة وعلىٰ أسلوب غير مباشر بأنّ فاطمة امرأة من النساء ولا يصحّ أن تؤخذ آراؤها ودعاويها دليلاً في مسألة بسيطة كفدك فضلاً عن موضوع كالخلافة ، وأنّها إذا كانت تطلب أرضاً ليس لها بحق فمن الممكن أن تطلب لقرينها المملكة الإسلامية كلّها وليس له فيها حقّ[1] .

٣ ـ فدك بين النبيّ (صلى الله عليه وآله) والزهراء (عليها السلام) :

قال تعالىٰ : ﴿ **فآت ذا القربىٰ حقّه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأُولئك هم المفلحون** ﴾[2] . نلاحظ أنّ هذه الآية خطاب من الله عزّوجلّ إلىٰ نبيّه محمّد (صلى الله عليه وآله) يأمره أن يؤتي ذا القربىٰ حقّه ، فمن هم ذوو القربىٰ ؟ وما هو حقّهم ؟ وقد اتّفق المفسّرون أن ذوي القربىٰ هم أقرباء الرسول وهم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فيكون المعنىٰ: أعطِ

(١) للمزيد من التفصيل راجع فدك في التأريخ : ٩٢ .

(٢) الروم (٣٠) : ٣٨ .

ذوي قرباك حقّهم .

جاء في الدرّ المنثور للسيوطي عن أبي سعيد الخدري أنّه قال : لمّا نزلت الآية ﴿ **فآت ذا القربىٰ حقّه ...** ﴾؛ دعا رسول الله (ﷺ) فاطمة الزهراء وأعطاها فدكاً[١] .

وذكر ابن حجر العسقلاني في الصواعق المحرقة أنّ عمر قال : إنّي أُحدثكم عن هذا الأمر ، إنّ الله خصّ نبيّه في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره فقال : ﴿ **وما أفاء الله علىٰ رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكنّ الله يسلط ...** ﴾ فكانت هذه (يعني : فدكاً) خالصة لرسول الله (ﷺ) .

ويستفاد من الروايات التأريخية أنّ فدكاً كانت بيد الزهراء وأنّها كانت تتصرف فيها، ويستدل علىٰ أن فدكاً كانت بيد آل الرسول من تصريح الإمام عليّ (ع) في كتابه الذي أرسله إلىٰ عثمان بن حنيف عامله علىٰ البصرة، « **بلىٰ كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قومٍ آخرين ، ونِعْم الحَكَمُ الله ...** »[٢] .

عثرت بعض الروايات أنّه عندما استقرّ الأمر لأبي بكر انتزع فدكاً من فاطمة (ع)[٣]، ومعنىٰ هذا الكلام أنّ فدكاً كانت في يد فاطمة وتحت تصرّفها من عهد أبيها الرسول (ﷺ) فانتزعها أبو بكر منها .

وفي رواية العلّامة المجلسي : فلمّا دخل رسول الله (ﷺ) المدينة ـ بعد استيلائه علىٰ فدك ـ دخل علىٰ فاطمة (ع) فقال : « **يا بنية إنّ الله قد أفاء علىٰ أبيكِ**

---

(١) الدر المنثور : ٤ / ١٧٧ ، وجاء مثله في كشف الغمة : ١ / ٤٧٦ ، عن عطية ، ورواه الحاكم النيسابوري في تاريخه .

(٢) نهج البلاغة : الكتاب رقم ٤٥ .

(٣) راجع الصواعق المحرقة : ٢٥ .

بفدك واختصّه بها ، فهي له خاصة دون المسلمين ، أفعل بها ما أشاء وإنّه قد كان لأُمك خديجة على أبيك مهر ، وإنّ أباك قد جعلها لك بذلك ، وأنحلها لك ولولدك بعدك» قال : فدعا بأديم ودعا بعليّ بن أبي طالب وقال له: «**أُكتب لفاطمة بفدك نحلة من رسول الله**»، وشهد على ذلك عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) ومولىً لرسول الله وأُمّ أيمن(١) .

٤ ـ اغتصاب فدك :

لمّا توفّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) واستولى أبو بكر على الحكم ومضت عشرة أيام واستقام له الأمر؛ بعث إلى فدك من يخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وروي أنّ الزهراء أرسلت إلى أبي بكر : أنت ورثت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أم أهله ؟ قال : بل أهله ، قالت : فما بال سهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : إنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : «**إنّ الله أطعم نبيّه طعمة**» ثم قبضه وجعله للذي يقوم بعده فولّيت أنا بعده أن أردّه إلى المسلمين .

وروي عن عائشة أنّ فاطمة (عليها السلام) أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي حينئذ تطلب ما كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر : إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : لا نورّث، ما تركناه صدقة ، إنما يأكل آل محمّد من هذا المال. وإنّي ـ والله ـ لا أغيّر شيئاً من صدقات رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولأعملن فيها بما عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً(٢) .

---

(١) بحار الأنوار : ١٧ / ٣٧٨.

(٢) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٢١٧ .

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال عليٌّ لفاطمة (عليها السلام): «**إنطلقي فاطلبي ميراثك من أبيك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجاءت إلىٰ أبي بكر وقالت: لِمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ وأخرجتَ وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمر الله تعالىٰ؟**» فقال: إن شاء الله إنّك لا تقولين إلّا حقاً ولكن هاتي علىٰ ذلك شهوداً، فجاءت أُم أيمن وقالت له: لا أشهد ـ يا أبا بكر ـ حتىٰ أحتجّ عليك بما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أُنشدك بالله ألست تعلم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: « أُم أيمن امرأة من أهل الجنة »؟ فقال: بلىٰ، قالت: فاشهد أنّ الله ـ عزوجل ـ أوصىٰ إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ﴿ **فآتِ ذا القربىٰ حقه** ﴾ فجعل فدكاً لها طعمة بأمر الله، وجاء علي (عليه السلام) فشهد بمثل ذلك، فكتب أبو بكر لها كتاباً ودفعه إليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال أبو بكر: إنّ فاطمة ادّعت فدك وشهدت لها أُم أيمن وعليّ فكتبته لها، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فتفل فيه ومزّقه، فخرجت فاطمة تبكي.

وروي أنّ الإمام علياً (عليه السلام) جاء إلىٰ أبي بكر وهو في المسجد فقال: « **يا أبا بكر لِمَ منعت فاطمة ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد ملكته في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟** » فقال أبو بكر: هذا فيء المسلمين، فإن أقامت شهوداً أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) جعله لها، وإلّا فلا حقّ لها فيه، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): « **يا أبا بكر أتحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين؟** » قال: لا، قال (عليه السلام): « **فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه، ثم ادّعيت أنا فيه، من تسأل البينة؟** » قال: إيّاك أسأل البيّنة، قال (عليه السلام): « **فما بال فاطمة سألتها البيّنة علىٰ ما في يدها وقد ملكته في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبعده، ولم تسأل المسلمين بيّنة علىٰ ما ادّعوا شهوداً كما سألتني علىٰ ما ادّعيت عليهم؟** » ... فسكت أبو بكر.

فقال عمر: يا عليّ، دعنا من كلامك، فإنّا لا نقوىٰ علىٰ حجّتك، فإن

أتيت بشهود عدول ، وإلّا فهو فيء للمسلمين لا حقّ لك ولا لفاطمة فيه .

فقال الإمام عليّ (عليه السلام) : « يا أبا بكر تقرأ كتاب الله ؟ » قال : نعم، قال (عليه السلام) : «أخبرني عن قوله عزوجل : ﴿ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾ فيمن نزلت ؟ فينا أو في غيرنا ؟» قال : بل فيكم ، قال (عليه السلام) : « فلو أنّ شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بفاحشة ما كنت تصنع بها ؟ »، قال : كنت أُقيم عليها الحدّ كما أُقيم على نساء العالمين !، قال علي (عليه السلام) : « كنتَ إذن عند الله من الكافرين »، قال : ولمَ ؟ قال (عليه السلام) : « لأنّك رددت شهادة الله بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها ، كما رددت حكم الله وحكم رسوله أن جعل لها فدكاً وزعمت أنّها فيء للمسلمين، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : البيّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر » فدمدم الناس ، وأنكر بعضهم بعضاً ، وقالوا : صدق والله علي[1] .

٥ ـ خطبة الزهراء (عليها السلام) في مسجد النبيّ (صلى الله عليه وآله) :

حينما قرّرت السلطة أن تمنع فاطمة (عليها السلام) فدكاً وبلغها ذلك قرّرت الاعلان عن مظلوميتها بالذهاب إلى المسجد وإلقاء خطاب مهم في الناس، وسرى الخبر في المدينة أنّ بضعة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وريحانته تريد أن تخطب في الناس في مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله) وهزّ الخبر أرجاء المدينة واحتشد الناس في المسجد ليسمعوا هذا الخطاب المهم .

وروى لنا عبدالله بن الحسن عن آبائه (عليهم السلام) صورةً من هذا الخطاب قائلاً : إنّه لمّا أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة (عليها السلام) فدكاً وبلغها ذلك ؛ لاثَتْ خِمارَها على رأسها ، واشتملت بِجلبابها ، وأقبلتْ في لمّةٍ من حَفَدَتِها

(١) الاحتجاج للطبرسي : ١ / ٢٣٤ ، وكشف الغمة : ١ / ٤٧٨ ، وشرح النهج لابن أبي الحديد : ١٦ / ٢٧٤ .

ونساء قومها ، تَطَأُ ذُيولَها ، ما تَخْرِمُ مشيَتُها مشْيَةَ رسول الله (ﷺ)(١) حتى دخلت على أبي بكر وهو في حَشْدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فَنِيطَتْ دونها مُلاءة(٢) ، فجلستْ ثمّ أَنَّتْ أَنَّةً أجهش القوم لها بالبكاء ، فارتجّ المجلِسُ ، ثمّ أمْهَلَتْ هُنَيْئَةً حتى إذا سكن نَشيج القوم وَهَدَأَتْ فَوْرَتُهُم؛ افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله (ﷺ) فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها ، فقالت (ﷺ) :

«الحمد لله على ما أنعم ، وله الشُّكر على ما ألهم ، والثناء بما قدّم مِن عمومِ نِعَمٍ ابتدأها ، وسُبوغِ آلاءٍ أسداها ، وتَمامِ مِنَنٍ أوْلاها ، جَمَّ عن الإحصاء عددُها ، ونأى عن الجزاءِ أمَدُها ، وتفاوَتَ عَنِ الإدْراك أبَدُها ، وَنَدَبَهُمْ لاستزادَتِها بالشُّكرِ لاتّصالها، وَاسْتَحْمَدَ إلى الخلائِقِ بإجزالها ، وثنى بالندب إلى أمثالها ، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، كلمةٌ جَعَلَ الإخلاصَ تأويلَها ، وَضَمَّنَ القلوبَ مَوْصولَها ، وأنارَ في التفكُّرِ معقولَها .

الممتنعُ من الأبصار رؤيَتُه ، ومن الألْسُنِ صفَتُه ، ومن الأوْهامِ كيفيّتُهُ ، ابتدع الأشياء لا من شيءٍ كان قَبْلها ، وأنشأها بلا احتذاءِ أمْثِلَةٍ امتَثَلها ، كَوَّنها بقدرته ، وذَرَأها بمشِيَّتِهِ ، من غير حاجةٍ منه إلى تكوينها ، ولا فائدةٍ له في تصويرِها ، إلّا تثبيتاً لحكمته ، وتنبيهاً على طاعته ، وإظهاراً لقدرته وتعبُّداً لبريّته وإعزازاً لدعوته ، ثمّ جعل الثواب على طاعته ، ووضع العقاب على معصيته ، ذِيادة(٣) لعباده عن نقمته، وحياشة(٤) لهم إلى جنّته .

وأشهد أنّ أبي محمّداً عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله ، وسمّاه قبل أن اجتباه ، واصطفاه قبل أن ابتعثه ، إذ الخلائق بالغيب مكنونة ، وبِستر الأهاويل مصونة ، وبنهاية

---

(١) أي : ما تنقُصُ مِشْيَتُها مِشيةَ أبيها ، كأنّه هُو .

(٢) أي : ضُرب بينها وبين القومِ سترٌ وحجابٌ .

(٣) ذيادةً: دفعاً .

(٤) حياشةً : جمعاً وسوقاً .

العدم مقرونة ، علماً من الله تعالى بمآيل الأُمور ، وإحاطةً بحوادث الدهور ، ومعرفةً بمواقع الأُمور ، ابتعثه الله إتماماً لأمره ، وعزيمةً على إمضاء حكمه ، وإنفاذاً لمقادير حتمه ، فرأى الأُممَ فِرَقاً في أديانها ، عُكّفاً على نيرانها ، عابدةً لأوثانها ، منكرةً لله مع عِرفانِها .

فأنارَ اللهُ بأبي محمّد (صلى الله عليه وآله) ظُلَمَها ، وكَشَفَ عن القلوب بُهَمَها[1] ، وجَلىٰ عن الأبصارِ غُمَمَها ، وقام في النّاس بالهداية ، فأنقذهم من الغواية ، وبَصّرَهُم من العَماية ، وهَداهُم إلى الدين القويم ، ودعاهم إلى الطريق المستقيم .

ثمّ قبضه الله إليه قبض رأفةٍ واختيار ، ورغبة وإيثار ، فمحمّد (صلى الله عليه وآله) من تعب هذه الدار في راحة ، قد حُفَّ بالملائكة الأبرار ، ورضوانِ الربّ الغفّار ، ومجاورة الملك الجبّار ، صلّى الله على أبي نبيّه ، وأمينه ، وخيرته من الخلق وصفيّه ، والسّلام عليه ورحمة الله وبركاته» .

ثمّ التفتت إلى أهل المجلس وقالت : «أنتم عِبادَ الله نصب أمرِه ونهيِه ، وحَمَلَة دينِهِ وَوَحْيِهِ ، وأُمناء الله على أنفسكم ، وبُلغاؤه إلى الأُمَم ، زعيمُ حقٍ له فيكم ، وعهدٌ قدّمه إليكم ، وبقيّةٌ استخلفها عليكم ، كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بيّنةٌ بصائره ، منكشفةٌ سرائره ، منجلية ظواهره ، مغتَبِطَةٌ به أشياعُه ، قائداً إلى الرضوان اتّباعه ، مؤدٍّ إلى النّجاة استماعُه ، بِه تُنال حججُ اللهِ المُنَوَّرَة ، وعزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ ، ومحارِمُه المحذّرة ، وبيّناتُه الجالية ، وبراهينُه الكافية ، وفضائله المندوبة ، ورُخَصُه الموهوبة ، وشرائعهُ المكتوبة .

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر ، والزكاةَ تزكيةً للنفس ، ونماءً في الرزق ، والصيّامَ تثبيتاً للإخلاص ، والحجَّ تشييداً للدين ، والعدلَ: تنسيقاً للقلوب ، وطاعتنا نظاماً للملّة ، وإمامتنا أماناً للفرْقة ، والجهادَ عِزّاً للإسلام، والصبْر

(١) البُهم : معضلات الأُمور ومشكلاتها .

معونةً على استيجاب الأجر ، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة ، وبرّ الوالدين وقاية من السخط ، وصلة الأرحام مَنسأة في العمر ومنماة للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة ، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس ، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة ، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة .

فاتّقوا الله حقّ تقاته ، ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون ، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه ، فإنّه إنّما يخشى اللهَ من عباده العلماء .

ثمّ قالت : أيّها الناس! اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمّد ، أقول عوداً وبدواً، ولا أقول ما أقول غلطاً ، ولا أفعل ما أفعل شططاً ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[(١)] فإن تَعزوهُ وتعرفوه تجِدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابنِ عَمّي دون رجالِكم ، وَلَنِعْمَ المعزّي[(٢)] إليه ، فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة[(٣)] مائلاً عن مَدْرَجَةِ المشركين ، ضارباً ثَبَجَهُم[(٤)] آخذاً بأكظامِهِم[(٥)] داعياً إلى سبيلِ ربّهِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة ، يَجِفُّ الأصنامَ وَينكُتُ الهام ، حتّى انهزم الجمع وولّوا الدبر ، حتّى تَفَرّىٰ اللّيلُ عن صُبْحِه ، وأسْفَرَ الحَقُّ عن مَحْضِه ، ونَطَقَ زعيمُ الدّين، وخَرِسَت شَقاشِقُ الشَياطين ، وطاح وشيظُ[(٦)] النِفاقِ ، وانحَلّتْ عُقَدُ الكفرِ والشِقاق ، وفُهْتُم[(٧)] بكلمة الإخلاص في نَفَرٍ من البيض الخِماصِ[(٨)] وكنتم على شَفا حُفرةٍ من النار ، مِذقَةَ[(٩)] الشارِب

---

(١) التوبة (٩) : ١٢٨ .

(٢) المعزّي : المُنتَسِبُ .

(٣) صادعاً : مبيّناً، والنذارة : الانذار .

(٤) الثبج : وسط الشيء ومعظمه .

(٥) الكظم : مخرج النفس من الحلق .

(٦) الوشيظ : الخسيس من الناس .

(٧) فهتم : تلفّظتم .

(٨) الخماص : الجياع ، وهنا اختياراً .

(٩) المذقة : اللبن الممزوج بالماء كناية عن سهولة شربه .

ونهزة[١] الطامع ، وقَبْسَةَ العَجْلان ، ومَوْطِئَ الأقدام تشْرَبونَ الطَرَق[٢] ، وتَقْتاتونَ القِدّ[٣] أذِلّة خاسئين ، تخافون أن يتخطّفكم النّاسُ مِن حَوْلِكم ، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله) ، بعد اللتيا والّتي ، وبعد أن مُنِيَ بِبُهْمِ[٤] الرجال وذؤبانِ العَرَب ، ومَرَدَةِ أهلِ الكتاب ، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، أو نَجَمَ قَرْنُ الشيطان[٥] ، أو فَغَرَتْ فاغِرةٌ[٦] من المشركين قَذَفَ أخاهُ في لَهواتِها، فلا يَنكَفِئ حَتّىٰ يَطأَ جَناحَها بأخْمصِه[٧] ، ويُخمِدَ لَهَبَها بِسَيْفِه ، مَكدوداً في ذاتِ الله ، مجتهداً في أمر الله ، قريباً من رسول الله ، سيّداً في أولياء الله ، مشمّراً ناصحاً ، مُجِدّاً كادِحاً ، لا تأخُذُهُ في الله لومةُ لائم ، وأنتم في رفاهيّة من العيش، وادِعون فاكِهون آمِنون ، تَترَبَّصونَ بِنا الدوائرَ[٨] وتَتوكَّفونَ الأخبارَ[٩] وتَنكِصونَ عِنْدَ النِزالِ ، وتَفِرّونَ مِنَ القِتال .

فلمّا اختار الله لنبيّه (صلى الله عليه وآله) دار أنبيائه ومأوى أصفيائه ظهر فيكم حَسَكَةُ[١٠] النِفاق، وسمُلَ جِلبابُ الدين ، ونَطَقَ كاظِمُ[١١] الغاوين ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلّينَ ، وهَدَرَ فَنيقُ[١٢] المُبطِلين ، فَخَطَرَ في عَرَصاتِكم ، وَأطْلَعَ الشَيْطانُ رأسَه مِن مَغرزِه[١٣] هاتِفاً بِكُم فَألفاكُم

---

(١) النهزة : الفرصة .

(٢) الطرق : الماء الذي خوضته الإبل وبركت فيه .

(٣) القدّ : قطعة جلد غير مدبوغ .

(٤) البهم : الشجعان الأقوياء .

(٥) نجم قرن الشيطان : طلع أتباعه .

(٦) الفاغرة : الطائفة .

(٧) الأخمص : باطن القدم .

(٨) الدوائر : العواقب السيئة .

(٩) تتوكفون الأخبار : تنتظرون أخبار السوء بنا .

(١٠) الحسكة : العداوة والحقد .

(١١) كاظم : ساكت .

(١٢) الهدير : ترديد البعير صوته في حنجرته . والفنيق : الفحل المكرّم من الأبل الذي لا يهان ولا يركب لكرامته على أهله .

(١٣) مغرزه : مخبئه .

لِدَعْوَتِهِ مُستجيبين ، ولِلغِرَّةِ فيه ملاحِظينَ ، ثمّ استَنهَضَكُم فوَجَدَكُم خِفافاً ، وأحْشَمَكُم(١) فألفاكم غِضاباً ، فوَسَمْتُم غَيْرَ إبِلِكُم ، وَوَرَدْتُم غَيْرَ مَشْرَبِكُم ، هذا والعهدُ قَريبٌ ، والكَلْمُ رَحيبٌ، والجُرْحُ لمّا يَنْدَمِلْ ، والرّسولُ لَمّا يُقْبَرْ ، إبتداراً(٢) زَعَمْتُم خَوْفَ الفِتْنَةِ ﴿ ألا في الفِتْنَةِ سَقَطوا وإنّ جَهَنّم لَمُحيطَةٌ بالكافرين ﴾(٣) .

فهيهاتَ منكُم ، وَكَيْفَ بِكُمْ ، وأنّى تُؤفَكونَ ، وكِتابُ اللهِ بَيْنَ أظْهُرِكُم ، أُمورُه ظاهرة، وأحكامُه زاهرة ، وأعلامُه باهرة ، وزواجرُه لايحة، وأوامِرُهُ واضِحَةٌ ، وَقَدْ خلّفتموه وَراءَ ظُهورِكُم ، أرَغْبَةً عنه تريدون ؟ أم بِغَيْرِه تَحْكُمون ؟ ، ﴿ بِئسَ للظالمين بَدَلاً ﴾(٤) ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقْبَلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾(٥) .

ثمّ لم تَلْبَثوا إلّا رَيْثَ أن تَسْكُنَ نِفْرَتها(٦) ، ويَسلُس(٧) قِيادُها ، ثمّ أخذتُم تُورونَ وَقْدَتَها ، وتُهَيّجونَ جَمْرَتَها ، وتَستَجيبونَ لِهتافِ الشيطانِ الغَويّ ، وإطفاءِ أنوارِ الدّينِ الجَليّ، وإهمالِ سُنَنِ النّبيّ الصَفيّ (صلى الله عليه وآله) ، تَشْرَبونَ حَسْواً في ارتِغاء(٨) وَتَمْشُونَ لأهلِهِ وَوُلْدِهِ في الخَمَرَةِ والضّرّاء(٩) ونَصبِرُ منكم على مِثْلِ حَزِّ المُدى وَوَخْزِ السِنان في الحَشا ، وأنتم الآنَ تَزْعَمون : أن لا إرْثَ لَنا ، أفَحُكْمَ الجاهِلِيّةِ تَبْغونَ ؟ ومَن أحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكماً لِقَوْمٍ يوقِنون ! أفلا تعلمون ؟ ! بلى قَد تَجلّى لكم كالشمسِ الضاحِيَةِ : أنّي ابنَتُهُ ، أيُّها

---

(١) أحشمكم : أغضبكم .
(٢) ابتدر القوم : تسابقوا في الأمر .
(٣) التوبة (٩) : ٤٩ .
(٤) الكهف (١٨) : ٥٠ .
(٥) آل عمران (٣) : ٨٥ .
(٦) نفرتها : جزعها .
(٧) يسلس : يسهل .
(٨) الحسو : الشرب شيئاً بعد شيء . والارتغاء : شرب الرغوة ، وهي اللبن الممزوج بالماء ، وجملة «حسواً في ارتغاء» مثل يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره .
(٩) الخمر : ما واراك من شجر وغيره . والضراء : الشجر الملتف في الوادي .

المسلمون أأغْلَبُ على إرْثي ؟.

يا بْنَ أبي قُحافَةَ أفي كتابِ اللهِ تَرِثُ أباكَ ولا أَرِثُ أبي ؟ لَقد جِئْتَ شَيْئاً فَرِيّاً ! أفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُم كِتابَ اللهِ وَنَبَذْتُموهُ وَراءَ ظُهورِكُم ؟ إذ يقول : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داود ﴾[١] ، وقال فيما اقْتَصَّ مِن خَبَرِ يَحيى بنِ زَكَرِيّا إذ قال: ﴿ فَهَبْ لي مِن لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُني وَيَرِثُ مِن آلِ يَعْقوبَ ﴾[٢] وقال : ﴿ وأُولو الأرحامِ بَعْضُهُم أولى بِبَعْضٍ في كتابِ اللهِ ﴾[٣] وقال : ﴿ يُوصيكُمُ اللهُ في أَوْلادِكُم لِلذَّكَرِ مثلُ حظِّ الأُنْثَيَين ﴾[٤] وقال : ﴿ إن تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ للوالِدَيْنِ والأقرَبينَ بالمَعروفِ حَقّاً على المتّقين ﴾[٥] .

وَزَعَمْتُم أن لا حُظْوَةَ لي ولا إرْثَ مِن أبي ولا رَحِمَ بَيْنَنا ، أفَخَصَّكُمُ اللهُ بآيَةٍ أخْرَجَ أبي مِنها ؟ أم هَلْ تَقولونَ : إنّ أهلَ مِلَّتَينِ لا يَتوارَثان ؟ أوَ لَسْتُ أنا وَأبي مِن أهلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟ أمْ أنْتُم أعْلَمُ بِخصوصِ القُرآنِ وَعُمومِهِ مِن أبي وابنِ عمّي ؟ .

فَدونَكَها مَخْطومَةً مرحولةً[٦] تَلْقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ ، فَنِعْمَ الحَكَمُ اللهُ ، والزَّعيمُ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وآله) ، والمَوْعِدُ القِيامَةُ ، وَعِنْدَ السّاعَةِ يَخسَرُ المُبْطِلونَ ، ولا يَنفَعُكُم إذ تَنْدمونَ ، ولِكُلِّ نَبأٍ مُسْتَقرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمونَ مَن يَأتيهِ عذابٌ يُخزيه وَيَحِلُّ عليه عَذابٌ مُقيمٌ» .

ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت : «يا مَعْشَرَ النَقيبَة[٧] وأعْضادَ المِلَّةِ وحَضَنَةَ الإسلام ، ما هٰذِهِ الغَميزَةُ[٨] في حَقّي والسِنَةُ عَن ظُلامَتي ؟ أما كانَ رَسولُ

(١) النمل (٢٧) : ١٦ .
(٢) مريم (١٩) : ٥ـ٦ .
(٣) الأنفال (٨) : ٧٥ .
(٤) النساء (٤) : ١١ .
(٥) البقرة (٢) : ١٨٠ .
(٦) دونكها : أي خذها . والخطام : الزمام . والرحل للناقة كالسرج للفرس . والمقصود : خذ فدكاً جاهزة مهيئة.
(٧) النقيبة : الفتية .
(٨) الغميزة : نقص في العقل أو العمل . والسِنة : النُعاس من غير نَوْم .

اللهِ(ﷺ) أبي يقول : « المرءُ يُحفَظُ في وُلْدِهِ » ؟ سَرعانَ ما أحدَثتُم ، وَعَجلانَ ذا إهالَةٍ[١] ولكُم طَاقَةٌ بما أُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ على ما أطْلُبُ وأُزاوِلُ، أتقولونَ ماتَ محمّد (ﷺ)؟ فَخَطْبٌ جَليلٌ استَوسَعَ وَهْنُه وَاستَنهَرَ[٢] فَتْقُهُ وَانفَتَقَ رَتْقُهُ[٣]، وَاظْلَمَّتِ الأرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وكُسِفَتِ الشَمسُ وَالقَمَرُ، وانتَثَرَتِ النجومُ لِمُصيبَتِهِ، وأَكْدَتِ الآمالُ، وَخَشَعَتِ الجِبالُ، وأُضيعَ الحَريمُ، وأُزيلَتِ الحُرْمَةُ عِنْدَ مماتِهِ، فَتِلكَ وَاللهِ النازِلةُ الكُبرى، والمُصيبَةُ العُظمى، لامِثْلُها نازِلَةٌ، ولا بائِقَةٌ[٤] عاجِلَة، أعلَنَ بها كتابُ اللهِ جَلَّ ثَناؤُه في أفْنِيَتِكُمْ، وَلقَبْلِهِ ما حَلَّ بِأنبياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ حُكْمٌ فَصْلٌ، وقَضاءٌ حَتمٌ: ﴿وما مُحمّدٌ إلّا رَسولٌ قد خَلَتْ مِن قَبلِهِ الرُسُلُ أفإنْ ماتَ أو قُتِلَ انقَلَبْتُم على أعقابِكُم وَمَنْ يَنقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجزي اللهُ الشاكرينَ﴾[٥].

إيهاً بَني قيلَةَ[٦] أأُهضَمُ تُراثَ أبي؟ وأنتم بِمَرأىً مِنّي ومَسمَع، ومُنتَدىً[٧] ومَجمَع، تُلبِسُكُمُ الدَعْوَةُ، وتشملكم الحيرَةُ، وأنتم ذوو العدد والعُدّة، والأداة والقوّة، وعندكم السلاح والجُنَّة، توافيكم الدَعْوَةُ فلا تجيبون، وتأتيكُمُ الصَرخَةُ فلا تغيثونَ، وأنتم مَوصوفونَ بالكِفاح، مَعروفونَ بِالخَيْرِ والصّلاح، والنُخبَةُ الّتي انتُخِبَتْ، والخيرةُ التي اختيرت لنا أهْلَ البَيْتِ، قاتَلْتُمُ العَرَبَ، وتَحَمَّلْتُم الكَدَّ وَالتَعَبَ، وناطَحْتُم الأُممَ وكافَحتُم البُهَمَ، لا نَبرَحُ أو تَبرَحون، نأمُرُكُم فَتأتَمِرونَ حتّى إذا دارَتْ بِنا رَحىَ الإسلام، ودَرَّ حَلَبُ الأيامِ، وَخَضَعَتْ ثَغرَةُ الشِرك، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإفك، وَخَمَدَتْ نيرانُ الكُفْرِ، وَهَدَأَتْ دَعوَةُ

---

(١) الإهالة : الودك وهو دسم اللحم ، وجملة : « سرعان ذا إهالة » مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته .

(٢) استنهر : اتّسع .

(٣) انفتق رتقه : أي انشق المكان الملتئم منه .

(٤) البائقة : الداهية .

(٥) آل عمران (٣) : ١٤٤ .

(٦) بنو قيلة : هم الأنصار من الأوس والخزرج .

(٧) المنتدى : النادي بمعنى المجلس .

الهَرَجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدّين، فأنّى حزتم بعد البيان ؟[١] وأسررتم بعد الإعْلانِ؟ ونَكَصْتُم بَعْدَ الإقدام؟ وأشرَكتم بعد الإيمانِ؟.

بُؤساً لقومٍ نَكَثوا أيْمانَهُم مِن بَعْدِ عَهْدِهِم، وَهَمّوا بإخراجِ الرّسول، وَهُمْ بَدَأوكُم أوَّلَ مرّةٍ، أتَخْشَوْنَهُم فاللهُ أَحَقُّ أنْ تَخْشَوْهُ إن كنتم مؤمنين، ألا وقد أرى أنْ قد أخلَدتُم إلى الخَفْض[٢] وأبعَدتُم مَن هو أحقُّ بالبَسطِ والقَبض، وخَلَوْتُم بالدَعَة[٣] ونَجَوْتُم بالضّيق من السعة، فَمَجَجْتُم[٤] ما وَعَيتُم، ودَسَعْتُم[٥] الذي تَسَوَّغْتُم[٦] فإن تكفروا أنتم ومَن في الأرض جَميعاً فإنّ الله لغنيٌ حَميدٌ[٧].

ألا وقد قلتُ ما قلتُ هذا على معرفةٍ منّي بالجَذْلَةِ[٨] الّتي خامَرَتْكُم[٩] والغَدْرَةِ التي استشعَرَتْها قلوبُكُم، ولكنّها فَيْضَةُ النّفسِ[١٠] ونَفْثَةُ الغَيْظ، وخَوَرُ القَناة[١١] وَبَثَّةُ الصَدْر[١٢] وتَقْدِمَةُ الحُجّةِ، فَدونكموها فاحتَقِبوها[١٣] دَبِرَةَ[١٤] الظَهر، نَقِبَةَ الخُفّ[١٥] باقيةَ العارِ، موسومَةً بِغَضَبِ الجَبّار وشنارِ الأبَدِ، موصولةً بنارِ الله الموقَدة، الّتي تطّلع على الأفئدة،

(١) استوسق : اجتمع وانتظم . وفي الاحتجاج : « فأنّى جرتم بعد البيان » .

(٢) الخفض: السعة في العيش .

(٣) الدعة : الراحة والسكون .

(٤) مججتم : رميتم .

(٥) دسعتم : قيأتم .

(٦) تسوغتم : شربتم بسهولة .

(٧) إقتباس من سورة إبراهيم : ٨ .

(٨) جذل : فرح .

(٩) خامرتكم : خالطتكم .

(١٠) فيضة النفس : إظهار المضمر في النفس لاستيلاء الهمّ وغلبة الحزن .

(١١) كناية عن ضعف النفس .

(١٢) بثة الصدر : إظهار ما فيه من الحزن .

(١٣) احتقبوها : إحملوها على ظهوركم .

(١٤) الدبرة : قرحة الدابة تحدث من الرحل ونحوه .

(١٥) نقبة الخف : رقّته .

فبعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلونَ ﴿وسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ منقلَبٍ ينقلبون﴾ [١]، وأنا ابنةُ نَذيرٍ لكم بَين يَدَي عذابٍ شديد فاعملوا إنّا عامِلونَ، وانتظِروا إنّا منتَظِرونَ».

وبعد هذا لجأ أبوبكر الى أُسلوب التضليل والاستغفال في محاولة منه لتدارك الموقف فقال: يا بنت رسول الله، لقدكان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً رؤوفاً رحيماً، على الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً، إن عزوناه [٢] وجدناه أباك دون النّساء، وأخا إلفِك دون الأخلاّء [٣] آثره على كلّ حميم، وساعده في كلّ أمر جسيم، لا يُحبّكُم إلاّ سعيد، ولا يُبغضكم إلاّ شقيّ بعيد، فأنتم عترة رسول الله الطيّبون، الخيرة المنتجبون، على الخير أدلّتنا، وإلى الجنّة مسالكنا.

وأنت يا خِيَرَةَ النساء وابنة خير الأنبياء صادقةٌ في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقّك، ولا مصدودة عن صِدْقِكِ، والله ما عَدَوْتُ رأْيَ رسول الله (ﷺ) ولا عملتُ إلاّ بإذنِهِ، والرائدُ لا يكذب أهلَه، وإنّي أُشهد الله وكفى به شهيداً أنّي سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث ذهباً ولا فضّةً ولا داراً ولا عقاراً وإنّما نورّث الكتاب والحكمة والعلم والنبوّة، وماكان لنا من طعمةٍ فلوليّ الأمر بَعْدَنا أن يحكم فيه بحكمه» وقد جعلنا ما حاولتِهِ في الكراع [٤] والسِلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفّار، ويجالدون [٥] المَرَدَةَ الفُجّار، وذلك بإجماع من المسلمين [٦]، لم أنفرد

---

(١) الشعراء (٢٦) : ٢٢٧ .

(٢) عزوناه : نسبناه .

(٣) الأخلاّء : مفرده الخليل وهو الصديق .

(٤) الكراع : ـ بضمّ الكاف ـ : جماعة الخيل .

(٥) يجالدون: يضاربون.

(٦) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : ١٦ / ٢٢١ : أنّه لم يرو حديث إنتفاء الارث إلاّ أبوبكر وحده . وله كلام في ذلك ايضاً في ص٢٢٧ و٢٢٨ فراجع ، وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء : ٧٣ وأخرج أبو القاسم البغوي، وأبوبكر الشافعي في فوائده وابن عساكر عن عائشة قالت: اختلفوا في ميراثه (ﷺ) فما وجدوا عند أحد من ذلك علماً ، فقال أبوبكر : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة.

به وحدي، ولم أستبد بما كان الرأي عندي وهذه حالي ومالي، وهي لك وبين يديك، لا تُزوىٰ[١] عنك، ولا تُدَّخَرُ دونَكِ وإنك وأنتِ سيّدة أُمّة أبيك، والشجرة الطيّبة لبنيك، لا ندفعُ ما لَكِ من فضلك، ولا يوضع في فرعك وأصلك، حكمُكِ نافذٌ فيما ملكت بيداي، فهل ترين أن أُخالفَ في ذلك أباك (صلى الله عليه وآله)؟

فقالت (عليها السلام): «**سبحان الله ماكان أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن كتاب الله صادِفاً[٢] ولا لأحكامه مخالِفاً! بل كان يتّبع أثره، ويقفو سُوَرَه، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزُور، وهذا بَعدَ وَفاته شبيه بما بُغي له من الغوائل[٣] في حَياتِهِ، هذا كتاب الله حَكَماً عَدْلاً، وناطِقاً فَصْلاً يقول: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[٤] ويقول: ﴿وورثَ سُلَيمانُ داود﴾[٥] وبيّن عزّ وجلّ فيما وزّع من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظّ الذُكران والإناث ما أزاح به علّة المبطلين، وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين، كلّا بل سوّلتْ لكم أنفُسُكُم أمراً فصَبْرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون**».

فقال أبو بكر : صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، أنت معدنُ الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجّة، لا أُبعِدُ صَوابَكِ، ولا أُنكِرُ خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلّدوني ما تقلّدت، وباتّفاقٍ منهم أخذت ما أخذت غيرَ مكابرٍ ولا مستبدٍ، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

وهذه أُولىٰ محاولة لأبي بكر استطاع فيها من إخماد عواطف المسلمين وحرف رأيهم عن مناصرة الزهراء (عليها السلام) من خلال التضليل والتظاهر

---

(١)لا تزوى : لا تمنع .
(٢)صادفاً : معرضاً .
(٣)الغوائل : المهالك .
(٤)مريم (١٩) : ٦ .
(٥)النمل (٢٧) : ١٦ .

بالصلاح واتّباع سنّة النبيّ (صلى الله عليه وآله).

ثُمَّ التفتت فاطمة (عليها السلام) إلى الناس وقالت: «معاشِرَ المسلمين المسرِعَةَ إلى قيلِ الباطلِ، المُغْضِيَةَ[1] على الفعلِ القبيحِ الخاسِر، أفلا تتدبّرونَ القُرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلّا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم. فأُخذ بسَمْعِكُم وأبصارِكُم ولبئس ما تَأَوَّلْتُم، وساء ما به أَشَرْتُم، وشرّ ما منهُ اغتَصَبْتُم، لَتَجِدُنَّ واللهِ مَحْمِلَه ثَقيلاً، وَغِبَّهُ[2] وَبيلاً، إذا كُشِفَ لكُمُ الغِطاءُ وبانَ ما وراءَه[3] الضَّرّاءُ، وبَدا لَكُم مِن رَبّكم ما لم تكونوا تحتَسِبون ﴿وخَسِرَ هُنالِكَ المُبطِلونَ﴾[4].

ثم عطفت على قبر النبيّ (صلى الله عليه وآله) وقالت:

قَد كانَ بعدَكَ أنباءٌ وهَنْبَثَةٌ[5] ... لو كنت شاهِدَها لم تكثُرِ الخُطَبُ
إنّا فَقَدناكَ فَقْدَ الأرض وابلَها ... واختلَّ قومَكَ فاشهَدْهُم ولا تَغِبُ
وكلُّ أهلٍ له قُربىً ومنزِلَةٌ ... عِندَ الإله على الأدنين مُقترِبُ
أبدَتْ رِجالٌ لنا نَجوى صدورِهِمُ ... لمّا مَضَيْتَ وحالَتْ دونك التُّرَبُ
تَجَهَّمَتْنا رجالٌ واستُخِفَّ بنا ... لمّا فُقِدْتَ وَكُلُّ الأرضِ مُغْتَصَبُ
وكنتَ بَدراً ونُوراً يُستَضاء بِهِ ... عَليْكَ يُنزل مِن ذي العِزّةِ الكُتُبُ
وكان جبريلُ بالآياتِ يُؤنِسُنا ... فَقَدْ فُقِدْتَ وَكُلُّ الخَيْرِ مُحْتَجِبُ
فَلَيْتَ قَبْلَكَ كانَ المَوْتُ صادَفَنا ... لمّا مَضَيْتَ وَحالَتْ دونَكَ الكُتُبُ[6]

أنهت الزهراء خطابها وقد أوضحت فيه الحقّ بأجلى صورة، واستجوبت الخليفة وفضحت مخططاته بالأدلّة والبراهين الساطعة المحكمة،

(١) المغضية: غضّ طرفه أي أطبقه، والمغضية أي المطبقة.
(٢) غبّه: عاقبته.
(٣) أي: ظهر لكم الشيء الذي وراءه الشدّة.
(٤) غافر (٤٠): ٧٨.
(٥) الهنبثة: الأمر الشديد.
(٦) الاحتجاج: ١ / ٢٥٣ ـ ٢٧٩ طبعة منظمة الأوقاف (انتشارات أسوة).

وذكرت فضائل الخليفة الحقيقي في الإسلام وكمالاته المطلوبة ، فتوتّر الجوّ وانساق الرأي العام لصالح الزهراء (عليها السلام) وجعلت أبا بكر في زاوية حرجة وأمام طريق مسدود .

قال ابن أبي الحديد : سألت ابن الفارقي مدرّس المدرسة الغربية ببغداد ، وقلت له : أكانت فاطمة صادقة ؟ قال : نعم، قلت : فلِمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدكاً وهي عنده صادقة ؟ فتبسّم ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً : لو أعطاها اليوم فدكاً لمجرد دعواها؛ لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يمكن الاعتذار والموافقة ، لأنّه يكون قد سجّل علىٰ نفسه أنّها صادقة فيما تدّعي كائناً ماكان من غير حاجة إلىٰ بيّنة وشهود[١] .

ردّ فعل الخليفة علىٰ خطاب الزهراء (عليها السلام) :

اضطرب المجلس وتفرّق الناس وارتفعت الضجّة وأصبحت خطبة الزهراء (عليها السلام) حديث الناس فلجأ أبو بكر إلىٰ التهديد والوعيد .

وروي أنّ أبا بكر لمّا شاهد أثر خطاب الزهراء علىٰ الناس قال لعمر : تربت يداك ماكان عليك لو تركتني ، فربّما مات الخرق ورتقت الفتق ، ألم يكن ذلك بنا أحقّ؟ فقال الرجل : قدكان في ذلك تضعيف سلطانك وتوهين كافّتك وما أشفقت إلّا عليك. قال : ويلك! فكيف بابنة محمّد ، وقد علم الناس ما تدعو اليه وما نحن من الغدر عليه؟ فقال: هل هي إلّا غمرة انجلت وساعة انقضت؟ وكأنّ ما قدكان لم يكن. فضرب بيده علىٰ كتف عمر وقال : ربّ

(١) شرح ابن أبي الحديد : ١٦ / ٢٨٤ .

كربة فرّجتها يا عمر ، ثم نادىٰ الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فصعد المنبر وقال :

أيّها الناس ، ما هذه الرعة إلىٰ كلّ قالة ؟ أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله ؟ ألا من سمع فليقل ومن شهد فليتكلّم، إنّما هو ثعالة شهيده ذَنَبه، مربّ لكل فتنة هو الذي يقول : كرّوها جذعة بعد ما هرمت يستعينون بالضعفة ويستنصرون بالنساء ، كأُم طحال أحب أهلها اليها البغي، ألا إنّي لو أشاء لقلت ، ولو قلت لبُحت ، وإنّي ساكت ما تُرِكت .

ثم التفت إلىٰ الأنصار فقال : يا معشر الأنصار قد بلغني مقالة سفهائكم وأحقّ من لزم عهد رسول الله أنتم ، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم ، ألا إنّي لست باسطاً يداً ولساناً علىٰ من لم يستحق منا ذلك ، ثم نزل[(١)] .

قال ابن أبي الحديد : قرأت هذا الكلام علىٰ النقيب أبي يحيىٰ جعفر بن أبي يحيىٰ بن أبي زيد البصري وقلت له : بمن يعترض ؟ فقال : بل يصرّح، قلت : لو صرّح لم أسألك، فضحك وقال : لعليّ بن أبي طالب، قلت : فما مقالة الأنصار ؟ قال : هتفوا بقول عليّ ، فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم[(٢)] .

دفاع أُم سلمة عن حقّ الزهراء (عليها السلام) :

بعد خطبة الزهراء (عليها السلام) في المسجد وكلام أبي بكر قالت أُمّ سلمة (رض) حين ما سمعت ما جرىٰ لفاطمة (عليها السلام) : أَلِمثلِ فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقال هذا القول ؟ هي والله الحوراء بين الإنس ، والنَفس للنفس ، رُبّيت في حجور الأتقياء ، وتناولتها أيدي الملائكة ، ونمت في

(١) دلائل الإمامة ، للطبري : ص٣٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١٦ / ٢١٥ .

حجور الطاهرات، ونشأت خيرة نشأة، وربيت خير مربىٰ، أتـزعمون أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرّم عليها ميراثه ولم يُعلمها؟ وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وأنـذر عشيرتك الأقربين﴾ أفأنذرها وخالفت مطلبه؟ وهي خيرة النسـوان وأُم سـادة الشبان، وعديلة مريم، تمّت بأبيها رسالات ربّه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحرّ والقرّ، ويوسدها يمينه ويلحفها بشماله، رويداً ورسول الله (صلى الله عليه وآله) بمرآىٰ منكم، وعلىٰ الله تردون واهاً لكم، فسوف تعلمون.

قيل: فحرمت من عطاءها تلك السنة[1].

شكواها إلىٰ الإمام عليّ (عليه السلام):

بعد ما أنهت الزهراء كلامها مع القوم بكت عند قبر رسـول الله (صلى الله عليه وآله) حتىٰ ابتل بدموعها، ثم انكأفت (عليها السلام) راجعة إلىٰ الدار وأمير المـؤمنين (عليه السلام) يتوقع رجوعها إليه ويتطلع طلوعها عليه، فلمّا استقرت بها الدار قالت لأمـير المؤمنين (عليه السلام): «**يابن أبي طالب اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضتَ قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نحلة أبي، وبُلغة ابنيَّ، لقد أجهر في خصامي، وألفيته الألدّ في كلامي حتىٰ حبستني قيلةُ نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع، خرجتُ كاظمة وعدتُ راغمة، أضرعتَ خدّك يوم أضعت حدّك، إفترست الذئاب، وافترشت التراب، ما كففت قائلاً، ولا أغنيت باطلاً، ولا خيار لي ليتني متُّ قبل هيئتي ودون ذلّتي، عذيري الله منك عادياً ومنك حامياً، ويلاي في كل شارق مات العمد ووهن العَضد شكواي إلىٰ أبي وعدواي إلىٰ ربّي، اللهمّ أنت أشدّ قوةً وحولاً، وأحَدُّ بأساً وتنكيلاً.**

(١) دلائل الإمامة للطبري: ٣٩.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا ويل عليكِ، الويل لشانئكِ، نهنهي عن وجدكِ يا بنت الصفوة وبقية النبوة، فما ونَيتُ عن ديني، ولا أخطأت مقدوري، فإن كنت تريدين البُلغة فرزقكِ مضمون، وكفيلكِ مأمون، وما أُعد لكِ خير ممّا قطع عنكِ، فاحتسبي الله»، فقالت (عليها السلام): «حسبي الله» وسكتت.

٦ ـ إعلان المقاطعة:

لم تتوقّف الزهراء عند خطبتها، فقد استمرت في جهادها واختارت الاعتصام عن الكلام مع أبي بكر هذه المرّة، فأعلنت رسمياً أمام الملأ: «**والله لا أُكلمك بكلمة ما حييت**»[١].

ولم تكن فاطمة (عليها السلام) من سواد الناس، بحيث لو قاطعت الخليفة لم تؤثّر عليه، ولم يكن الأمر غير ذي بال، ففاطمة عزيزة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحبيبته، ولم يخف اهتمامه (صلى الله عليه وآله) بها وحبه لها على أحد، وهي التي قال فيها: «**فاطمة بضعة منّي، من آذاها فقد آذاني**».

وانتشر الخبر رويداً رويداً: إنّ فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساخطة على أبي بكر ولم تكلّمه، وسمع بذلك القاصي والداني من داخل المدينة وخارجها فتساءل الناس، وازدادوا نفوراً من الخليفة يوماً بعد يوم، ورغم محاولات الخليفة إعادة المياه إلى مجاريها والمصالحة مع الزهراء إلّا أنّها (عليها السلام) استمرت في جهادها وبقيت على صمودها حتى مضت إلى ربها شهيدة مظلومة.

---

(١) كشف الغمة: ١ / ٤٧٧.

المعنىٰ الرمزي والسياسي لفدك :

إنّ الحركة التصحيحية التي قام بها الإمام عليّ والزهراء (عليهما السلام) لإعادة الخلافة الإسلامية عن جادة الانحراف اكتسبت ألواناً وصيغاً متعدّدة، وتزعّمت الزهراء الجبهة السياسية العلنيّة، وتنوّعت أساليب المطالبة بحقّ خلافة الإمام عليّ (عليه السلام)، ومنها المطالبة بفدك، وحتىٰ هذه المطالبة تلوّنت بعدة ألوان .

والباحث الموضوعي في دراسة خطوات الصراع وتطوّراته والأشكال التي اتّخذها لا يرىٰ أنّ المسألة مسألة مطالبة بأرض ، بل يتجلّىٰ له منها مفهوم أوسع من ذلك ينطوي علىٰ غرض طموح يبعث إلىٰ الثورة ، ويهدف إلىٰ استرداد حقّ مغتصب ومجد عظيم ، وتصحيح مسيرة أمّة انقلبت علىٰ أعقابها، وقد أحسّ الحزب الحاكم بذلك، فتراه قد بذل قصارى جهده في التحدّي والثبات على موقفه .

ولو فحصنا أيّ نصّ من النصوص التأريخية المتعلّقة بفدك فلا نجد فيها نزاعاً مادياً أو اختلافاً حول فدك بمعناها الضيّق وواقعها المحدود ، بل هي الثورة علىٰ أساس الحكم المنحرف والصرخة التي أرادت لها الزهراء (عليها السلام) أن تصل إلىٰ كلّ الآفاق، لتقتلع بها الحجر الأساسي الذي بُني يوم السقيفة .

ويكفينا لإثبات ذلك أن نلقي نظرةً فاحصةً علىٰ خطبة الزهراء في المسجد أمام الخليفة وبين حشود المهاجرين والأنصار ، فإنّها تناولت في أغلب جوانبها امتداح الإمام عليّ (عليه السلام) والثناء علىٰ مواقفه الجهادية الخالصة لخدمة الإسلام، وتسجيل الحقّ الشرعي لأهل البيت (عليهم السلام) الذين وصفتهم بأنّهم الوسيلة إلىٰ الله في خلقه وخاصته ومحلّ قدسه وحجّته ، وورثة أنبيائه في الخلافة والحكم .

وحاولت الزهراء (عليها السلام) أن تنبه المسلمين إلىٰ غفلتهم وسوء اختيارهم المرتجل والمتسرّع وانقلابهم علىٰ أعقابهم بعد هداهم ، وورودهم غير شربهم الصافي الذي كان يروي ظمأهم ، وإسنادهم أمرهم إلىٰ غير أهله، والفتنة التي سقطوا فيها ، والدوافع التي دفعتهم إلىٰ ترك كتاب الله ومخالفته فيما يحكم به في مسألة الخلافة والإمامة .

فالمسألة إذن ليست مسألة تقسيم ميراث أو قبض نحلة إلّا بالمقدار الذي يتّصل بموضوع الهدف الأعلىٰ ، وليست مطالبة بعقار أو دار، بل هي في نظر الزهراء قضية إسلام وكفر ، وقضية إيمان ونفاق ، ومسألة نصّ وشورىٰ .

كذلك نجد هذا النفس السياسي الرفيع والواضح في حديثها مع نساء المهاجرين والأنصار حين زيارتهن لها، فقد أوضحت لهنّ أنّ أمر الخلافة انحرف عن مساره الشرعي بإقرار الحزب الحاكم على مسند الحكم، ولم تكن ردّة فعل عاطفية وأحقاد مكنونة وجدت لها متنفساً، ولو أنهم وضعوا الأمر حيث أمر الله ورسوله وأعطوا زمام القيادة للإمام (عليه السلام)؛ لبلغوا رضا الله وسعادة الدنيا والآخرة .

وأكبر الظنّ أنّ الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) كانت تجد في شيعة الإمام(عليه السلام) وصفوة أصحابه الذين لم يكونوا يشكّون في صدقها أبداً من يؤيّد بشهادته علىٰ شهادة الإمام عليّ (عليه السلام) وتكتمل البيّنة التي طالب بها الخليفة لإثبات أنّ فدك للزهراء (عليها السلام).

إنّ هذا خير دليل علىٰ أنّ الهدف الأعلىٰ للزهراء الذي كانوا يعرفونه جيداً ليس هو إثبات النحلة أو الميراث، بل القضاء علىٰ نتائج السقيفة، وهذا لا يحصل بإقامة البيّنة في موضوع فدك، لأنّ الأمر سينحصر عند ذاك بقضية محدودة، بل بأن تقدّم البيّنة لدىٰ الناس جميعاً علىٰ أنّهم ضلّوا وانحرفوا عن

سواء السبيل، عسىٰ أن يرتدّ إليهم رشدهم ويحسن اختيارهم ويصحّحوا مسيرتهم.

ونعلم أيضاً مقدار تخوّف السلطة الحاكمة وإصرارها علىٰ موقفها ومحاولتها الاستمرار في تضليل الجماهير حين نسمع ردّ الخليفة بعد أن انتهت الزهراء (عليها السلام) من خطبتها وخرجت من المسجد، وهذا يلقي الضوء علىٰ أساس منازعة الزهراء له، فإنّه فهم أنّ احتجاج الزهراء لم يكن حول الميراث أو النحلة، وإنّما كان حرباً سياسية وتظلّماً لحقّ الإمام عليّ (عليه السلام) وإظهاراً لدوره العظيم في وجوده في الأُمة، والذي شاء الخليفة وأصحابه أن يبعدوه عن المقام الطبيعي له في دنيا الإسلام.

فنجد أنّ الخليفة هجم في ردّه علىٰ الإمام عليّ (عليه السلام) فوصفه بأنّه ثعالة وأنّه مربّ لكلّ فتنة وأنّ فاطمة ذنبه التابع له، ولم يتطرّق في ردّه علىٰ موضوع الميراث أو النحلة قليلاً أو كثيراً.

وإذا عرفنا أنّ الزهراء نازعت الخليفة في أمر الميراث بعد اغتصابه لفدك، لأنّ الناس لم يعتادوا أن يستأذنوا الخليفة في قبض مواريثهم أو في تسليم المواريث إلىٰ أهلها، فكانت تجري معاملاتهم بينهم بيسر دون تكلّف، فلم تكن فاطمة (عليها السلام) في حاجة إلىٰ مراجعة الخليفة، ولم تكن لتأخذ رأيه وهو الظالم المنتزي علىٰ الحكم في رأيها، فالمطالبة بالميراث لابدّ أنّها كانت ذات صدىً لما قام به الخليفة من تعدّي علىٰ حقّ الزهراء في التركة والاستيلاء عليها.

وإذا عرفنا أيضاً أنّ الزهراء لم تطالب بحقوقها قبل أن تغتصب منها تجلّىٰ بوضوح لدينا أنّ ظروف المطالبة كانت مشجّعة كلّ التشجيع للمعارضين علىٰ أن يغتنموا مسألة الميراث مادةً خصبةً للانطلاق منها

لمقاومة الخليفة غير الشرعي بأُسلوب سلمي كانت تفرضه المصالح العليا للإسلام يومئذٍ، ومن الممكن إتّهامه بالغصب والتلاعب بقواعد الشريعة والاستخفاف بكرامة القانون .

٧ ـ خيارات الإمام عليّ (عليه السلام) تجاه الوضع الجديد :

إنّ الأحداث المتسارعة والمواقف المنحرفة وظهور أطراف عديدة تعدّ للإسلام المكائد وتطرق أبواب الفتن وغياب الوعي الرسالي والحرص على سلامة العقيدة أملت على الإمام عليّ (عليه السلام) أن يقف عند مفترق طرق ثلاثة ، كلّ منها حرجٌ :

الأولّ : أن يبايع أبا بكر دون ممانعة، ويكون حاله مثل بقية المسلمين، بل يحظىٰ بمكانة مرموقة لدى السلطة الجديدة ويحافظ على وجوده وكيانه ومنافعه من دون إهتمام بمسيرة الدعوة الإسلامية ، وهذا غير ممكن ، لأنّه يعني إمضاءه لبيعةٍ مخالفةٍ لأوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

الثاني : أن يسكت وفي العين قذىً وفي الحلق شجىً، ويحاول أن يجد مسلكاً معتدلاً وسط التناقضات التي ستحصل من جراء حكومة غير مؤهلة، ليحافظ على كيان الإسلام ويصون العقيدة الإسلامية من الإنهيار التام .

الثالث : أن يعبّئ الجماهير ويعدّهم لإعلان الثورة المسلحة على خلافة أبي بكر .

قرار المواجهة السلمية ودور الزهراء (عليها السلام) :

انتهى الإمام إلىٰ قرار حاسم وهو ترك الثورة وعدم التسلّح بالنصوص في وجه الحاكمين جهاراً وعلانية إلّا إذا اطمأن إلىٰ قدرته على تجنيد الرأي العام

ضدّ أبي بكر وصاحبيه، وهذا ما أخذ يحاوله عليّ في محنته آنذاك، فبدأ يطوف[١] سِرّاً على زعماء المسلمين ورجالات المدينة، يعظهم ويذكّرهم ببراهين الحقّ وآياته، وإلى جانبه قرينته تعزّز موقفه وتشاركه في جهاده السرّي، ولم يكن يقصد بذلك التطواف إنشاء حزب يتهيّأ له القتال به، لأنّنا نعرف، أنّ عليّاً كان له حزب من الأنصار هتف باسمه، وحاول الالتفاف حوله،وإنّما أراد أن يمهّد بتلك المقابلات لإجماع الناس عليه.

وهنا تجيء مسألة فدك لتحتلّ الصدارة في السياسة العلوية الجديدة، فإنّ الدور الفاطمي الذي رسم هارون النبوّة خطوطه بإتقان كان متفقاً مع ذلك التطواف الليلي في فلسفته وجديراً بأن يقلب الموقف على الخليفة وينهي خلافة الصدّيق كما تنهي القصة التمثيلية، لا كما يقوّض حكمٌ مركّزٌ على القوّة والعدّة.

وكان الدور الفاطمي يتلخص في أن تطالب الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) أبا بكر بما انتزعه منها من أموال، وتجعل هذه المطالبة وسيلةً للمناقشة في المسألة الأساسية وهي مسألة الخلافة، وإفهام الناس بأنّ اللحظة التي عدلوا فيها عن علي (عليه السلام) إلى أبي بكر كانت لحظة هوس وشذوذ[٢]، وأنهم بذلك أخطأوا وخالفوا كتاب ربّهم ووردوا غير شربهم[٣].

ولمّا اختمرت الفكرة في ذهن فاطمة، اندفعت لتصحّح أوضاع الساعة،

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٦ / ١٣، الطبعة المحققة، أخرج عن أبي جعفر محمّد بن علي (عليهما السلام) أنّ عليّاً حَمَلَ فاطمة على حمار وسارَ بها ليلاً إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة الانتصار له.

(٢) راجع بلاغات النساء : ٢٣، قالت في هذا المعنى من خطبة لها(عليها السلام) : «وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه، فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، فاستنهضكم فوجدكم خفافاً... فوسمتم غير إبلكم».

(٣) جاء في شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٦ / ١٢ : قال علي(عليه السلام) في محاورة مع القوم: «يا معشر المهاجرين الله الله، لاتخرجوا سلطان محمّد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم..».

وتمسح عن الحكم الإسلامي ـ الذي وضعت قاعدته الأُولى في السقيفة ـ الوحل الذي تلطّخ به، عن طريق اتّهام الخليفة الحاكم بالخيانة السافرة والعبث بكرامة القانون، واتّهام نتائج المعركة الانتخابية التي خرج منها أبو بكر خليفةً بمخالفة الكتاب والصواب(١).

وقد توفّرت في المقابلة الفاطمية ناحيتان لا تتهيّئان للإمام فيما لو وقف موقف قرينته:

إحداهما: إنّ الزهراء أقدر منه بظروف فجيعتها الخاصّة ومكانتها من أبيها، على استثارة العواطف، وإيصال المسلمين بسلك من كهرباء الروح بأبيها العظيم صلوات الله عليه وأيّامه الغرّاء، وتجنيد مشاعرهم لقضايا أهل البيت.

والأُخرى: إنّها مهما تتّخذ لمنازعتها من أشكال فلن تكتسب لون الحرب المسلّحة التي تتطلّب زعيماً يهيمن عليها ما دامت امرأة، وما دام هارون النبوّة في بيته محتفظاً بالهدنة التي أعلنها حتّى تجتمع الناس عليه، ومراقباً للموقف ليتدخّل فيه متى شاء، مترعّماً للثورة إذا بلغت حدّها الأعلى أو مهدّئاً للفتنة إذا لم يتهيّأ له الظرف الذي يريده، فالحوراء فاطمة (عليها السلام) بمقاومتها إمّا أن تحقّق انتقاضاً إجماعياً على الخليفة، وإمّا أن لا تخرج عن دائرة الجدال والنزاع ولا تجرّ إلى فتنة وانشقاق.

إذن فقد أراد الإمام صلوات الله عليه أن يُسمِع الناس يومئذٍ صوته من فم الزهراء، ويبقى هو بعيداً عن ميدان المعركة ينتظر اللحظة المناسبة للاستفادة منها، والفرصة التي تجعل منه رجل الموقف، وأراد أيضاً أن يقدّم لأُمّة القرآن كلّها في المقابلة الفاطمية برهاناً على بطلان الخلافة القائمة، وقد تمّ

---

(١) راجع الصواعق المحرقة: ٣٦، طبعة مكتبة القاهرة، قال الخليفة الثاني: «كانت بيعة أبي بكر فلتةً وقى الله شرّها فمن عاد لمثلها فاقتلوه...». وراجع أيضاً تاريخ الخلفاء: ٦٧.

للإمام ما أراد حيث عبّرت الزهراء صلوات الله عليها عن الحقّ العلويّ تعبيراً واضحاً فيه ألوان من الجمال والنضال.

وتتلخّص المعارضة الفاطمية في عدّة مظاهر:

الأوّل: إرسالها مَن ينازع أبا بكر في مسائل الميراث ويطالب بحقوقها[1] وهذه هي الخطوة الأُولى التي انتهجتها الزهراء صلوات الله عليها تمهيداً لمباشرتها للعمل بنفسها.

الثاني: مواجهتها بنفسها له في اجتماع خاصّ[2] وقد أرادت بتلك المقابلة أن تشتدّ في طلب حقوقها من الخمس وفدك وغيرهما، لتعرف مدىٰ استعداد الخليفة للمقاومة.

الثالث: خطبتها في المسجد بعد عشرة أيام من وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله) كما في شرح النهج[3].

الرابع: حديثها مع أبي بكر وعمر حينما زاراها بقصد الاعتذار منها، وإعلانها غضبها عليهما، وأنّهما أغضبا الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) بذلك[4].

الخامس: خطابها الذي ألقته علىٰ نساء المهاجرين والأنصار حين

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١٦ / ٢١٨ ـ ٢١٩ عن أبي الطفيل قال: «أرسلت فاطمة إلىٰ أبي بكر: أنت ورثت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أم أهله؟ قال: بل أهله ...».

(٢) المصدر نفسه: ١٦ / ٢٣٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٦ / ٢١١ أخرج عن جماعة قال: « قالوا: لمّا بلغ فاطمة (عليها السلام) إجماع أبي بكر علىٰ منعها فدك لاثت خمارها وأقبلت في لُمة من حفدتها ونساء قومها ... حتّىٰ دخلت علىٰ أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار ... ».

(٤) راجع: الإمامة والسياسة / ابن قتيبة: ٣١ وشرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١٦ / ٢٨١، ٢٦٤. وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « فاطمة بضعة منّي من أغضبها أغضبني »، أعلام النساء: ٤ / ١٢٣ وكنز العمّال: ١٢ / الحديث ٣٤٢٢٢.

اجتماعهنّ عندها[١].

السادس: وصيّتها بأن لا يحضر تجهيزها ودفنها أحد من خصومها[٢] وكانت هذه الوصية الإعلان الأخير من الزهراء عن نقمتها على الخلافة القائمة.

وقد انحسرت الحركة الفاطمية بمعنىً ونجحت بمعنىً آخر، انحسرت لأنّها لم تُطِح بحكومة الخليفة في زحفها الأخير الخطير الذي قامت به في اليوم العاشر من وفاة النبيّ (ﷺ).

ولا نستطيع أن نتبيّن الأُمور التي جعلت الزهراء تخسر المعركة، غير أنّ الأمر الذي لا ريب فيه أنّ شخصيّة الخليفة من أهمّ الأسباب التي أدّت إلىٰ فشلها، لأنّه من أصحاب المواهب السياسية، وقد عالج الموقف بلباقة ملحوظة نجد لها مثالاً، فيما أجاب به الزهراء من كلام وجّهه إلى الأنصار في خطاب بعد انتهائها من خطبتها في المسجد.

فبينما هو يذوب رقّة في جوابه للزهراء وإذا به يطوي نفسه علىٰ نار متأجّجة تندلع بعد خروج فاطمة من المسجد، في أكبر الظنّ، فيقول: ما هذه الرّعة إلىٰ كلّ قالة إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه[٣] ـ وقد نقلنا الخطاب كاملاً فيما سبق ـ فإنّ هذا الانقلاب من اللين والهدوء إلى الغضب الفائر يدلّنا علىٰ مقدار ما أُوتي من سيطرة علىٰ مشاعره وقدرته علىٰ مسايرة الظرف وتمثيل الدور المناسب في كلّ حين.

ونجحت معارضة الزهراء لأنّها جهرت الحقّ بقوّة قاهرة، وأضافت إلىٰ

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١٦ / ٢٣٣.

(٢) المصدر نفسه: ٦ / ٢٨١.

(٣) راجع الخطبة في شرح نهج البلاغة: ١٦ / ٢١٤ ـ ٢١٥.

طاقته على الخلود في ميدان النضال المذهبي طاقة جديدة ، وقد سجلت هـذا النجاح في حركتها كلّها وفي محاورتها مع الصدّيق والفاروق عند زيـارتهما لها بصورة خاصّة، إذ قالت لهما : أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عـن رسـول الله (صلى الله عليه وآله) تعرفانه وتفعلان به ؟ فقالا : نعم ، فقالت : **«نشدتكما الله، ألم تسمعا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : « رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحبّ فاطمة فقد أحبّني، ومن أرضىٰ فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني »**[١] قالا : نعم سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قالت : **« فإنّي أُشهِدُ الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبيّ (صلى الله عليه وآله) لأشكونّكما عنده »**[٢].

ويصوّر لنا هذا الحديث مدىٰ اهتمامها بتركيز الاعتراض علىٰ خصمَيْها ومجاهرتهما بغضبها ونقمتها، لتخرج من المنازعة بنتيجة هي الفوز المؤكّد في حساب العقيدة والدين، وأعني بها أنّ الصدّيق قد استحقّ غضب الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) بإغضابها ، وآذاهما بأذاها لأنّهما يغضبان لغضبها ويسخطان لسخطها بنصّ الحديث النبويّ الصحيح، فلا يجوز أن يكون خليفة لله ورسوله[٣]، وقد قال الله تبارك وتعالىٰ :

(١) صحّت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عبائر متعدّدة بهذا المعنىٰ فقد جاء عنه في الصحيح أنّه قال لفاطمة (رضي الله عنها) : «إنّ الله يغضبُ لغضبك ، ويرضىٰ لرضاك .. » وقال : « فاطمة بضعةٌ منّي يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها » .

راجع : صحيح مسلم : ٤ / ١٩٠٢ حديث رقم : ٩٣ / ٢٤٤٩ طبعة دار إحياء التراث ، مستدرك الحاكم : ٣ / ١٥٨ ، ذخائر العقبىٰ : ٤٧ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٤ / ٣٢٣ و ٣٣٢، جامع الترمذي : ٥ / ٦٩٩ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الصواعق المحرقة / ابن حجر : ١٩٠ ـ طبعة القاهرة ، كفاية الطالب : ٣٦٥ ، دار احياء تراث أهل البيت ـ طهران .

(٢) تجد غضب فاطمة (عليها السلام) علىٰ أبي بكر في صحيح البخاري : ٥ / ٥ وصحيح مسلم : ٢ / ٧٢ ومسند الإمام أحمد : ١ / ٦ ، تاريخ الطبري : ٤ / ٢٧ ، كفاية الطالب : ٢٦٦ ، سنن البيهقي : ٦ / ٣٠٠ .

(٣) راجع فدك في التاريخ : ١١٢ ـ ١١٩ .

﴿... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللهِ عَظِيماً﴾(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾(٢).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾(٣).

﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾(٤).

﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوىٰ﴾(٥).

٨ ـ الهجوم على دار الزهراء (عليها السلام):

رفض الإمام عليّ (عليه السلام) البيعة لأبي بكر، وأعلن سخطه على النظام الحاكم، ليتّضح للعالم أنّ هذه الحكومة التي أعرض عنها الرجل الأول في الإسلام بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا تمثّل الخلافة الواقعية لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكذلك فعلت الزهراء فاطمة (عليها السلام) ليعلم الناس أنّ ابنة نبيّهم ساخطة عليهم وهي تدينها فلا شرعية لهذا الحكم.

وبدأ الإمام عليّ (عليه السلام) من جانب آخر جهاداً سلبياً ضد الغاصبين للحقّ الشرعي، ووقف مع الإمام عليّ (عليه السلام) عدد من أجلّاء الصحابة من المهاجرين والأنصار وخيارهم وممن أشاد النبيّ (صلى الله عليه وآله) بفضلهم مع إدراكهم لحقائق الأُمور مثل: العباس بن عبد المطلب، وعمار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، وسلمان

---

(١) الأحزاب (٣٣): ٥٣.
(٢) الأحزاب (٣٣): ٥٧.
(٣) التوبة (٩): ٦١.
(٤) الممتحنة (٦٠): ١٣.
(٥) طه (٢٠): ٨١.

الفارسي ، والمقداد بن الأسود ، وخزيمة ذي الشهادتين ، وعبادة بن الصامت ، وحذيفة بن اليمان ، وسهل بن حنيف ، وعثمان بن حنيف ، وأبي أيوب الأنصاري وغيرهم، من الذين لم تستطع أن تسيطر عليهم الغوغائية، ولم ترهبهم تهديدات الجماعة التي مسكت بزمام الخلافة وفي مقدمتهم عمر ابن الخطاب .

وقد قام عدد من الصحابة المعارضين لبيعة أبي بكر بالاحتجاج عليه، وجرت عدّة محاورات عليه في مسجد النبيّ (صلى الله عليه وآله) وفي أماكن عديدة، ولم يهابوا من إرهاب السلطة مما ألهب مشاعر الكثيرين الذين أنجرفوا مع التيار، فعاد إلىٰ بعضهم رشده وندموا علىٰ ما ظهر منهم من تسرّعهم واندفاعهم لعقد البيعة بصورة ارتجالية لأبي بكر ، بالإضافة إلىٰ ما ظهر منهم من العداء السافر تجاه أهل بيت النبوّة .

وكانت هناك بعض العشائر المؤمنة المحيطة بالمدينة مثل: أسد ، وفزارة، وبني حنيفة وغيرهم، ممن شاهد بيعة يوم الغدير « غدير خم » التي عقدها النبيّ (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام) بإمرة المؤمنين من بعده ، ولم يطل بهم المقام حتىٰ سمعوا بالتحاق النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلىٰ الرفيق الأعلىٰ والبيعة لأبي بكر وتربّعه علىٰ منصة الخلافة، فاندهشوا لهذا الحادث ورفضوا البيعة لأبي بكر[1] جملةً وتفصيلاً، وامتنعوا عن أداء الزكاة للحكومة الجديدة باعتبارها غير شرعية ، حتى ينجلي ضباب الموقف ، وكانوا علىٰ إسلامهم يقيمون الصلاة ويؤدّون جميع الشعائر .

ولكنّ السلطة الحاكمة رأت أنّ من مصلحتها أن تجعل حدّاً لمثل هؤلاء

---

(١) تاريخ الامم والملوك ، للطبري : ٤ / ٦١ ط . دار الفكر .

الذين يشكّلون خطراً للحكم القائم، ما دامت معارضة الإمام عليّ (عليه السلام) وصحابته تمثّل خطراً داخلياً للدولة الإسلامية، عند ذلك أحسّ أبو بكر وأنصاره بالخطر المحيط بهم وبحكمهم من خلال تصاعد المعارضة إن لم يبادروا فوراً إلىٰ ايقاف هذا التيار المعارض ، وذلك بإجبار رأس المعارضة (عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)) علىٰ بيعة أبي بكر .

ذكر بعض المؤرّخين(١): أنّ عمر بن الخطّاب أتىٰ أبا بكر فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة ؟ يا هذا لم تصنع شيئاً ما لم يبايعك علي ! فابعث اليه حتىٰ يبايعك ، فبعث أبو بكر قنفذاً ، فقال قنفذ لأمير المؤمنين (عليه السلام) : أجب خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) . قال عليّ (عليه السلام) : **«لَسريع ماكذبتم علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله)»** فرجع فأبلغ الرسالة فبكىٰ أبو بكر طويلاً ، فقال عمر ثانيةً: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفذ: عُد إليه فقل له : خليفة رسول الله(صلى الله عليه وآله) يدعوك لتبايع، فجاءهُ قنفذ، فأدّىٰ ما أمر به ، فرفع عليّ(عليه السلام) صوته وقال : **«سبحان الله ! لقد إدعىٰ ما ليس له»** فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكىٰ أبو بكر طويلاً، فقال عمر: قم إلىٰ الرجل ، فقام أبو بكرٍ وعمر وعثمان وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولىٰ أبي حذيفة .

وظنّت فاطمة (عليها السلام) أنّه لا يدخل بيتها أحدٌ إلّا بإذنها، فلمّا أتوا باب فاطمة (عليها السلام) ودقّوا الباب وسمعت أصواتهم نادت بأعلىٰ صوتها: **«يا أبتِ يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) جنازة بأيدينا وقطعتم أمركم بينكم ، لم**

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ٢٩ ـ ٣٠ .

تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقاً».

فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدّع وأكبادهم تنفطر وبقي عمر ومعه قوم، ودعا عمر بالحطب ونادىٰ بأعلىٰ صوته: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها علىٰ من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن [1].

فوقفت فاطمة (عليها السلام) خلف الباب وخاطبت القوم: **«ويحك يا عمر ما هذه الجرأة علىٰ الله وعلىٰ رسوله؟ تريد أن تقطع نسله من الدنيا وتفنيه وتطفئ نور الله؟ والله متّم نوره».** فركل عمر الباب برجله فاختبأت فاطمة (عليها السلام) بين الباب والحائط رعاية للحجاب، فدخل القوم إلىٰ داخل الدار مما سبّب عصرها سلام الله عليها، وكان ذلك سبباً في إسقاط جنينها.

وتواثبوا علىٰ أمير المؤمنين وهو جالس علىٰ فراشه، واجتمعوا عليه حتىٰ أخرجوه ملبّباً بثوبه يجرّونه إلىٰ السقيفة، فحالت فاطمة (عليها السلام) بينهم وبين بعلها وقالت: **«والله لا أدعكم تجرّون ابن عمّي ظلماً، ويلكم ما أسرع ما خُنتم الله ورسوله، فينا أهل البيت، وقد أوصاكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) باتّباعنا ومودّتنا والتمسّك بنا»،** فأمر عمر قنفذاً بضربها فضربها قنفذ بالسوط فصار بعضدها مثل الدملج [2].

فأخرجوا الإمام (عليه السلام) يسحبونه إلىٰ السقيفة حيث مجلس أبي بكر، وهو ينظر يميناً وشمالاً وينادي **« واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم، واجعفراه ولا جعفر لي اليوم»!!** وقد مرّوا به علىٰ قبر أخيه وابن عمّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنادىٰ **« يا ابن أُم إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ».**

وروي عن عدي بن حاتم أنّه قال: والله ما رحمت أحداً قطّ رحمتي

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) مرآة العقول: ٥ / ٣٢٠.

عليّ بن أبي طالب (ﷺ) حين أُتي به ملتبباً بثوبه، يقودونه إلىٰ أبي بكر وقالوا له: بايع! قال: «فإن لم أفعل فَمَه؟» قال له عمر: إذن والله أضرب عنقك، قال عليّ: «إذن والله تقتلون عبدالله وأخا رسوله» فقال عمر: أمّا عبدالله فنعم، وأمّا أخو رسول الله فلا، فقال: «أتجحدون أنّ رسول الله (ﷺ) آخىٰ بيني وبينه؟!» وجرىٰ حوار شديد بين الإمام (ﷺ) وبين الحزب الحاكم.

وعند ذلك وصلت السيّدة فاطمة (ﷺ) وقد أخذت بيد ولديها الحسن والحسين (ﷺ) وما بقيت هاشمية إلّا وخرجت معها، يصحن ويولولن فقالت فاطمة (ﷺ): «خلوا عن ابن عمّي!! خلوا عن بعلي!! والله لأكشفن رأسي ولأضعنّ قميص أبي علىٰ رأسي ولأدعوَنَّ عليكم، فما ناقة صالح بأكرم علىٰ الله منّي، ولا فصيلها بأكرم علىٰ الله من ولدي»(١).

وجاء في رواية العياشي أنّها قالت: يا أبا بكر، أتريد أن ترملني عن زوجي وتيتّم أولادي؟ والله لئن لم تكفّ عنه لأنشرنّ شعري ولأشقّنّ جيبي ولآتينَّ قبر أبي ولأصرخنَّ إلىٰ ربّي» فأخذت بيد الحسن والحسين تريد قبر أبيها، عند ذلك تصايح الناس من هنا وهناك بأبي بكر: ما تريد إلىٰ هذا؟ أتريد أن تنزل العذاب علىٰ هذه الأُمة؟

وراحت الزهراء وهي تستقبل المثوىٰ الطاهر لرسول الله (ﷺ) تستنجد بهذا الغائب الحاضر: «يا أبتِ يا رسول الله! (ﷺ) ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة؟ فما تركت كلمتها إلّا قلوباً صدعها الحزن وعيوناً جرت دمعاً»(٢).

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١ / ٢٢٢.

(٢) الغدير: ٣ / ١٠٤. راجع الإمامة والسياسة: ١ / ١٣، وتأريخ الطبري: ٣ / ١٩٨، والعقد الفريد: ٢ / ٢٥٧، وتاريخ أبي الفداء: ١ / ١٦٥، وتاريخ ابن شحنة في حوادث سنة ١١، وشرح ابن أبي الحديد: ٢ / ١٩.

٩ ـ المواجهة مع الزهراء (عليها السلام) :

ماكانت السيدة فاطمة الزهراء تنتظر أن ترىٰ في حياتها يوماً كذلك اليوم ومأساةً كتلك المأساة وإن كان أبوها (صلى الله عليه وآله) قد أخبرها بذلك ، ولكن السماع شيء والرؤية شيء آخر ، وتأثير المصيبة يختلف سماعاً ورؤية، إن كانت (عليها السلام) سمعت من أبيها أنّ الأُمور تنقلب عليها وأنّ الأحقاد سوف تظهر بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) فإنّها قد شاهدت تلك الأحداث، فقد هجم القوم علىٰ عرينها ليخرجوا زوجها من ذلك البيت الذي ماكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدخله إلّا بعد الاستئذان من فاطمة (عليها السلام) .

كانت الزهراء تتذكّر كيف أنّ زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) تجهّزت للّحوق بأبيها ، وخرجت من مكة علىٰ بعير لها وهي في الهودج، فخرج في طلبها هبّار بن الأسود فروّعها بالرمح ـ وهي في الهودج ـ وكانت حاملاً ، فلمّا رجعت طرحت ما في بطنها ، فلذلك أباح رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكة دم هبّار بن الأسود .

ترىٰ ماذا سيقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين يرىٰ القوم لا يرعون حرمة ولا كرامة لدار حبيبته الزهراء ؟ بل ولا هيبة ولا احتراماً لبضعته حين يتجرّأ القوم فيضربونها ويروّعونها فيكون ذلك علة لسقوط جنينها ومرضها ثم وفاتها؟.

بالرغم من أنّ المواجهة التي حصلت في دار الزهراء (عليها السلام) كانت لفترة قصيرة ووقعت في مكان محدود غير أنّ صداها بقي لأجيال وأجيال إلىٰ يومنا هذا تشعِر المرء بمرارة التعدّي والظلم الذي لحق بآل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولمّا تنقضِ أيام معدودات علىٰ غياب الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) .

من هذه المواجهة نستطيع أن نلحظ بعض الجوانب التي تدلّ علىٰ

شخصية الزهراء :

١ ـ أنّ الزهراء (عليها السلام) هبّت للدفاع عن الوصي، ووقفت خلف الباب بصلابة متناهية، وخاطبت القوم بالحجّة البالغة عسىٰ أن يرتدع الظالمون، ولم تلتزم الصمت لأنّها صاحبة حقّ والمهاجمين غاصبون لحقّ الخلافة الشرعية .

٢ ـ حينما أخرجوا علياً (عليه السلام) راحت الزهراء (عليها السلام) تدافع في موقع آخر، فلحقت به لعلّها تمنعهم عنه رغم كلّ الآلام التي تعرّضت لها عند هجومهم علىٰ الدار ، لأنّه أصبح لديها حقّان: حقّ الدفاع عن الوصي والمطالبة بالخلافة، وحقّ الظلامة التي جرت عليها من تعدّي القوم علىٰ حرمتها وهي ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)[1] .

وحين أعيتها الحِيَل والسبل؛ انصرفت للدعاء عليهم صارخة مستغيثة بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله) علىٰ رؤوس الأشهاد. إنّ موقف الزهراء (عليها السلام) سجّل اعتراضاً صارخاً واضحاً لكلّ متتبع للحقّ بأنّ الخلافة انحرفت عن مسارها الصحيح وأصحابها الشرعيين، وقد أدّت دورها العظيم في محاولة إعادة حقّ الخلافة إلىٰ صاحبها الشرعي الإمام عليّ (عليه السلام) أو علىٰ أقل تقدير أعادت التجربة الإسلامية إلىٰ مجراها الحقيقي عبر استنهاض الاُمة وبثّ الوعي فيها وفضح المغتصبين للخلافة، مع التأكيد علىٰ عدم أهليتهم لتحمّل أعباء مسؤولية زعامة المسلمين ولم تزل الرسالة حديثة عهد بهم .

كلامها في حقّ الإمامة وظلامة أهل البيت (عليهم السلام) :

عن محمود بن لبيد قال : لمّا قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانت فاطمة (عليها السلام)

(١) فاطمة الزهراء ، ابراهيم الأميني : ١٢٣ .

تأتي قبور الشهداء وتأتي قبر حمزة وتبكي هناك، فلمّا كان في بعض الأيام أتيت قبر حمزة فوجدتها (عليها السلام) تبكي هناك ، فأمهلتها حتى سكنت ، فأتيتها وسلّمت عليها وقلت : يا سيّدة النسوان قد والله قطّعتِ أنياط قلبي من بكائك، فقالت : «يا أبا عمر! لحقّ لي البكاء، فلقد أصبت بخير الآباء رسول الله (صلى الله عليه وآله) واشوقاه إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله)»! ثم أنشأت تقول :

«إذا مـات مـيّت قـلّ ذكـره وذكـر أبـي مـذ مات والله أكثر»

قلت : يا سيّدتي إنّي سائلك عن مسألةٍ تتلجلج في صدري ، قالت : «سل». قلت: هل نصّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل وفاته علىٰ عليّ (عليه السلام) بالإمامة ؟ قالت : «واعجباه! أنسيتم يوم غدير خم ؟» قلت : قد كان ذلك ولكن أخبريني بما أسرّ اليك، قالت : «أشهد الله تعالىٰ لقد سمعته يقول : عليٌ خير من أُخلّفه فيكم ، وهو الإمام والخليفة بعدي وسبطاي وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار ، لئن اتّبعتموهم وجدتموهم هادين مهديّين، ولئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلىٰ يوم القيامة » .

قلت : يا سيّدتي فما باله قعد عن حقّه ؟ قالت : «يا أبا عمر، لقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : مثل الإمام مثل الكعبة إذ تؤتىٰ ولا تأتي ـ أو قالت مثل علي ـ ثم قالت : أما والله لو تركوا الحقّ علىٰ أهله واتّبعوا عترة نبيّه لما اختلف في الله اثنان، ولورثها سلف عن سلف وخلف عن خلف حتىٰ يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين ، ولكن قدّموا من أخّره الله وأخّروا من قدّمه الله ، حتىٰ إذا ألحدوا المبعوث وأودعوه الجدث المجدوث اختاروا بشهوتهم ، وعملوا بآرائهم ، تبّاً لهم ، أوَ لم يسمعوا الله يقول : ﴿ وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ﴾ بل سمعوا ولكنّهم كما قال الله سبحانه: ﴿ فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور ﴾ هيهات بسطوا في الدنيا آمالهم ، ونسوا آجالهم ،

فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم ، أعوذ بك يا ربّ من الحور بعد الكور»[١] .

وقالت (عليها السلام) في جواب عائشة بنت طلحة :

«أتسأليني عن هنةٍ حلّق بها الطائر ، وحفي بها السائر ، رفعت إلىٰ السماء أثراً ، ورزئت في الأرض خبراً؟ إنّ قُحيف تَيم ، وأُحيول عدي جاريا أبا الحسن في السباق، حتىٰ إذا تفرّيا في الخناق فأسرّا له الشنآن ، وطوياه الإعلان، فلمّا خبأ نور الدين وقبض النبيّ الأمين نطقا بفورهما ، نفثا بسورهما ، وأدالا فدكاً ، فيالها كم من ملك ملك، إنّها عطية الربّ الأعلىٰ للنجيّ الأوفى ، ولقد نَحلينها للصبية السواغب من نجله ونسلي ، وإنّها لَبِعلْم الله وشهادة أمينه ، فإن انتزعا مني البلغة ومنعاني اللمظة فأحتسبها يوم الحشر، وليجدن آكلها ساعرة حميم في لظىٰ جحيم»[٢] .

١٠ ـ السيّدة فاطمة (عليها السلام) في أيامها الأخيرة

لم تبق الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها سوىٰ شهورٍ معدودةٍ قضتها بالبكاء والنحيب والأنين حتىٰ عُدّت من البكّائين ، ولم تر ضاحكةً قطّ[٣] .

وكان لبكائها أسباب ودوافع كثيرة ، أهمّها انحراف المسلمين عن الطريق المستقيم وإنزلاقهم في مهاوٍ تؤدي إلىٰ الاختلاف والفرقة وانهيار الأُمّة الاسلامية بالتدريج .

والزهراء (عليها السلام) التي عاشت انتشار الدعوة الإسلامية أيام أبيها (صلى الله عليه وآله) وضحت من أجلها بكل نفيس كانت تتوقّع انتصار الإسلام وتشييد صرح

---

(١) عوالم المعارف : ١١ / ٤٤٤.

(٢) رياحين الشريعة : ٢ / ٤١ ، وأمالي الطوسي : ٢٠٤ مجلس ٧ حديث ٣٥٠.

(٣) طبقات ابن سعد ج٢ / القسم ٢ : ٨٤ حلية الأولياء : ٢ / ٤٣.

العدل في ربوع الدنيا كلّها، ولكن غصب الخلافة والأحداث التي تلتها هدم صرح آمالها وأدخل الحزن على قلبها وروحها الطاهرة، فقد تحمّلت همّاً ثقيلاً فوق همّها وحزنها على أبيها النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله).

وذات يومٍ دخلت أُمّ سلمة على فاطمة (عليها السلام) فقالت لها: كيف أصبحتِ عن ليلتكِ يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قالت (عليها السلام): **«أصبحت بين كمد وكرب، فقد النبيّ (صلى الله عليه وآله) وظلم الوصيّ (عليه السلام)، هتك والله حجاب من أصبحت إمامته مقبضة على غير ما شرع الله في التنزيل أو سنّها النبيّ (صلى الله عليه وآله) في التأويل، ولكنّها أحقاد بدرية وترات أُحدية»**[1].

وعن عليّ (عليه السلام) قال: **«غسلتُ النبيّ (صلى الله عليه وآله) في قميصه، فكانت فاطمة تقول: أرني القميص، فإذا شمّته غشي عليها، فلمّا رأيت ذلك غيّبته»**[2].

وروي أنّه لمّا قبض النبيّ (صلى الله عليه وآله) امتنع بلال من الأذان قال: لا أُؤذّن لأحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإنّ فاطمة (عليها السلام) قالت ذات يوم: **«إنّي أشتهي أن أسمع صوت مؤذّن أبي (صلى الله عليه وآله) بلال»** فبلغ ذلك بلالاً فأخذ في الأذان، فلمّا قال: الله أكبر الله أكبر، ذكرت أباها وأيامه فلم تتمالك من البكاء، فلمّا بلغ إلى قوله: أشهد أنّ محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله) شهقت فاطمة (عليها السلام) وسقطت لوجهها وغشي عليها، فقال الناس لبلال: امسك يا بلال، فقد فارقت ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الدنيا، وظنّوا أنّها قد ماتت، فقطع أذانه ولم يتمه، فأفاقت فاطمة (عليها السلام) وسألته أن يتمّ الأذان فلم يفعل، وقال لها: يا سيّدة النسوان، إنّي أخشى عليك ممّا

(١) بحار الأنوار: ٤٣ / ١٥٦.
(٢) المصدر: ١٥٧.

تنزلينه بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان ، فأعفته عن ذلك(١) .

وأخذت فاطمة (عليها السلام) بالبكاء والعويل ليلها ونهارها ، ولم ترقأ لها دمعة حتىٰ جزع لذلك جيرانها ، فاجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلىٰ أمير المؤمنين (عليه السلام) وقالوا : يا أبا الحسن! إنّ فاطمة تبكي الليل والنهار فلا أحد منّا يتهنّأ بالنوم في الليل علىٰ فراشنا ولا بالنهار لنا قرار علىٰ أشغالنا وطلب معايشنا ، وإنّا نخبرك أن تسألها إمّا أن تبكي ليلاً أو نهاراً .

فأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) حتىٰ دخل علىٰ فاطمة (عليها السلام) فقال لها : **« يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنّ شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إمّا أن تبكي أباكِ ليلاً أو نهاراً »**، فقالت : **« يا أبا الحسن ، ما أقلّ مكثي بينهم ، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم »** ، فاضطرّ أمير المؤمنين (عليه السلام) إلىٰ بناء بيت خلف البقيع خارج المدينة وسمّاه « بيت الأحزان » وكانت إذا أصبحت قدّمت الحسن والحسين(عليهما السلام) أمامها وخرجت إليه وهي تمرّ علىٰ البقيع باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) اليها ورافقها إلىٰ منزلها(٢) .

وعن أنس ، قال : لمّا فرغنا من دفن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أتيت إلىٰ فاطمة (عليها السلام) فقالت : **«كيف طاوعتكم أنفسكم علىٰ أن تهيلوا التراب علىٰ وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ »** ثم بكت(٣) .

وقال الصادق (عليه السلام) : **«وحزنت فاطمة (عليها السلام) حزناً شديداً أثّر علىٰ صحتها ، والمرّة الوحيدة التي ابتسمت فيها بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله) عندما نظرت إلىٰ أسماء بنت عميس**

(١) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٥٧ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٧٧ .

(٣) أسد الغابة ، لابن الاثير : ٥ / ٥٢٤ ، وطبقات ابن سعد : ج٢ / القسم ٢ : ٨٣ .

وهي على فراش الموت وبعد أن لبست ملابس الموت، فابتسمت ونظرت إلى نعشها الذي عُمل لها قبل وفاتها وقالت: سترتموني ستركم الله»[١] .

* * *

(١) أهل البيت لتوفيق أبو علم: ١٦٥.

الفصل الثاني

مرض الزهراء (عليها السلام) واستشهادها

١ ـ فاطمة (عليها السلام) على فراش المرض :

إنتشر خبر مرض السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في المدينة ، وسمع الناس به، ولم تكن تشكو السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من داء عضال غير ماحدث لها بين الحائط والباب من عصرها وكسر ضلعها وسقوط جنينها ولطمها على خدها .

كلّ هذه الأُمور ساهمت في انحراف صحتها وقعودها عن ممارسة أعمالها، وكان زوجها العطوف هو الذي يتولّى تمريضها ، وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس[1] ، جاءت نسوة من أهل المدينة لعيادتها ، وخطبت فيهن تلك الخطبة ـ التي ستمرّ عليك ـ وأعادت النسوة كلامها على رجالهن ، فجاء الرجال يعتذرون ، فما قبلت اعتذارهم فقالت (عليها السلام) : **« إليكم عنّي لا عذر بعد تعذير ولا أمر بعد تقصير »** .

لقد انتشر خبر استياء السيّدة فاطمة (عليها السلام) من السلطة ونقمتها على الذين آزروا الحزب الحاكم بسكوتهم وصمتهم، وتناسوا كلّ النصوص التي نزلت في آل الرسول، وأعرضوا عن كلّ حديث سمعوه من شفتي الرسول (صلى الله عليه وآله) في

---

(١) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٨٥ .

حقّ الزهراء (عليها السلام) وزوجها وولديها، وأخيراً تولّد شيء من الوعي عند الناس ، وعرفوا أنّهم مخطئون في دعم السلطة الحاكمة التي لم تعترف بشرعية الزعامة لآل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولا تعير للحقّ اهتماماً ولا للمنطق موقعاً سوىٰ القوّة وحدّ السيف .

٢ ـ عيادة النساء للسيّدة فاطمة (عليها السلام) :

لا نعلم بالضبط السبب الحقيقي والدافع الأصلي الذي دعا بنساء المهاجرين والأنصار لعيادة السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، فهل كان ذلك بإيعاز من رجالهن ؟ وما الذي دعا أُولئك الرجال لإرسال نسائهم إلىٰ دار السيّدة فاطمة (عليها السلام) ؟ وهل حصل الوعي عند النساء وشعرن بالتقصير بل الخذلان لبنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فانتشر هذا الشعور بين النساء فحضرنَ للعيادة والمجاملة أو إرضاء لضمائرهنّ المتألمة ممّا حدث وجرىٰ علىٰ سيدة النساء؟ أو كانت هناك أسباب سياسية فرضت عليهنّ ذلك، فحضرن لتلطيف الجوّ وتخفيف التوتّر للعلاقات بين بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين السلطة الحاكمة في ذلك اليوم؟ خاصة وإنّ الموقف الاعتزالي الذي اختارته السيدة فاطمة (عليها السلام) لنفسها وانسحابها عن ذلك المجتمع لم يكن خالياً عن التأثير ، بل كان عاملاً مساعداً لانتباه الناس ، وبالأخص حين حمل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) السيّدة فاطمة (عليها السلام) يطوف بها علىٰ بيوت الأنصار تستنجد بهم وتستنهضهم فلم تجد منهم الإسعاف بل وجدت منهم التخاذل[1] .

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ٢٩ .

وعلىٰ كلّ تقدير فلا يعلم أيضاً عدد النساء اللّاتي حضرن عند الزهراء(عليها السلام) وهي طريحة الفراش ، ولكن يبدو أنّ العدد لم يكن قليلاً بل كان مما يُعبأ به .

٣ ـ خطبتها الثانية :

قال سُوَيْدُ بن غفلة : لمّا مرضت سيّدتنا فاطمة (عليها السلام) المَرْضة التي توفّيت فيها؛ اجتمعت اليها نساء المهاجرين والأنصار ليَعِدْنَها ، فقلن لها : يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علّتك ؟ فحمدت الله وصلّت على أبيها (صلى الله عليه وآله) ثم قالت :

«أصبَحتُ واللهِ عائِفَةً[(١)] لدنياكم ، قالِيةً[(٢)] لرجالكم، لَفَظْتُهُم[(٣)] بَعدَ أنْ عَجَمْتُهُمْ[(٤)] وَشَنَأْتُهُمْ[(٥)] بَعْدَ أن سَبَرْتُهُمْ[(٦)]، فَقُبحاً[(٧)] لفُلولِ الحدِّ[(٨)] [واللَّعبِ بَعدَ الجِدِّ[(٩)] ، وقَرْعِ الصَّفاةِ[(١٠)]][(١١)] ، وخَوْرِ

---

(١) عائفة : أي كارهة .

(٢) القالية : المبغضة .

(٣) لفظت الشيء من فمي : أي رميته وطرحته.

(٤) عجمتهم : جرّبتم .

(٥) شنأتهم : أبغضتهم .

(٦) سبرتُهُم : اختبرتُهُم ، فعلى ما في أكثر الزوايات المعنى : طرحتهم وأبغضتهم بعد امتحانهم ومشاهدة سيرتهم وأطوارهم .

(٧) قبحاً ـ بالضمّ ـ : مصدر حذف فعله ، إمّا من قولهم : قبّحه الله قبحاً ، أو من قبح بالضمّ قباحة ، فحرف الجرّ على الأوّل داخل على المفعول ، وعلى الثاني على الفاعل ، والفلول بالضمّ : جمع فلّ بالفتح ، وهو الثلمة والكسر في حدّ السيف ، وحكى الخليل في العين أنّه يكون مصدراً ، ولعلّه أنسب بالمقام.

(٨) وفي الأمالي : « فقبحاً لأفون الرأي ». قال الجزري : في حديث علي (عليه السلام) : إيّاك ومشاورة النساء فإنّ رأيهنّ إلى أفن ، الأفن : النقص ، ورجل أفن ومأفون أي ناقص العقل [النهاية : ٥١ / ٥٧] .

(٩) اللّعب بعد الجدّ : أي أخذتم دينكم باللّعب والباطل بعد أن كنتم مجدّين فيه آخذين بالحجّة .

(١٠) وقرع الصّفاة ، الصّفاة : الحجر الأملس أي جعلتم أنفسكم مقرعاً لخصامكم حتى قرعوا صفاتكم أيضاً.

(١١) من الاحتجاج .

القَناةِ(١) ، وخَطَلِ الرَّأي(٢) [وزَلَلِ الأهواءِ](٣) .

وَبِئسَ ما قَدَّمَتْ لهم أنفُسُهم أنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيهِمْ وفي العذابِ هُم خالدون .

لا جَرَمَ(٤) [واللهِ](٥) لَقَدْ قَلَّدَتْهُم رِبقَتَها(٦) [وَحَمَّلَتْهُم أوْقَتَها](٧) وَشَنَنتْ عَلَيْهِم غارتها(٨) ، فجَدعاً(٩) وعَقراً(١٠) وسُحْقاً(١١) للقوم الظالمين .

وَيْحَهُم(١٢) أنّى زَحْزَحوها(١٣) عن رَواسي(١٤) الرِّسالةِ ، وقواعِدِ(١٥) النبوّةِ والدّلالَةِ ومَهبِطِ الوحيِ الأمين، والطَّبين(١٦) بأمرِ الدُّنيا والدّين،ألا ذلك

---

(١) الخور ـ بالفتح وبالتحريك ـ: الضعف « وفي الاحتجاج : صدع : أي شقّ » والقناة : الرمح .

(٢) والخطل ـ بالتحريك ـ: المنطق الفاسد المضطرب ، وخطل الرأي : فساده واضطرابه . وفي الأمالي : « القول » وفي الاحتجاج : «الآراء» .

(٣) من الاحتجاج .

(٤) لا جرم :كلمة تورد لتحقيق الشيء . يعني: حقاً .

(٥) من الأمالي .

(٦) ربقتها : الرّبقة في الأصل : عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها ، ويقال للحبل الذي تكون فيه الربقة ، ربق ، وتجمع على ربق ورباق وأرباق، والضمير في ربقتها راجع إلى الخلافة المداول عليها بالمقام ، أو إلى فدك ، أو حقوق أهل البيت (عليهم السلام) أي جعلت إثمها لازمة لرقابهم كالقلائد .

(٧) من الاحتجاج وحمّلتهم أوقتها : قال الجوهري : الأوق : الثقل ، يقال : ألقى عليه أوقه ، وقد أوّقته تأويقاً أي حمّلته المشقّة والمكروه .

(٨) قولها : وشننت عليهم غارها ، الشنّ : رشّ الماء رشّاً متفرّقاً ، والسنّ ـ بالمهملة ـ: الصبّ المتّصل ، ومنه قولهم : سنّت عليهم الغارة إذا فرّقت عليهم من كلّ وجه .

(٩) الجدع : قطع الأنف أو الأذن أو الشفة ، وهو بالأنف أخصّ . ويكون بمعنى الحبس .

(١٠) والعقر بالفتح : الجرح ، ويقال في الدّعاء على الإنسان : عقراً له وحلقاً . أي عقر الله جسده وأصابه بوجع في حلقه ، واصل العقر : ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسّيف ، ثمّ اتّسع فيه فاستعمل في القتل والهلاك .

(١١) وفي الاحتجاج : بُعداً .

(١٢) ويح :كلمة تستعمل في الترحّم والتوجّع والتعجّب .

(١٣) الزّحزحة : التنحية والتّبعيد . وفي الاحتجاج : زعزعوها . والزّعزعة : التحريك .

(١٤) الرواسي من الجبال : الثوابت الرّواسخ .

(١٥) قواعد البيت : أساسه .

(١٦) الطّبين ـ هو بالطاء المهملة والباء الموحّدة ـ: الفطن الحاذق .

هو الخسران المبين ، وما نَقَموا[١] من أبي الحسن ؟! نَقَموا واللهِ مِن نَكيرِ[٢] سيفِهِ، [وَقِلَّةِ مُبالاتِه بِحَتْفِهِ] وشِدَّةِ وَطأتِهِ[٣] ونَكالِ[٤] وَقْعته[٥] وتَنَمُّرِهِ[٦] في ذاتِ اللهِ عزّوَجَلَّ .

واللهِ لو تكافُّوا[٧] عَن زِمامٍ[٨] نَبَذَهُ[٩] رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) لأعْتَلَقَهُ[١٠] ولَسار بِهِم سَيْراً سُجُحاً[١١][١٢]، لا يُكْلَمُ[١٣] خِشاشُه[١٤] [ولا يكلّ سائره] ولا يُتَعْتَعُ[١٥] راكبُهُ ، ولأوردهم مَنْهَلاً نَميراً[١٦] فَضْفاضاً[١٧] تَطْفَحُ ضِفّتاه[١٨] [ولا يَتَرَنَّق

---

(١) يقال : نَقَمْتُ على الرّجل : أي عتبت عليه وكرهت شيئاً منه .

(٢) والنكير : إنكار سيفه فإنّه (عليه السلام) كان لا يسلّ سيفه إلّا لتغيير المنكرات .

(٣) الوطأة : الأخذة الشديدة والضغطة .

(٤) النكال : العقوبة التي تنكل الناس .

(٥) الوقعة : صدمة الحرب .

(٦) تنمّر فلان : أي تغيّر وتنكّر وأوعد ، لأنّ النمر لا تلقاه أبداً إلّا متنكّراً غضبان .

(٧) التكافّ : تفاعل من الكفّ : وهو الدّفع والصرف .

(٨) في الأمالي : زمام . والزّمام ككتاب الخيط الّذي يشدّ في البُرة والخشاش ثمّ يشدّ في طرفه المقوّد ، وقد يسمّى المقود زماماً .

(٩) نبذه : أي طرحه .

(١٠) اعتلقه : أحبّه .

(١١) السّجح ـ بضمّتين ـ : الّلين السّهل .

(١٢) وفي الاحتجاج بدل « والله لو تكافّوا ـ إلى قولها ـ لاعتلقه » وتالله لو مالوا عن المحجّة اللائحة ، وزالوا عن قبول الحجّة الواضحة لردّهم ، وحملهم عليها .

(١٣) الكلم : الجرح .

(١٤) الخِشاش ـ بكسر الخاء المعجمة ـ : ما يجعل في أنف البعير من خشب ويشدّ به الزّمام ليكون أسرع لانقياده .

(١٥) وتعتعت الرّجل : أي أقلقته وأزعجته .

(١٦) المنهل : المورد ، وهو عين ماء ترده الإبل في المراعي ، ماء قاله الجوهري ، وقال : ماء نمير : أي ناجع ، عذباً كان أو غيره، وقال الصّدوق نقلاً عن الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري : النمير: الماء النامي في الجسد، وذكر في الأمالي بدل كلمة نميراً: رويّاً، والرويّ: سحابة عظيمة القطر، شديدة الوقع .

(١٧) الفضفاض : الواسع ، يقال : ثوب فضفاض ، وعيش فضفاض، ودرع فضفاضة .

(١٨) ضفّتا النهر ـ بالكسر وقيل وبالفتح أيضاً ـ : جانباه، وتطفح : أي تمتلئ حتّى تفيض .

جانِباهُ](١) ولا صَدَرَهُم بِطاناً(٢)]ونصح لهم سرّاً وإعلاناً]قد تحيّر بهم الرّيّ(٣) غير متحلٍّ منه بطائل(٤) .]ولا يحظى من الدنيا بنائل](٥) إلاّ بِغَمْرِ(٦) الماءِ وَرَدْعِهِ(٧) شَرَرَ الساغِبِ(٨)]وَلَبانَ لَهُمُ الزّاهِدُ من الرّاغِب والصّادقُ مِنَ الكاذِبِ](٩) ولَفُتِحَتْ عليهِم بَرَكاتٌ مِنَ السماءِ والأرضِ، وسَيأْخُذُهُمُ اللهُ بما كانوا يكْسِبونَ(١٠).

---

(١) ترنّق : كدر ، وصار الماء رونقة : غلب الطين على الماء والترنوق : الطين الّذي في الأنهار والمسيل ، والمراد أنّه لا ينقص الماء حتّى يظهر الطين والحمأ من جانبي النهر ويتكدّر الماء بذلك .

(٢) بطن كعلم : عظم بطنه من الشّبع ، ومنه الحديث : «تغدو خماصاً وتروح بطاناً» ، والمراد عظم بطنهم من الشرب .

(٣) تحيّر الماء : أي اجتمع ودار كالمتحيّر، يرجع أقصاه إلى أدناه ، ويقال : تحيّرت الأرض بالماء إذا امتلأت ، ولعلّ الباء بمعنى «في» أي تحيّر فيهم الريّ ، أو للتعدية : أي صاروا حيارى لكثرة الريّ ، والريّ ـ بالكسر والفتح ـ ضدّ العطش . وفي رواية الشيخ بدل قولها «قد تحيّر» قد خثر بالخاء المعجمة والثاء المثلّثة ، أي أثقلهم من قولك : أصبح فلان خاثر النفس ، أي ثقيل النّفس غير طيّب ولا نشيط ، وحلي منه بخير كرضي : أي أصاب خيراً .

(٤) غير متحلّ منه بطائل : قال الجوهريّ : قولهم : لم يحلّ منها بطائل أي لم يستفد منها كثير فائدة .
والتحلّي : التزيّن ، والطائل : الغنى والمزيّة والسّعة والفضل .

(٥) النائل : العطية .

(٦) الغمَر : هو الشّرب دون الرّيّ ، مأخوذ من الغمر ـ بضمّ الغين المعجمة وفتح الميم ـ : وهو القدح الصغير ، وفي الاحتجاج : غير ريّ الناهل . والنّاهل : العطشان .

(٧) الرّدع : الكفّ والدّفع ، والرّدعة : الدّفعة.

(٨) وفي الأمالي : سورة سغب وسورة الشيء ـ بالفتح ـ : حدّته وشدّته ، والسّغب : الجوع . وفي الاحتجاج بدل قولها «وردعه شرر الساغب» «وشمبة الكافل» قال الفيروز آبادي : الكافل : العائل ، والذي لا يأكل أو يصل الصّيام ، والضامن ، انتهى . أقول : يمكن أن يكون هنا بكلّ من المعنيين الأوّلين ، ويحتمل أن يكون بمعنى كافل اليتيم، فإنّه لا يحلّ له الأكل إلاّ بقدر البلغة ، وحاصل المعنى : أنّه لو منع كلّ منهم الآخرين عن الزمام الّذي نبذه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو تولّي أمر الأمّة ، لتعلّق به أمير المؤمنين(عليه السلام) أو أخذ محبّاً له ويسلك بهم طريق الحقّ من غير أن يترك شيئاً من أوامر الله أو يتعدّى حدّاً من حدوده ، ومن غير أن يشقّ على الأمّة، ويكلّفهم فوق طاقتهم ووسعهم، ولفازوا بالعيش الرّغيد في الدنيا والآخرة ، ولم يكن ينتفع من دنياهم وما يتولى من أمرهم إلاّ بقدر البلغة وسدّ الخلّة .

(٩) من الاحتجاج .

(١٠) وفي الاحتجاج أضاف قوله تعالى : ﴿ والّذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيّئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ﴾ الزمر (٣٩) : ٥١ .

أَلاَ هَلُمَّ فَاسْمَعْ(١)، وَما عِشْتَ أراكَ الدَّهْرُ العَجَبَ، وإنْ تَعْجَبْ فَقَد أعْجَبَكَ الحادِثُ [لَيْتَ شِعري](٢) إلىٰ أيِّ سِنادٍ(٣) استَندوا [وعلى أيِّ عِمادٍ اعتَمَدوا] وبِأيَّةِ عُروةٍ تَمَسَّكوا، [وعلى أيَّةِ ذُرِّيَّةٍ اَقْدَموا واحتنكوا]؟(٤) [لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلاً](٥).

استبدلوا الذُنابى(٦) والله بالقوادِمِ والعَجزَ بالكاهِلِ، فَرَغْماً لمَعاطِسِ قومٍ يحسبون أنّهم يُحسِنون صُنْعاً، ألا إنّهم هُمُ المُفْسِدون وَلٰكن لا يَشْعُرونَ.

[وَيْحَهُم] أَفَمَنْ يهَدي إلى الحقِّ أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدّي(٧) إلاّ أنْ يُهدىٰ فما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمونَ(٨).

---

(١) وفي رواية ابن أبي الحديد : ألا هلمّنّ فاسمعن ، وما عشتنّ أراكنّ الدهر عجباً .

قولها : وما عشتنّ : أي أراكنّ الدهر شيئاً عجيباً لا يذهب عجبه وغرابته مدة حياتكن، أو يتجدّد لكنّ كلّ يوم أمر عجيب متفرّع على هذا الحادث الغريب .

(٢) ليت شعري : أي ليتني علمت .

(٣) السناد : ما يستند إليه .

(٤) قال الجوهري : احتنك الجراد الأرض : أي أكل ما عليها وأتى على نبتها وقوله تعالى حاكياً عن إبليس: «ولأحتنكنّ ذرّيّته» [الاسراء (١٧) : ٦٤] قال الفرّاء : يريد : لأستولينّ عليهم ، والمراد بالذرّيّة ذرّيّة الرّسول (صلى الله عليه وآله) .

(٥) المولى : الناصر والمحبّ ، والعشير : الصاحب المخالط المعاشر ، وبئس للظالمين بدلاً : أي بئس البدل من اختاروه على إمام العدل وهو أمير المؤمنين (عليه السلام) .

(٦) الذُّنابى بالضمّ : ذنب الطائر ومنبت الذّنب، والذّنابى في الطائر أربع ذنابى بعد الخوافي وهي مادون الرّيشات العشر من مقدّم الجناح التي تسمّى قوادم ، الذّنابى من الناس : السفلة والأتباع . والعجز كالعضد : مؤخّر الشيء ، يؤنث ويذكر ، وهو للرّجل والمرأة جميعاً ، والكاهل : الحارك ، وهو ما بين الكتفين، وكاهل القوم : عمدتهم في المهمّات، وعدّتهم للشدائد والملمّات ، ورغماً ، مصدر رغم أنفه أي لصق بالرّغام بالفتح، وهو التّراب ، ورغم الأنف يستعمل في الذّل ، والعجز عن الانتصار ، والانقياد على كره ، والمعاطس جمع معطس ـ بالكسر والفتح ـ وهو الأنف .

(٧) قرئ في الآية «يهدّي» بفتح الهاء وكسرها وتشديد الدّال فأصله يهتدي، وبتخفيف الدال وسكون الهاء .

(٨) يونس (١٠) : ٣٥ .

أما لَعَمْري لقد لَقِحَتْ فَتَنظِرَةٌ رَيْثَما تُنْتِجِ[١] ثمّ احْتَلِبوا طِلاعَ القَعْبِ[٢] دَماً عَبيطاً[٣]، وذُعافاً مُمْقِراً[٤]، هُنالِكَ يَخْسَرُ المُبْطِلونَ، ويَعْرِفُ التالون غِبَّ[٥] ماسَنَّ[٦] الأوّلونَ.

ثمّ طيبوا [بعد ذلك] عن أنفسكم[٧] أنفساً[٨]، وَطَأْمنوا لِلْفِتْنَةِ جَأشاً[٩] ، وابْشروا بِسَيْفٍ صارِمٍ[١٠] [وَسَطْوَةِ مُعْتَدٍغاشِمٍ][١١] وهَرَجٍ شامِلٍ[١٢] ، وَاستِبدادٍ[١٣] مِنَ الظالمينَ ، يَدَعُ فَيْئَكُم زَهيداً[١٤] ، وَزَرْعَكُمْ حَصيداً[١٥] ، فَيا حسرتي لكم ،

---

(١) وفي بعض نسخ ابن أبي الحديد : أما لعمر الله ، وفي بعضها : أما لعمر إلهكنّ ، والعمر ـ بالفتح والضمّ ـ بمعنى العيش الطويل ، ولا يستعمل في القسم إلاّ العَمْر ـ بالفتح ـ ، ومعنى عمر الله بقاؤه ودوامه ، ولقحت كعلمت أي حملت ، والفاعل فعالتهم ، أو فعالهم ، أو الفتنة ،أو الأزمنة ، والنظرة ـ بفتح النّون وكسر الظاء ـ : التأخير ، واسم يقوم مقام الانظار ، أي انتظروا [أو انظروا] نظرة قليلة ، وريثما تنتج : أي قدر ما تنتج ، يقال : نتجت الناقة على ما لم يسمّ فاعله : تنتج نتاجاً وقد نتجها أهلها نتجاً وأنتجت الفرس إذا حان نتاجها .

(٢) القعب : قدح من خشب يروي الرجل ، أو قدح ضخم ، واحتلاب طلاع القعب : هو أن يمتلئ من اللّبن حتى يطلع عنه ويسيل . في الاحتجاج : ملء القعب .

(٣) العبيط : الطريّ .

(٤) الذُعاف ، كغُراب : السّم ، والمَقِر ـ بكسر القاف ـ : الصبر ـ وربّما يسكّن ـ ، وأمقر أي صار مرّاً . في الأمالي : ذعافاً ممضّاً . وفي الاحتجاج : ذعافاً مبيداً . والمبيد : المهلك، وأمضّه الجرح : أوجعه .

(٥) غبّ كلّ شيء : عاقبته .

(٦) في الأمالي : ما أسكن ، وفي الاحتجاج : ما أسس.

(٧) في الاحتجاج : عن دنياكم .

(٨) في الأمالي : لفتنها . وطاب نفس فلان بكذا : أي رضي به من دون أن يكرهه عليه أحد، وطابت نفسه عن كذا أي رضي ببذله .

(٩) في الأمالي : ثم اطمئنّوا وفي الاحتجاج : واطمئنّوا . وفي كتاب ناظر عين الغريبين : طأمنته : سكّنته فاطمأنّ، والجأش ـ مهموزاً ـ : النفس والقلب أي اجعلوا قلوبكم مطمئنّة لنزول الفتنة .

(١٠) السيف الصارم : القاطع.

(١١) الغشم : الظلم .

(١٢) الهرج : الفتنة والاختلاط . وفي الأمالي : هرج دائم شامل . وفي رواية ابن أبي الحديد : وقرح شامل ، فالمراد بشمول القرح ، إمّا للأفراد أو للأعضاء .

(١٣) الاستبداد بالشيء : التفرّد به .

(١٤) والفيء : الغنيمة والخراج وما حصل للمسلمين من أموال الكفّار من غير حرب ، والزهيد : القليل .

(١٥) والحصيد : المحصود ، وعلى رواية : زرعكم ، كناية عن أخذ أموالهم بغير حقّ ، وعلى رواية ، جمعكم يحتمل ذلك ، وأن يكون كناية عن قتلهم واستئصالهم . وفي الأمالي والاحتجاج : جمعكم حصيداً .

وَأَنّى (١) بِكُمْ وَقَدْ عُمِّيَتْ(٢) عليكم أَنُلْزِمُكموها وَأَنْتُم لها كارِهون».

قال سويد بن غفلة : فأعادت النساء قولها (عليها السلام) علىٰ رجالهن فجاء اليها قوم من وجوه المهاجرين والأنصار معتذرين ، وقالوا : يا سيّدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد ونحكم العقد؛ لما عَدَلنا إلىٰ غيره، فقالت : «إِلَيْكُمْ عَنِّي ! فَلا عُذْرَ بَعْدَ تَعذيرِكُم وَلا أَمْرَ بَعْدَ تَقصيرِكُم »(٣).

٤ ـ عيادة أبي بكر وعمر بن الخطاب للزهراء (عليها السلام) :

كان الصحابة رجالاً ونساءً يعودون فاطمة (عليها السلام) بين الحين والحين إلّا عمر وأبا بكر لم يعوداها لأنّها قاطعتهُما ورفضتهُما ولم تأذن لهُما بعيادتها ، ولمّا ثقل عليها المرض وقاربتها الوفاة لم يجدا بُدّاً من عيادتها لئلّا تموت بضعة المصطفىٰ (صلى الله عليه وآله) وهي ساخطة عليهما علىٰ رؤوس الأشهاد، فتبقىٰ وصمة عار تلاحق الخليفة وجهازه الحاكم إلىٰ يوم الدين ، وأرادوا تغطية انحرافهم باسترضاء الزهراء (عليها السلام) وعند ذلك ينتهي كلّ شيء، وتكون مأساة فعلتهم منسية بالتدريج .

وروي أنّ عمر قال لأبي بكر : إنطلق بنا إلىٰ فاطمة فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا فاستأذنا علىٰ فاطمة فلم تأذن لهما ، فأتيا عليّاً فكلّماه فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلىٰ الحائط فسلّما عليها ، فلم تردّ عليهما

(١ و ٢) وأنّى بكم : أي وأنّى تلحق الهداية بكم ، وعميت عليكم ـ بالتخفيف ـ : أي خفيت والتبست ، وبالتشديد على صيغة المجهول أي لبّست .

(٣) مصادر الخطبة : معاني الأخبار لابن بابويه، والاحتجاج للطبرسي ، والأمالي للشيخ الطوسي، ودلائل الإمامة للطبري ، و بلاغات النساء لأبي الفضل بن أبي طاهر ، وكشف الغمّة للأربلي ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

السَّلامَ ، فتكلّم أبو بكر فقال : يا حبيبة رسول الله (ﷺ) والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي وإنك لأحبّ إليّ من عائشة إبنتي ، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقىٰ بعده ، أفتراني أعرفكِ وأعرف فضلك وشرفك ، وأمنعك حقّكِ وميراثك من رسول الله (ﷺ) ؟ إلّا أنّي سمعت أباكِ رسول الله (ﷺ) يقول : « لا نورّث ، ما تركناه صدقه ».

فقالت (عليها السلام) : « أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله (ﷺ) تعرفانه وتفعلان به ؟» فقالا : نعم، فقالت : «نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله (ﷺ) يقول : رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحبّ فاطمة إبنتي فقد أحبّني ومن أرضىٰ فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ؟ ».

قالا : نعم ، وسمعناه من رسول الله (ﷺ) .

قالت : «فإنّي أُشهدُ الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي (ﷺ) لأشكونّكما اليه »، فقال أبو بكر : أنا عائذ بالله تعالىٰ من سخطه ومن سخطكِ يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر يبكي ، حتىٰ كادت نفسه أن تزهق و فاطمة تقول : « والله لأدعونّ عليكما في كلّ صلاة أُصليها ، ثم خرج باكياً» فاجتمع الناس إليه فقال لهم : يبيت كلّ رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه ، لا حاجة لي في بيعتكم ، أقيلوني بيعتي[١] .

٥ ـ الساعات الأخيرة قبل الرحيل :

كانت السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في ذلك اليوم الذي توفيت فيه طريحة الفراش، وقد أخذ منها الهزال كلّ مأخذ ، وما بقي منها سوىٰ الهيكل

---

(١) الإمامة والسياسة : ١ / ٣١.

العظمى فقط ، لقد رأت أباها في المنام وهو يقول لها : «هلمّي إليّ يا بُنيّة فإنّي اليك مشتاقٌ» ثمّ قال لها : «أنتِ الليلةَ عندي» .

انتبهت من غفوتها واستعدّت للرحيل إلىٰ الآخرة ، فقد سمعت من أبيها الصادق المصدَّق الذي قال : «من رآني فقد رآني». سمعت منه نبأ ارتحالها فلا مجال للشكّ والتردّد في صدق الخبر .

فتحت عينها واستعادت نشاطها ولعلّها كانت في صحوة الموت وقامت لاتّخاذ التدابير اللازمة ، واغتنمت تلك السويعات الأخيرة من حياتها، أقبلت الزهراء تزحف أو تمشي متّكئة علىٰ الجدار نحو الموضع الذي فيه الماء من بيتها، وشرعت تغسل ثياب أطفالها بيديها المرتعشتين، ثم دعت أطفالها وطفقت تغسل رؤوسهم، ودخل الإمام عليّ (عليه السلام) البيت وإذا به يرىٰ عزيزته قد غادرت فراش العلّة وهي تمارس أعمالها المنزلية .

رقّ لها قلب الإمام حين نظر إليها وقد عادت إلىٰ أعمالها المتعبة التي كانت تجدها أيام صحتها، فلا عجب إذا سألها عن سبب قيامها بتلك الأعمال بالرغم من انحراف صحّتها ، أجابته بكلّ صراحة لأنّ هذا اليوم هو آخر يوم من أيام حياتي، قمت لأغسل رؤوس أطفالي وثيابهم لأنّهم سيصبحون يتامىٰ بلا أُم، سألها الإمام عن مصدر هذا النبأ فأخبرته بالرؤيا ، فهي بذلك قد نعت نفسها إلىٰ زوجها بما لا يقبل الشك .

٦ ـ وصيّة الزهراء (عليها السلام) للإمام عليّ (عليه السلام) :

وفي الساعات الأخيرة من حياتها حان لها أن تكاشف زوجها بما أضمرته في صدرها (طيلة هذه المدّة) من الوصايا التي يجب تنفيذها.

فقالت (عليها السلام) لعليّ (عليه السلام) : « يابن عمّ إنّه قد نُعيت إليّ نفسي وإنّني لا أرىٰ ما بي إلّا

أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة ، وأنا أُوصيك بأشياء في قلبي » قال لها علي (عليه السلام) : «أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)» . فجلس عند رأسها ، وأخرج من كان في البيت ثم قالت : « يابن عمّ ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني »؟ فقال عليّ (عليه السلام) : « معاذ الله أنتِ أعلم بالله ، وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أُوبّخكِ بمخالفتي وقد عزّ عليّ مفارقتكِ وفقدكِ إلّا أنّه أمر لا بد منه، والله لقد جددتِ عليّ مصيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد عظمت وفاتك وفقدك فإنّا لله وإنّا اليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضّها وأحزنها!! هذه مصيبة لا عزاء منها، ورزية لا خلف لها ».

ثم بكيا جميعاً ساعة ، وأخذ الإمام رأسها وضمها إلى صدره ثم قال : « أوصيني بما شئت فإنّكِ تجديني وفياً أمضي كلّما أمرتني به ، وأختار أمركِ على أمري ». فقالت (عليها السلام) : «جزاكَ الله عنّي خير الجزاء ، يابن عمّ أُوصيك أولاً :

أن تتزوّج بعدي .... فإنّ الرجال لا بدّ لهم من النساء » ثم قالت (عليها السلام) : «أُوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني فإنّهم عدوّي وعدوّ رسول الله ، ولا تترك أن يصلّي عليّ أحد منهم ولا من أتباعهم ، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار»(١).

ثم قالت (عليها السلام) : «يابن العمّ إذا قضيت نحبي فاغسلني ولا تكشف عنّي، فإنّي طاهرة مطهّرة، وحنّطني بفاضل حنوط أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وصَلّ عليّ، وليصلِّ معك الأدنى فالأدنى من أهل بيتي، وادفني ليلاً لا نهاراً، وسرّاً لا جهاراً ، وعفِّ موضع قبري، ولا تشهد جنازتي أحداً ممن ظلمني ، يابن العمّ أنا أعلم أنّك لا تقدر على عدم التزويج من بعدي فإن أنت تزوّجت امرأة اجعل لها يوماً وليلةً ، واجعل لأولادي يوماً وليلةً ، يا أبا الحسن ! ولا تصح في وجوههما فيصبحا يتيمين غريبين منكسرين ، فإنّهما بالأمس فقدا جدّهما واليوم

---

(١) روضة الواعظين : ١ / ١٥١ ، وفي رواية: إذا هدأت الأصوات ونامت العيون .

يفقدان أُمهما»(١).

وروىٰ ابن عباس وصيّة مكتوبة لها (عليها السلام) جاء فيها :

« هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصت وهي تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، وأنّ الجنّة حقّ ، والنار حقّ ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها ، وأنّ الله يبعث من في القبور ، يا عليّ أنا فاطمة بنت محمّد ، زوّجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة ، أنت أولىٰ بي من غيري ، حنّطني وغسّلني وكفّني بالليل، وصلّ عليّ وادفني بالليل، ولا تُعلم أحداً ، وأستودعك الله، وأقرأ علىٰ ولديّ السلام إلىٰ يوم القيامة »(٢) .

٧ ـ أول نعش أُحدث في الإسلام :

روي عن أسماء بنت عميس أنّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) قالت لأسماء : إنّي قد استقبحت ما يصنع بالنساء ، إنّه يطرح علىٰ المرأة الثوب فيصفها لمن رأىٰ، فقالت أسماء : يا بنت رسول الله أنا أُريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجريدة رطبة فحسنتها ، ثم طرحت عليها ثوباً ، فقالت فاطمة (عليها السلام) : **«ما أحسن هذا وأجمله ، لا تعرف به المرأة من الرجل»**(٣) .

وعن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) : **«أول نعش أُحدث في الإسلام نعش فاطمة ، إنّها اشتكت شكاتها التي قبضت فيها، وقالت لأسماء : إنّي نحلت فذهب لحمي ، ألا تجعلين لي شيئاً يسترني ؟ فقالت أسماء : إنّي إذ كنت بأرض الحبشة رأيتهم يصنعون شيئاً أفلا أصنع لك مثله ؟ فإن أعجبك صنعت لك ، قالت (عليها السلام) : نعم ، فدعت بسرير ، فأكبته لوجهه ، ثم دعت بجرائد ـ نخل ـ فشدّدته علىٰ قوائمه، ثم جلّلته ثوباً فقالت أسماء: هكذا رأيتهم**

(١) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٧٨ و ١٩٢ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٣ / ٢١٤ .

(٣) كشف الغمة : ١ / ٥٠٣ ، وبحار الأنوار : ٤٣ / ٢١٣ ، وتهذيب الأحكام : ١ / ٤٦٩ .

يصنعون ، فقالت (عليها السلام) : اصنعي لي مثله ، أُستريني سترك الله من النار» .

٨ ـ لحظات عمرها الأخيرة :

انتقلت السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلىٰ فراشها المفروش وسط البيت ، واضطجعت مستقبلة القبلة .

وقيل : إنّها أرسلت بنتيها زينب وأُمّ كلثوم إلىٰ بيوت بعض الهاشميات لئلّا تشاهدا موت أُمهما ، كلّ ذلك من باب الشفقة والرأفة والتحفّظ عليهما من صدمة مشاهدة المصيبة .

كان الإمام عليّ والحسن والحسين (عليهم السلام) خارج البيت في تلك الساعة ولعلّ خروجهم كان لأسباب قاهرة وظروف معينة .

وجاء عن أسماء أنّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) لمّا حضرتها الوفاة قالت لأسماء : «إنّ جبرئيل أتىٰ النبيّ ـ لما حضرته الوفاة ـ بكافور من الجنّة فقسّمه أثلاثاً، ثلثاً لنفسه، وثلثاً لعلي، وثلثاً، لي وكان أربعين درهماً فقالت : يا أسماء ائتني ببقية حنوط والدي من موضع كذا وكذا، وضعيه عند رأسي ، فوضعته ثم قالت لأسماء حين توضّأت وضوءها للصلاة : هاتي طيبي الذي أتطيّب به ، وهاتي ثيابي التي أُصلي فيها فتوضأت» ثم تسجّت بثوبها ثم قالت : «انتظريني هنيئةً وادعيني فإن أجبتك وإلّا فاعلمي أنّي قدمت علىٰ أبي فأرسلي إلىٰ علي».

وحين حانت ساعة الاحتضار وانكشف الغطاء نظرت السيّدة فاطمة (عليها السلام) نظرة حادة ثم قالت : «السلام علىٰ جبرئيل، السلام علىٰ رسول الله، اللهمّ مع رسولك، اللهمّ في رضوانك وجوارك ودارك دار السلام، ثم قالت : هذه مواكب أهل السماوات وهذا جبرئيل وهذا رسول الله يقول : يا بنية أقدمي فما أمامكِ خيرٌ لك» وفتحت عينيها ثم قالت : «وعليك السلام يا قابض الأرواح عجّل بي ولا تعذّبني» ثم

قالت : «**إليك ربّي لا إلى النار**» ثم غمضت عينيها ومدّت يديها ورجليها .

فنادتها أسماء فلم تجبها ، فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الحياة، فوقعت عليها تقبّلها وهي تقول : يا فاطمة إذا قدمت على أبيك رسول الله فاقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام ، ودخل الحسن والحسين فوجدا اُمّهما مسجاة فقالا : يا أسماء ما ينيم اُمّنا في هذه الساعة ؟ قالت : يا ابنيّ رسول الله ليست اُمّكما نائمة ، قد فارقت الدنيا .

فألقى الحسن نفسه عليها يقبّلها مرةً ويقول : «**يا اُماه كلّميني قبل أن تفارق روحي بدني**»، وأقبل الحسين يقبّل رجلها ويقول : «**أنا ابنك الحسين كلّميني قبل أن يتصدّع قلبي فأموت**» .

فقالت لهما أسماء : يا ابنيّ رسول الله ، انطلقا إلى أبيكما عليّ فأخبراه بموت اُمّكما ، فخرجا حتى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء فابتدر إليهما جمع من الصحابة وسألوهما عن سبب بكائهما فقالا : «**قد ماتت اُمّنا فاطمة (عليها السلام)**» . فوقع الإمام عليّ (عليه السلام) على وجهه يقول : «**بمن العزاء يابنت محمد**»[1] ؟

٩ ـ مراسم التشييع والدفن :

وارتفعت أصوات البكاء من بيت عليّ (عليه السلام) فارتجّت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، واجتمعت نساء بني هاشم في دار فاطمة (عليها السلام) فصرخن وبكين ، وأقبل الناس إلى عليّ (عليه السلام) وهو جالس والحسن والحسين بين يديه يبكيان ، وخرجت اُمّ كلثوم وهي تقول : يا أبتاه يا رسول الله! الآن حقاً فقدناك فقداً

(١) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٨٦ .

لا لقاء بعده أبداً(١).

واجتمع الناس فجلسوا وهم يضجّون، وينتظرون خروج الجنازة ليصلّوا عليها، وخرج أبو ذر وقال: انصرفوا فإنّ ابنة رسول الله قد أُخر إخراجها في العشية، وأقبل أبو بكر وعمر يعزّيان علياً (عليه السلام) ويقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)(٢).

وهكذا تفرّق الناس، وهم يظنّون أنّ الجنازة تشيّع صباح غد (وروي أنّ وفاتها كانت بعد صلاة العصر أو أوائل الليل).

ولكنّ الإمام علياً (عليه السلام) غسّلها وكفّنها هو وأسماء في تلك الليلة، ثم نادى: يا حسن يا حسين يا زينب يا أُمّ كلثوم هلمّوا فتزوّدوا من أُمّكم فهذا الفراق واللقاء الجنّة، وبعد قليل نحّاهم أمير المؤمنين (عليه السلام) عنها(٣).

ثم صلّى عليٌّ على الجنازة ورفع يديه إلى السماء فنادى «**اللهمّ هذه بنت نبيّك فاطمة أخرجتها من الظلمات إلى النور، فأضاءت ميلاً في ميل**».

فلمّا هدأت الأصوات ونامت العيون ومضى شطر من الليل تقدّم أمير المؤمنين والعباس والفضل بن العباس ورابع يحملون ذلك الجسد النحيف، وشيّعها الحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبو ذر والمقداد وبريدة وعمار(٤).

ونزل عليّ (عليه السلام) إلى القبر، واستلم بضعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأضجعها في لحدها وقال: «**يا أرض أستودعك وديعتي، هذه بنت رسول الله، بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله)، سلمتكِ أيتها الصدّيقة إلى من هو أولى بكِ منّي، ورضيت لكِ بما رضي الله تعالى لكِ**»، ثم قرأ ﴿منها خلقناكم

(١) بحار الأنوار: ٤٣ / ١٩٢.
(٢) المصدر نفسه: ١٩٩.
(٣) المصدر نفسه: ١٧٩.
(٤) المصدر نفسه: ١٩٣.

وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أُخرىٰ ﴾ ، ثم خرج من القبر ، وتقدّم الحاضرون وأهالوا التراب علىٰ تلك الدرّة النبويّة، وسوّىٰ عليّ (عليه السلام) قبرها .

١٠ ـ تأبين الإمام عليّ (عليه السلام) للزهراء (عليها السلام) :

انتهت مراسم الدفن بسرعة خوفاً من انكشاف أمرهم وهجوم القوم عليهم ، فلمّا نفض الإمام يده من تراب القبر هاج به الحزن لفقد بضعة الرسول وزوجته الودود التي عاشت معه الصفاء والطهارة والتضحية والإيثار ، وتحمّلت من أجله الأهوال والصعاب ، فأرسل دموعه علىٰ خدّيه ، وحوّل وجهه إلىٰ قبر رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثم قال:

« السلام عليك يا رسول الله عنّي ، والسلام عليك عن ابنتك وحبيبتك وقرّة عينك وزائرتك والبائتة في الثرىٰ ببقعتك ، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك ، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، وعفىٰ عن سيدة نساء العالمين تجلّدي، إلّا أنّ في التأسي لي بسنّتك في فرقتك موضع تعزٍ، فلقد وسدتُك في ملحودة قبرك بعد أن فاضت نفسك بين نحري وصدري ، وغمضتك بيدي ، وتوليت أمرك بنفسي .

بلىٰ ، وفي كتاب الله لي أنعم القبول، إنّا لله وإنّا اليه راجعون ، قد استرجعت الوديعة ، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله!

أمّا حزني فسرمد ، وأمّا ليلي فمسهّد ، لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله داركَ التي أنت فيها مقيم ،كَمَدٌ مقيّح ، وهم مهيّج ، سرعان ما فرّق الله بيننا وإلى الله أشكو ، وستنبئك ابنتك بتضافر اُمّتك عليّ ، وعلىٰ هضمها حقّها فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلىٰ بثه سبيلاً ، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين، والسلام عليكما يا رسول الله سلام مودّع لاسئم ولا قالٍ، فإن أنصرف فلا عن ملالة ، وإن أُقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين، والصبر أيمن وأجمل .

ولو لا غلبة المستولين علينا لجعلتُ المقام عند قبرك لزاماً، والتلبّث عنده عكوفاً ،

ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية ، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً ، ويهتضم حقّها قهراً، ويمنع إرثها جهراً ولم يطل منك العهد ، ولم يخلق منك الذكر، فإلى الله ـ يا رسول الله ـ المشتكى ، وفيك ـ يا رسول الله ـ أجمل العزاء ، فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته»(١) .

١١ ـ محاولة نبش القبر :

أصبح الصباح من تلك الليلة فأقبل الناس ليشيّعوا جنازة الزهراء (عليها السلام) فبلغهم الخبر أنّ عزيزة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد دفنت ليلاً وسراً .

وكان الإمام عليّ (عليه السلام) قد سوّى في البقيع صور قبور سبعة أو أكثر ، وحيث إنّ البقيع كان في ذلك اليوم وإلى يومنا هذا مقبرة أهل المدينة ولهذا أقبل الناس إلى البقيع يبحثون عن قبر فاطمة (عليها السلام) فأُشكل عليهم الأمر ولم يعرفوا القبر الحقيقي لسيّدة نساء العالمين ، فضجّ الناس ، ولام بعضهم بعضاً وقالوا : لن يخلف نبيّكم إلّا بنتاً واحدة ، تموت وتدفن ولم تحضروا وفاتها والصلاة عليها ولا تعرفون قبرها ، فقال بعضهم : هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نخرجها فنصلي عليها .

وروي أنّ أبا بكر وعمر أقبلا والناس يريدون الصلاة على فاطمة (عليها السلام) .

فقال المقداد : قد دفنّا فاطمة (عليها السلام) البارحة ، فالتفت عمر إلى أبي بكر فقال : ألم أقل لك إنّهم سيفعلون ؟ قال العباس : إنّها أوصت أن لا تصلّيا عليها، فقال عمر : لا تتركون ـ يا بني هاشم ـ حسدكم القديم لنا أبداً ، إنّ هذه الضغائن

---

(١) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٩٣ .

التي في صدوركم لن تذهب، والله لقد هممت أن أنبش قبرها فأُصلي عليها(١) .

وصل خبر محاولات القوم لنبش القبر إلىٰ الإمام عليّ (عليه السلام) فلبس القباء الأصفر الذي كان يلبسه في الحروب ، وحمل سيفه ذا الفقار وقد احمرّت عيناه ودرّت أوداجه من شدة الغضب ، وقصد نحو البقيع .

سبقت الأخبار علياً إلىٰ البقيع ، ونادىٰ مناديهم : هذا عليّ بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه ، يقسم بالله لئن حُوّل من هذه القبور حجر ليطعن السيف في رقاب الآمرين، فقال رجل : ما لك يا أبا الحسن والله لننبشنّ قبرها ولنصلّين عليها؟ فضرب عليّ (عليه السلام) بيده إلىٰ جوامع ثوب الرجل وهزّه ثم ضرب به الأرض، وقال له : « **يابن السوداء أمّا حقي فقد تركته مخافة أن يرتدّ الناس عن دينهم ، وأمّا قبر فاطمة فوالذي نفس عليّ بيده لئن رُمتَ وأصحابك شيئاً من ذلك لأسقينّ الأرض من دمائكم** » .

فقال أبو بكر : يا أبا الحسن بحقّ رسول الله وبحقّ فاطمة إلّا خلّيت عنه ، فإنّا غير فاعلين شيئاً تكرهه . فخلىٰ عنه وتفرّق الناس(٢) .

١٢ ـ تأريخ شهادتها (عليها السلام) :

لا شك أنّ وفاة الزهراء (عليها السلام) كانت في السنة الحادية عشرة من الهجرة ، لأنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) حجّ حجّة الوداع في السنة العاشرة ، وتوفّي في أوائل السنة الحادية عشرة ، واتّفق المؤرّخون علىٰ أنّ السيّدة فاطمة (عليها السلام) قد عاشت بعد أبيها أقلّ من سنة ، علماً بأنّها كانت في ريعان شبابها كما كانت في أتمّ الصحة

---

(١) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٩٩ .

(٢) دلائل الإمامة للطبري : ٤٦ ـ ٤٧ .

في حياة أبيها ، نعم اختلفوا في يوم وشهر وفاتها اختلافاً شديداً .

فقد روي أنّها عاشت بعد النبيّ (ﷺ) ستة أشهر . وقيل : خمسة وتسعين يوماً . وقيل: خمسة وسبعين يوماً أو أقلّ من ذلك .

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) : «**أنها قبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه ، سنة إحدى عشرة من الهجرة**»[١] .

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) : « **وتوفّيت ولها ثماني عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً** » .

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري : وقبض النبيّ ولها يومئذ ثماني عشرة سنة وسبعة أشهر[٢] .

قال أبو الفرج الإصفهاني : وكانت وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد وفاة النبيّ (ﷺ) بمدّة يختلف في مبلغها، فالمكثر يقول ستة أشهر ، والمقلّ يقول أربعين يوماً ، إلّا أنّ الثابت في ذلك ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّها توفيت بعد النبيّ بثلاثة أشهر[٣] .

وهكذا انتهت حياتها الزاخرة بالفضائل والمناقب والمواقف المبدئية المشرفة ، فالسلام عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيةً ورحمة الله وبركاته .

(١) دلائل الامامة ، للطبري : ص٤٥ وكشف الغمة : ١ / ٥٣ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٢ / ٣٥٧ .

(٣) راجع كشف الغمة : ١٢٨ .

الفصل الثالث

تراث الزهراء (عليها السلام)

« لقد أحصىٰ المسلمون الأوائل علىٰ الرسول جميع أقواله وأفعاله ومن هؤلاء انتقلت سنّة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلىٰ الطبقة الثانية وغيرها من الطبقات »[1].

ولا شك « أنّ أكثرهم وعياً لأقواله وأفعاله من الطبقة الأُولىٰ أُولئك الذين كانوا على صلة به في أكثر الأوقات وفي مختلف المناسبات »[2].

وعلى هذا الأساس لا بدّ وأن يكون للصحابة الأوائل دور في هذه الناحية أبرز من أُولئك الذين دخلوا الإسلام في السنين الأخيرة من حياته كأبي هريرة وغيره ممّن امتلأت مجاميع الحديث بمروياتهم وأصبحوا من أوسع المصادر لها في حين أنّ صلاتهم بالرسول (صلى الله عليه وآله) كانت محدودة للغاية ... لذلك كان موقف الباحثين من مروياتهم مشوباً بالحذر ، وفي الوقت ذاته لا يستبعد أحد على الذين لازموه منذ بعثته إلىٰ أن اختاره الله اليه أن يرووا عنه آلاف الروايات وبخاصة إذا كانوا من المقرّبين إليه كعليّ (عليه السلام) وغيره من الصحابة الأبرار في حين أنّ مجاميع السنّة لم ترو عنهم إلّا القليل القليل بالقياس لما روته عن غيرهم في السنين الثلاث الأخيرة من حياته[3].

(١ و ٢ و ٣) سيرة الأئمة الاثني عشر: ١ / ٩٦.

«كما يجب أن لا نستبعد ما ترويه المصادر الشيعية عن مصحف فاطمة، ذلك الكتاب الذي ورد ذكره على لسان الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)[(١)]؛ لأنّ الزهراء لم تفارق أباها طيلة حياتها ، وكانت ترعاه وتتولّىٰ خدمته وتسمع أحاديثه وأخباره وخطبه بنحوٍ لم يتوفّر لغيرها من الناس إذا استثنينا ابن عمّها علياً (عليه السلام) »[(٢)] .

وبعد هذا ألا تستغرب حينما تسمع ما يقوله الحافظ السيوطي من أنّ جميع ما روته فاطمة رضي الله عنها من الحديث لا يبلغ عشرة أحاديث ، وما يقوله الحافظ البدخشاني من أنّ كلّ ما روي عنها ثمانية عشر حديثاً[(٣)] ؟!.

مع أنّا نعلم أنّ المروي عن عائشة ما يفوق الألفين وهي لم تعاشر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلّا بعد الهجرة بما يقلّ عن عشر سنوات، بينما عاشت الزهراء مع أبيها علىٰ أقلّ الروايات ثمانية عشر عاماً وعلىٰ أكثرها ثمانية وعشرين عاماً !.

وقال الأُستاذ توفيق أبو علم عن هذه النقطة بالذات : « أخذت الزهراء عن أبيها الكثير من الأحاديث بما تسمعه منه أو ما كان يأمر بكتابته لها ، وقد أخذ عنها ابناها الحسن والحسين وأبوهما عليّ وحفيدتها فاطمة بنت الحسين مرسلاً وعائشة وأُم سلمة وأنس بن مالك وسلمىٰ أُم رافع رضي الله عنهم ، وقد ساعدها على ذلك أنّها ألمّت بكثير من علوم القرآن وإحاطتها بأُمور من الشرائع السابقة، وكانت تعرف القراءة والكتابة، ولقد فطمها الله بالعلم، وكان أبوها رسول الله (صلى الله عليه وآله) يستكتب لها الصحف التي تسترشد بها في أمر دينها وتبصّرها بأُمور دنياها، فالسيّدة فاطمة من أهل بيت اتّقوا الله وعلّمهم الله»[(٤)] .

---

(١) وهم أدرىٰ بما في البيت .

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر : ١ / ٩٦.

(٣) عن الثغور الباسمة في حياة سيّدتنا فاطمة ، للسيوطي : ٥٢ .

(٤) ولنعم هذا الاقتباس من قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلّمكم الله ﴾ راجع (أهل البيت) لتوفيق أبو علم: ص١٢٨ ـ ١٢٩ .

مصحف فاطمة (عليها السلام)

لقد كانت الزهراء ربيبة العلم والتقى وكان حظّها منهما وفيراً ، ويدلّنا على شيء من ذلك بعض ما أُثر عنها من الأحاديث التي روتها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالمباشرة في الأحكام والآداب والأخلاق وفضائل أهل البيت (عليهم السلام) وقد جُمع في ما سُميّ بـ« مسند فاطمة الزهراء » لعدّة مؤلفين، أولهم السيوطي المتوفّى عام (٩١١ هـ)، والثاني للسيد حسين شيخ الإسلامي التويسركاني، وقد جمع فيه (٢٦٠) حديثاً مما نُقل عن الزهراء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو ممّا يرتبط بها صلوات الله عليها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والثالث للشيخ عزيز الله العطاردي، والرابع للشيخ أحمد الرحماني الهمداني حيث جمع في كتابه «فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى» حوالي (٨٤) حديثاً ممّا نُقل عنها في كتب الخاصة والعامة .

ومن هنا نعود إلى ما كتبه السيّد هاشم معروف الحسني عن مصحف فاطمة الذي تشير الروايات اليه وتفصح فيها عن سعة علوم الزهراء وفضلها عند الله ورسوله وأهل بيته، قال رضوان الله عليه : « فليس بغريب ـ والحال هذه ـ أن تكون السيدة فاطمة (عليها السلام) قد جمعت قسماً ممّا سمعته منه ومن زوجها في التشريع والأخلاق والآداب وما سيحدث في مستقبل الزمان من الأحداث والتقلبات ، وقد ورث الأئمة من أبنائها في جملة ما ورثوه عنها هذا الكتاب واحداً بعد واحد »[1] .

---

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر : ١ / ٩٦ ـ ٩٧ .

نماذج مختارة من مسند فاطمة (عليها السلام)

١ ـ اهتمامها بالعلم وتدوين السنة :

١ ـ قال أبو محمّد العسكريّ (عليه السلام) : حضرت امرأة عند الصدّيقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فقالت : إنّ لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك ، فأجابتها فاطمة (عليها السلام) عن ذلك فثنّت فأجابت ، ثمّ ثلّثت إلى أن عشّرت ، فأجابت ، ثمّ خجلت من الكثرة فقالت لا أشقّ عليك يا ابنة رسول الله ، قالت فاطمة : هاتي وسلي عمّا بدا لك ، أرأيت من اكتري يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار ، يثقل عليه ؟ فقالت : لا ، فقالت : اكتريت أنا لكلّ مسألة بأكثر من مِلء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً ، فأحرى أن لا يثقل عليّ ، سمعت أبي (صلى الله عليه وآله) يقول :

إنّ علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله حتّى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نورٍ، ثمّ ينادي منادي ربّنا عزّوجلّ : أيُّها الكافلون لأيتام آل محمّد (صلى الله عليه وآله) الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الّذين هم أئمّتهم ، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الّذين كفلتموهم ونعشتموهم ، فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا ، فيخلعون على كلّ واحدٍ من أُولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم حتّى إنّ فيهم ـ يعني في الأيتام ـ من يخلع عليه مائة ألف خلعة ، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلّم منهم ، ثمّ إنّ الله تعالى يقول : أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين لأيتام حتّى تتمّوا لهم خلعهم وتضعّفوها لهم ، فيتمّ لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ، ويضاعف لهم ، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلّم منهم، ثمّ إنّ الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتّى تتمّوا لهم خلعهم وتضعّفوها لهم، فيتمّ لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ، ويضاعف لهم ، وكذلك من يليهم ممّن خلع

علي من يليهم .

وقالت فاطمة (عليها السلام) : يا أمة الله إنّ سلكة من تلك الخلع لأفضل ممّا طلعت عليه الشمس ألف ألف مرّة وما فضل فإنّه مشوب بالتنغيص والكدر[١] .

٢ ـ عن ابن مسعود قال : جاء رجل إلى فاطمة (عليها السلام) فقال : يا ابنة رسول الله هل ترك رسول الله عندك شيئاً تطرفينيه ؟ فقالت : « يا جارية هات تلك الحريرة»، فطلبتها فلم تجدها، فقالت : «ويحك اُطلبيها فإنّها تعدل عندي حسناً وحسيناً»، فطلبتها فإذا هي قد قممتها في قمامتها[٢] ، فإذا فيها : قال محمّد النبيُّ : «ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت ، إنّ الله يحبُّ الخيّر الحليم المتعفّف ، ويبغض الفاحش الضنين السئّال الملحف ، إنَّ الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنّة ، وإنَّ الفحش من البذاء ، والبذاء في النار»[٣] .

٢ ـ التعريف بأهل البيت (عليهم السلام) :

١ ـ وعنها سلام الله عليها : أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لها : أما ترضين أنّي زوّجتك أوّل المسلمين إسلاماً ، وأعظمهم علماً ؟ فإنّك سيّدة نساء العالمين كما سادت مريم نساءَ قومها[٤] .

٢ ـ عن يزيد عن عبد الملك النفليّ ، عن أبيه ، عن جدّه قال : دخلت على فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قال : فبدأتني بالسلام ، قال : وقالت : قال

---

(١) بحار الأنوار : ٢ / ٣ . ونعشه : رفعه .

(٢) القمامة ـ بالضمّ ـ : الكناسة .

(٣) دلائل الإمامة : ١ .

(٤) « أسنى المطالب » للعلّامة الوصّابيّ اليمنيّ ، مخطوط .

أبي وهو ذاحيٌّ : من سلَّم عليَّ وعليك ثلاثة أيّام فله الجنَّة . قلت لها : ذا في حياته وحياتك أو بعد موته وموتك ؟ قالت : في حياتنا وبعد وفاتنا[١] .

٣ ـ إنّ فاطمة رضي الله عنها قالت : أتيت النبيَّ (ﷺ) فقلت : السّلام عليك يا أبة، فقال : وعليك السّلام يا بنيّة، فقلت : والله ما أصبح يا نبيّ الله في بيت عليّ حبّة طعام، ولا دخل بين شفتيه طعام منذ خمس ، ولا أصبحت له ثاغية ولا راغية ، ولا أصبح في بيته سفّة ولا هفّة[٢] .

فقال النبيُّ (ﷺ) : ادني منّي ، فدنوت ، فقال : أدخلي يدك بين ظهري وثوبي ، فإذا حجر بين كتفي النبيّ (ﷺ) مربوط إلى صدره ، فصاحت فاطمة صيحة شديدة ، فقال لها : ما أُوقدت في بيوت آل محمّد نار منذ شهر .

ثمّ قال (ﷺ) ورفع باب خيبر وهو ابن نيّف وعشرين ، وكان لا يرفعه خمسون رجلاً .

فأشرق وجه فاطمة ، ثمّ أتت عليّاً فإذا البيت قد أنار بنور وجهها ، فقال لها : يا ابنة محمّد ! لقد خرجت من عندي ووجهك على غير هذا الحال ؟ فقالت : إنّ النبيّ (ﷺ) حدّثني بفضلك ، فما تمالكت حتّى جئتك[٣] .

٤ ـ عن أسماء بنت عميس ، عن فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) قالت : إنّ رسول الله (ﷺ) أتاها يوماً فقال : أين ابناي ـ يعني حسناً وحسيناً ـ ؟ قالت : قلت : أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق ، وإنّا لنحمد الله تعالى، فقال عليّ : أذهب بهما فإنّي أتخوّف أن يبكيا عليك وليس عندك شيء ، فذهب بهما إلى اليهوديّ . فتوجّه إليه

(١) « المناقب » لابن المغازليّ الشافعيّ : ص ٣٦٤، ومثله في « المناقب » لابن شهرآشوب: ٣ / ٣٦٥.
(٢) الثاغية : الشاة . والراغية : البعير . والسفّة : المأكول . والهفّة : المشروب .
(٣) أهل البيت (عليهم السلام) لتوفيق أبو علم : ١٣٠ .

رسول الله(صلى الله عليه وآله) فوجدهما يلعبان في مشربة بين أيديهما فضل من تمر، فقال: يا عليُّ ألا تقلب ابنيَّ ـ أي ترجعهما ـ قبل أن يشتدَّ الحرُّ عليهما؟ قال: فقال عليٌّ: قد أصبحنا فليس في بيتنا شيء، فلو جلست يا رسول الله حتّى أجمع لفاطمة تمرات، فجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو ينزع لليهوديّ كلّ دلو بتمرة، حتّى اجتمع له شيء من تمر، وحمله رسول الله وعليٌّ[١].

أخذت السيّدة الزهراء عن أبيها الكثير من الأحاديث بما تسمعه منه، أو ما كان يأمر بكتابته لها، وقد أخذ عنها ابناها الحسن والحسين، وأبوهما عليٌّ، وحفيدتها فاطمة بنت الحسين مرسلاً، وعائشة وأُمُّ سلمة وأنس بن مالك وسلمى أُمّ رافع رضي الله عنهم[٢].

٥ ـ وعنها سلام الله عليها في حديث طويل، قالت: **يا رسول الله! إنَّ سلمان تعجّب من لباسي، فو الّذي بعثك بالحقّ ما لي ولعليّ منذ خمس سنين إلّا مَسك كبش نعلف عليها بالنهار بعيرنا، فإذا كان اللّيل افترشناه، وإنَّ مرفقتنا لَمِن أدم حشوها ليف، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): يا سلمان إنَّ ابنتي لفي الخيل السوابق[٣].**

٦ ـ عن زينب ابنة عليّ، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت: قال **رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام): أما إنّك يا عليُّ وشيعتك في الجنّة[٤].**

٧ ـ عن فاطمة بنت رسول الله أنّها دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فبسط ثوباً وقال لها: **اجلسي عليه، ثمّ دخل الحسن فقال له: اجلس معها، ثمّ دخل الحسين فقال له: اجلس معهما، ثمّ دخل عليٌّ فقال له: اجلس معهم، ثمّ أخذ بمجامع الثوب فضمّه علينا**

---

(١) أهل البيت لتوفيق ابو علم: ١٣٥.

(٢) المصدر السابق: ١٢٨.

(٣) عوالم المعارف: ١١ / ١٣٠. والمسك بالفتح فالسكون: الجلد، الأدم أيضاً: الجلد. والمرفقة: المتكاة والمخدّة.

(٤) دلائل الإمامة: ٢ و ٣، ومثله في احقاق الحق: ٧ / ٣٠٧، وينابيع المودّة: ٢٥٧.

ثمّ قال : اللّهمّ هم منّي وأنا منهم ، اللّهمّ ارض عنهم كما أنّي عنهم راض[١] .

٨ ـ عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت : **قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ألا أُبشرك ؟ إذا أراد الله أن يتحف زوجة وليّه في الجنّة بعث إليك تبعثين إليها من حليّك**[٢] .

٩ ـ عن عليّ بن موسى الرضا ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمّد ، عن أبيه محمّد بن عليّ ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين ، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) : **أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال : من كنت وليّه فعليٌّ وليُّه ، ومن كنت إمامه فعليٌّ إمامه**[٣] .

١٠ ـ روى السيّد محمّد الغماريّ الشافعيّ في كتابه : عن فاطمة بنت الحسين الرضويّ ، عن فاطمه بنت محمّد الرضويّ ، عن فاطمة بنت إبراهيم الرضويّ ، عن فاطمة بنت الحسن الرضويّ ، عن فاطمة بنت محمّد الموسويّ ، عن فاطمة بنت عبدالله العلويّ ، عن فاطمة بنت الحسن الحُسينيّ ، عن فاطمة بنت أبي هاشم الحُسينيّ ، عن فاطمة بنت محمدّ بن أحمد بن موسى المبرقع ، عن فاطمة بنت أحمد بن موسى المبرقع ، عن فاطمة بنت موسى المبرقع ، عن فاطمة بنت الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ، عن فاطمة بنت موسى بن جعفر (عليه السلام) ، عن فاطمة بنت الصادق جعفر بن محمّد (عليه السلام) ، عن فاطمة بنت الباقر محمّد بن عليّ (عليه السلام) ، عن فاطمة بنت السجّاد عليّ بن الحُسين زين العابدين (عليه السلام) ، عن فاطمة بنت أبي عبدالله الحسين (عليه السلام) ، عن زينب بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) ، عن فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، قالت :

(١ و ٢) دلائل الإمامة : ٢ و ٣ ، وح ٣٤ قد تقدّم في الفصل السابق تحت الرقم ١٦ من طريق العامّة .
(٣) مسند الإمام الرضا : ١ / ١٣٣ .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « ألا من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً »[1].

١١ ـ عن حارثة بن قدامة قال: حدّثني سلمان قال: حدّثني عمّار وقال: أُخبرك عجباً؟ قلت: حدّثني يا عمّار، قال: نعم: شهدت عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وقد ولج على فاطمة (عليها السلام)، فلمّا أبصرت به نادت: أُدن لأُحدّثك بما كان وبما هو كائن وبما لم يكن إلى يوم القيامة حين تقوم الساعة. قال عمّار: فرأيت أمير المؤمنين (عليه السلام) يرجع القهقرى فرجعت برجوعه إذ دخل على النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فقال له: **أُدن يا أبا الحسن، فدنا فلمّا اطمأنّ به المجلس قال له: تحدّثني أم أُحدّثك؟** قال: **الحديث منك أحسن يا رسول الله**، فقال: **كأنّي بك وقد دخلت على فاطمة وقالت لك كيت وكيت، فرجعت**، فقال عليّ (عليه السلام): **نور فاطمة من نورنا؟** فقال (عليه السلام): **أو لا تعلم؟** فسجد عليّ شكراً لله تعالى.

قال عمّار: فخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) وخرجت بخروجه، فولج على فاطمة (عليها السلام) وولجت معه، فقالت: **كأنّك رجعت إلى أبي (صلى الله عليه وآله) فأخبرته بما قلته لك؟** قال: **كان كذلك يا فاطمة**، فقالت: **اعلم يا أبا الحسن أنّ الله تعالى خلق نوري، وكان يسبّح الله جلّ جلاله، ثمّ أودعه شجرة من شجر الجنّة فأضاءت فلمّا دخل أبي الجنّة أوحى الله تعالى إليه إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهواتك؛ ففعل، فأودعني الله سبحانه صُلب أبي (صلى الله عليه وآله)، ثمّ أودعني خديجة بنت خويلد فوضعتني، وأنا من ذلك النور، أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن. يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله تعالى**[2].

١٢ ـ عن أبي الطفيل، عن أبي ذرّ (رضي الله عنه)، قال: سمعت فاطمة (عليها السلام)

---

(١) عوالم المعارف ومستدركاتها: ٢١ / ٣٥٤ ـ ٣٥٥، نقلاً عن « اللؤلؤة المثنية » للشيخ محمّد بن أحمد الجنتيّ الداغستانيّ: ٢١٧، طبع مصر، سنة ١٣٠٦.

(٢) عوالم المعارف: ١١ / ٧٠٦.

تقول: «سألت أبي (صلى الله عليه وآله) عن قول الله تبارك وتعالى ﴿ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلّاً بسيماهم ﴾[١] قال: هم الأئمّة بعدي: عليٌّ وسبطاي وتسعة من صلب الحسين، هم رجال الأعراف، لا يدخل الجنّة إلّا من يعرفهم ويعرفونه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وينكرونه، لا يُعرف الله إلّا بسبيل معرفتهم».

١٣ ـ عن سعد الساعديّ، عن أبيه قال: سألت فاطمة صلوات الله عليها عن الأئمّة فقالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: الأئمّة بعدي عدد نقباء بني إسرائيل[٢].

١٤ ـ عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال أبي (عليه السلام) لجابر بن عبدالله الأنصاريّ: إنَّ لي إليك حاجة فمتى يخفُّ عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ فقال له جابر: في أيّ الأوقات شئت، فخلا به أبو جعفر (عليه السلام)، قال له: يا جابر أخبرني عن اللّوح الّذي رأيته في يد أُمّي فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما أخبرتك به أنّه في ذلك اللّوح مكتوباً. فقال جابر: أشهد بالله أنّي دخلت على أُمّك فاطمة (عليها السلام) في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أُهنّئها بولادة الحسين (عليه السلام) فرأيت في يدها لوحاً أخضر ظننت أنّه من زمرُّد، ورأيت فيه كتابةً بيضاء شبيهة بنور الشمس، فقلت لها: بأبي أنت وأميّ يا بنت رسول الله ما هذا اللّوح؟ فقالت: هذا اللّوح أهداه الله عزّوجلّ إلى رسوله (صلى الله عليه وآله) فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابنيّ وأسماء الأوصياءِ من ولدي، فأعطانيه أبي ليسرّني بذلك.

قال جابر: فأعطتنيه أمّك فاطمة (عليها السلام) فقرأته وانتسخته. فقال له أبي (صلى الله عليه وآله): فهل لك يا جابر أن تعرضه عليّ؟ فقال: نعم، فمشى معه أبي (صلى الله عليه وآله)

(١) الأعراف (٧): ٤٦.
(٢) كفاية الأثر: ١٩٣ ـ ٢٠٠.

حتّى انتهى إلى منزل جابر فأخرج إلى أبي صحيفة من رقّ ، فقال : يا جابر انظر أنت في كتابك لأقرأه أنا عليك ، فنظر جابر في نسخته[1] فقرأه عليه أبي (عليه السلام) فوالله ما خالف حرفٌ حرفاً ، قال جابر : فإنّي أشهد بالله أنّي هكذا رأيته في اللّوح مكتوباً :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمّد نوره وسفيره وحجابه ودليله ، نزل به الرُّوح الأمين من عند ربِّ العالمين ؛ عظِّم يا محمّد أسمائي واشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي ، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا ، قاصم الجبّارين [ومبير المتكبّرين] ومذلُّ الظالمين وديّان يوم الدِّين ، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا ، فمن رجا غير فضلي ، أو خاف غير عدلي؛ عذَّبته عذاباً لا أُعذّ به أحداً من العالمين ، فإيّاي فاعبد وعليَّ فتوكّل .

إنّي لم أبعث نبيّاً فأكملت أيّامه وانقضت مدّته إلّا جعلت له وصيّاً ، وإنّي فضّلتك على الأنبياء وفضّلت وصيّك على الأوصياء ، وأكرمتك بشبليك بعده وبسبطيك الحسن والحسين ، وجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدّة أبيه ، وجعلت حسيناً خازن وحيي ، وأكرمته بالشهادة ، وختمت له بالسعادة ، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداءِ درجةً ، جعلت كلمتي التامّة معه ، والحجّة البالغة عنده ، بعترته أثيب وأُعاقب، أوّلهم عليٌّ سيّد العابدين، وزين أوليائي الماضين ؛ وابنه سميُّ جدِّه المحمود ، محمّد الباقر لعلمي والمعدن

(١) إنّما كانت ملاقاة جابر مع أبي جعفر (عليه السلام) بعد زيارة الأربعين في المدينة قطعاً وقد قيل إنّه في زيارة الأربعين مكفوف البصر فكيف يمكن معه قراءة النسخة ؟ ويمكن أن نقول : إنّما يكون عماه في آخر أيّام حياته فاشتبه على بعض من ترجمه فتوهّم عماه في الأربعين، سنة ٦١ ، وهو خلاف ما نصّوا عليه من أنّه كفّ بصره آخر عمره . وما في « بشارة المصطفى » في خبر زيارته في الأربعين من قول عطيّة « قال : فألمسنيه ، فألمسته فخرّ على القبر » لا يدلُّ على العمى ، ولعلّ من شدّة الحزن وكثرة البكاء ابيضّت عيناه ، أو غمرتها العبرة في ذلك اليوم . ويؤيّده ما في هذا الخبر « ثمّ جال ببصره حول القبر وقال : السلام عليكم . . . » .

لحكمتي ؛ سيهلك المرتابون في جعفر ، الرّادُّ عليه كالرّادِّ عليَّ ، حقَّ القول منّي لأكرمنَّ مثوى جعفر ، ولأسرَّنَّه في أوليائه وأشياعه وأنصاره ؛ وانتحبت بعد موسى فتنة عمياء حِندِس[1]، لأنَّ خيط فرضي لا ينقطع ، وحجّتي لا تخفى ، وأنَّ أوليائي لا يشقون أبداً ؛ ألا ومن جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي ، ومن غيّر آية من كتابي فقد افترى عليَّ .

وويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدَّة عبدي موسى وحبيبي وخيرتي ، [ألا] إنَّ المكذِّب بالثامن مكذِّب بكلِّ أوليائي ، وعليٌّ وليّي وناصري ، ومن أضع عليه أعباء النبوَّة وأمتحنه بالاضطلاع ، يقتله عفريت مستكبر ، يدفن بالمدينة الّتي بناها العبد الصالح ذو القرنين إلى جنب شرِّ خلقي ، حقَّ القول منّي لأُقرَّنَّ عينه بمحمّد ابنه وخليفته من بعده ، فهو وارث علمي ومعدن حكمتي وموضع سرّي وحجّتي على خلقي جعلت الجنّة مثواه ، شفّعته في سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا النار ، وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري والشاهد في خلقي وأميني على وحيي أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن ...[2] .

١٥ ـ قالت (عليها السلام) : أبوا هذه الأُمّة محمّد وعليٌّ يقيمان أودهم وينقذانهم من العذاب الدائم إن أطاعوهما ويبيحانهم النعيم الدائم إن وافقوهما[3] .

١٦ ـ عن فاطمة ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهما قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أيّما رجل صنع إلى رجل من ولدي صنيعة فلم يكافئه عليها ، فأنا المكافئ له عليها[4] .

١٧ ـ حدَّثنا أحمد بن يحيى الأوديُّ ، حدثنا أبو نعيم ضرار بن صرد ،

(١) انتحب : تنفس شديداً . والحِندِس : الشديد الظلمة .
(٢) كمال الدين وتمام النعمة : ٣٠٨ ـ ٣١١ ط . طهران ـ الآخوندي .
(٣) بحار الأنوار : ٩٦ / ٢٢٥ .
(٤) المصدر نفسه.

حدثنا عبد الكريم أبو يعفور، حدثنا جابر، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة، قالت: حدّثتني فاطمة، قالت: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): **زوجك أعلم الناس علماً وأوّلهم سلماً، وأفضلهم حلماً.**

١٨ ـ قالت (عليها السلام): **« واحمدوا الذي لعظمته ونوره يبتغي من في السماوات والأرض إليه الوسيلة، ونحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصّته ومحل قُدسه، ونحن حجّته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه »**[(١)].

١٩ ـ عن محمّد بن عمر الكناسي عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن عليّ ابن الحسين عن فاطمة الصغرى عن الحسين بن عليّ عن فاطمة بنت محمّد (صلى الله عليه وآله) قالت: **«خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: إنّ الله عزّوجلّ باهى بكم، فغفر لكم عامّة، وغفر لعليّ خاصّة، وإنّي رسول الله إليكم غير هائب لقومي ومحاب لقرابتي، هذا جبرئيل (عليه السلام) يخبرني: انّ السّعيد كلّ السعيد حقّ السعيد من أحبَّ عليّاً في حياتي وبعد وفاتي»**[(٢)].

٢٠ ـ عن زينب بنت أبي رافع عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّها أتت رسول الله بالحسن والحسين في مرضه الّذي توفّي فيه، فقالت: **«يا رسول الله إنّ هذين لم تورثهما شيئاً»** فقال: **«أمّا الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأمّا الحسين فله جرأتي وجودي»**[(٣)].

٢١ ـ عن عليّ عن فاطمة (عليها السلام) قالت: **«قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة من صلّى عليك غفر الله له وألحقه بي حيث كنت من الجنّة»**[(٤)].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦ / ٢١١.
(٢) «أسنى المطالب» لشمس الدين الجزريّ: ٧٠.
(٣) أسد الغابة: ٥ / ٤٦٧، ومناقب ابن شهر آشوب: ٣ / ٣٩٦.
(٤) كشف الغمّة: ١ / ٤٧٢.

٢٢ ـ عن زيد بن عليّ بن الحسين عن عمّته زينب بنت عليّ (عليها السلام) عن فاطمة (عليها السلام) قالت : «كان دخل إليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند ولادتي الحسين (عليه السلام)، فناولته إيّاه في خرقة صفراء، فرمى بها وأخذ خرقة بيضاء ولفّه فيها ثمّ قال : خذيه يا فاطمة، فإنّه إمام ابن إمام أبو الأئمّة التسعة، من صلبه أئمّة أبرار، والتاسع قائمهم».

٢٣ ـ عن سهل بن سعد الأنصاريّ قال : سألت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الأئمّة فقالت : «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعليّ (عليه السلام) : يا عليُّ! أنت الإمام والخليفة بعدي، وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضيت فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فابنك الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسين فابنه عليٌّ بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليٌّ فابنه محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى فابنه عليٌّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليٌّ فابنه محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمّد فابنه عليٌّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليٌّ فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فالقائم المهديُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتح الله تعالى به مشارق الأرض ومغاربها، فهم أئمّة الحقّ وألسنة الصدق، منصور من نصرهم، مخذول من خذلهم»[١].

٣ ـ مصادر التشريع الإسلامي وفلسفته واصوله :

١ ـ جاء في الخطبة المعروفة عنها قولها للصحابة حين اعترضت على أبي بكر بعد حادث السقيفة المرّ : «أنتم عِبادَ الله نصب أمرِه ونهيِه، وحَمَلَة دينِهِ

(١) راجع كفاية الأثر : ١٩٣ ـ ٢٠٠.

وَوَحْيِهِ ، وأُمناء الله على أنفسكم ، وبُلَغاؤه إلى الأُمم ، زعيمُ حقٍ له فيكم، وعهدٌ قدّمه إليكم، وبقيّةٌ استخلفها عليكم ، كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بيّنةٌ بصائره ، منكشفةٌ سرائره ، منجليةٌ ظواهره ، مغتَبِطَةٌ به أشياعُه ، قائداً إلى الرضوان اتّباعه ، مؤدٍّ إلى النّجاة استماعُه ، بِه تُنال حججُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وعزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، ومحارِمُه المحذّرة ، وبيّناتُه الجالية ، وبراهينُه الكافية ، وفضائله المندوبة ، ورُخَصُه الموهوبة ، وشرائعهُ المكتوبة .

٢ ـ وقالت عن فلسفة التشريع في نفس الخطبة : «جعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر ، والزكاةَ تزكيةً للنفس ، ونماءً في الرزق ، والصيّامَ تَثبيتاً للإخلاص ، والحجَّ تشييداً للدين ، والعدْلَ: تنسيقاً للقلوب ، وطاعتنا نظاماً للملّة ، وإمامتنا أماناً من الفرقة ، والجهادَ عِزّاً للإسلام ، والصبّر معونةٌ على استيجاب الأجر ، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة ، وبرّ الوالدين وقاية من السخط ، وصلة الأرحام مَنْسأة في العمر ومنماة للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة ، وتوفية المكائيل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس ، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة ، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة» .

٣ ـ وقالت عن بعض أُصول التشريع : حدّثنا أحمد بن يحيى الصوفيُّ، حدثنا عبد الرحمن بن ديس الملائيّ ، حدثنا بشير بن زياد الجزريُّ ، عن عبدالله بن حسن ، عن أُمّه فاطمة بنت الحسين ، عن فاطمة الكبرىٰ قالت : قال النبيُّ (صلى الله عليه وآله) : إذا مرض العبد أوحى الله إلى ملائكته أن ارفعوا عن عبدي القلم ما دام في وثاقي ، فإنّي أنا حبسته ، حتّى أقبضه أو أُخلّي سبيله .

قال : فذكرت لبعض ولده فقال :كان أبي يقول : أوحى الله إلى ملائكته :اكتبوا لعبدي أجر ماكان يعمل في صحّته .

٤ ـ عن عليّ عن فاطمة رضي الله عنهما قالت : «قال لي رسول الله (ﷺ) : يا حبيبة أبيها كلُّ مسكرٍ حرام ، وكلّ مسكر خمر»[١] .

٥ ـ عن سليمان بن أبي سليمان عن اُمّه أُمّ سليمان قالت : دخلت على عائشة زوج النبيّ (ﷺ) فسألتها عن لحوم الأضاحيّ ، فقالت : قد كان رسول الله(ﷺ) نهى عنها ، ثمّ رخّص فيها .

قدم عليٌّ بن أبي طالب من سفر فأتته فاطمة بلحم من ضحاياها ، فقال : «أو لم ينه عنها رسول الله (ﷺ) ؟» فقالت : «إنّه قد رخّص فيها» . قالت : «فدخل عليٌّ على رسول الله (ﷺ) فسأله عن ذلك ، فقال له : كلها من ذي الحجّة إلى ذي الحجّة»[٢] .

٦ ـ عن سيّدة النساء فاطمة ابنة سيّد الأنبياء صلوات الله عليهم أنّها سألت أباها محمّداً (ﷺ) فقالت : «يا أبتاه! ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء ؟» قال : «يا فاطمة من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة: ستّ منها في دار الدنيا ، وثلاث عند موته ، وثلاث في قبره ، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره .

أمّا اللّواتي تصيبه في دار الدّنيا : فالأُولى يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه ، ويمحو الله عزّوجلّ سيماء الصالحين من وجهه ، وكلّ عمل يعمله لا يؤجر عليه ، ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء ، والسادسة ليس له حظّ في دعاء الصالحين .

وأمّا اللواتي تصيبه عند موته : فأوّلهنّ أنّه يموت ذليلاً ، والثانية يموت جائعاً ، والثالثة يموت عطشاً ، فلو سقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه .

وأمّا اللواتي تصيبه في قبره : فأوّلهنّ يوكّل الله به ملكاً يزعجه في قبره ، والثانية يضيّق عليه قبره ، والثالثة تكون الظلمة في قبره .

---

(١) دلائل الإمامة : ٢.

(٢) « أهل البيت » لتوفيق أبو علم : ١٢٩ ، ومسند أحمد : ٦ / ٢٨٣.

وأمّا اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره : فأوّلهنّ أن يوكّل الله به ملكاً يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون إليه ، والثانية يحاسب حساباً شديداً ، والثالثة لا ينظر الله إليه ولا يزكّيه وله عذاب أليم»(١) .

٤ ـ الاخلاق والآداب والسلوك :

١ ـ عن الحسين (عليه السلام) ، عن أُمّه فاطمة رضي الله عنها ، قالت : قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إيّاكِ والبخل ، فإنّه عاهة لا تكون في كريم . إيّاكِ والبخل فإنه شجرة في النار ، وأغصانها في الدنيا ، فمن تعلّق بغصن من أغصانها أدخله النار . وعليكِ بالسخاء ، فإنّ السخاء شجرة من شجر الجنّة ، أغصانها متدلّية إلى الأرض ، فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك الغصن إلى الجنّة(٢) .

٢ ـ عن فاطمة البتول بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : شرار أُمّتي الّذين غُذّوا بالنعيم ، الّذين يأكلون ألوان الطعام ، ويلبسون ألوان الثياب ، ويتشدّقون في الكلام(٣) .

٣ ـ عن فاطمة بنت الحسين ، عن جدّتها فاطمة الزهراء (عليها السلام) قالت : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا دخل المسجد صلّى على محمّدٍ وسلّم ، وقال : « اللّهمّ اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك » . وإذا خرج صلّى على محمّد وسلّم ثمّ قال : « اللّهمّ اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك »(٤) .

٤ ـ قالت (عليها السلام) : البشر في وجه المؤمن يوجب لصاحبه الجنّة ، والبشر في وجه

(١) سفينة البحار : ٢ / ٤٣ .

(٢) « أهل البيت » لتوفيق أبو علم : ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٣) المصدر السابق : ١٣١ ، وتشدّق في الكلام : اتّسع فيه من غير احتياط واحتراز .

(٤) أهل البيت لتوفيق أبو علم : ١٢٩ ـ ١٣١ . وعصبة الرجل : بنوه وقرابته لأبيه . وانتمى إليه فلان ، إذا ارتفع إليه في النسب .

المعاند المعادي يقي صاحبه عذاب النار[١] .

٥ ـ عن زيد بن عليّ ، عن آبائه ، عن فاطمة ابنة النبيّ (ﷺ) قالت : **سمعت النبيّ (ﷺ) يقول : إنَّ في الجمعة لساعةً لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله عزّوجلّ فيها خيراً إلّا أعطاه . قالت : فقلت : يا رسول الله أيُّ ساعة هي ؟ قال : إذا تدلّى نصف عين الشمس للغروب . قال : وكانت فاطمة تقول لغلامها: اسعد على السطح ، فإن رأيت نصف عين الشمس قد تدلّى للغروب فأعلمني حتّى أدعو**[٢] .

٦ ـ قال ابن حمّاد الأنصاريُّ الدولابيُّ المتوفّى ٣١٠ : حدَّثنا أبو جعفر محمَّد بن عوف بن سفيان الطائيُّ الحمّصيُّ ، حدّثنا موسى بن أيُّوب النصيبيُّ ، حدّثنا محمَّد بن شعيب ، عن صدقة مولى عبد الرحمن بن الوليد ، عن محمّد ابن عليّ بن حسين ، قال : خرجت أمشي مع جدّي حسين بن عليّ إلى أرضه ، فأدركنا النعمّان بن بشير على بغلة له فنزل عنها ، وقال لحسين : أركب أبا عبدالله ، فأبى، فلم يزل يقسم عليه حتّى قال : أما إنّك قد كلّفتني ما أكره ، ولكن أحدّثك حديثاً حدَّثتنيه أمّي فاطمة : إنَّ رسول الله (ﷺ) قال : « **الرجل أحقُّ بصدر دابّته وفراشه والصلاة في بيته ، إلّا إماماً يجمع الناس** » . فاركب أنت على صدر الدابّة و [أردفني خلفك] .

فقال النعمان : صدقت فاطمة ، حدَّثني أبي ـ وها هو ذا حيٌّ بالمدينة عن النبيّ (ﷺ) قال : إلّا أن يأذن، فلمّا حدّثه النعمان بهذا الحديث ركب حسين السرج ، وركب النعمان خلفه[٣]

---

(١) « تفسير الإمام » : ٣٥٤ ، والمراد من الفقرة الثانية مداراة النواصب تقيّةً منهم .

(٢) دلائل الإمامة : ٥ .

(٣) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى : ٣٠١ رواه عن الدولابي .

٧ ـ حدّثنا أحمد بن يحيى الأوديُّ ، حدّثنا جبارة بن مغلّس ، حدّثنا عبيد بن الوسيم ، عن حسين بن الحسن ، عن أمّه فاطمة بن حسن ، عن أبيها ، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : **لا يلومنّ إلّا نفسه من بات وفي يده غَمَر**(١) .

٨ ـ حدّثنا أحمد بن يحيى الصوفيُّ ، حدّثنا عبد الرحمن بن دبيس ، حدّثنا بشير بن زياد ، عن عبدالله بن حسن ، عن أُمّه ، عن فاطمة الكبرى (عليها السلام) ، قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : **ما التقى جندان ظالمان إلّا تخلّى الله منهما ، فلم يبال أيُّهما غلب ، وما التقى جندان ظالمان إلّا كانت الدائرة على أعتاهما** .

٩ ـ وقالت (عليها السلام) في وصف ما هو خير للنساء : «**خير لهنّ ألّا يرين الرجال ولا يرونهنّ**»(٢) .

١٠ ـ عن جعفر بن محمّد عن أبيه محمّد بن عليّ عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن عليّ عن أُمّه فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت : «**لمّا نزلت على النبيّ (صلى الله عليه وآله) ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾**(٣) ، قالت فاطمة : «**فتهيّبت النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن أقول له : يا أبه ، فجعلت أقول له : يا رسول الله ، فأقبل عليَّ فقال لي : يا بنيّة لم تنزل فيك ولا أهلك من قبل ، أنت منّي وأنا منك ، وإنّما نزلت في أهل الجفاء والبذخ والكبر ، قولي : يا أبه ، فإنّه أحبُّ للقلب وأرضى للربّ ثمّ قبّل النبيُّ (صلى الله عليه وآله) جبهتي ، مسحني بريقه ، فما احتجت إلى طيب بعده**»(٤) .

١١ ـ وقالت فاطمة (عليها السلام) : «**من أصعد إلى الله خالص عبادته؛ أهبط الله إليه**

---

(١) الغَمَر : الدَّسَم .

(٢) حلية الأولياء : ٢ / ٤٠ .

(٣) النور (٢٤) : ٦٣ .

(٤) المناقب لابن شهر آشوب : ٣ / ٣٢٠ .

أفضل مصلحته»(١).

١٢ ـ عن ليث بن أبي سليم عن عبدالله بن الحسن عن أُمّه فاطمة بنت الحسين عن أبيها عن أُمّه فاطمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله): «خياركم ألينكم مَناكِبَ، وأكرمهم لنسائهم»(٢).

١٣ ـ سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه عن المرأة ما هي ؟ قالوا: عورةٌ، قال: فمتى تكون أدنى من ربّها ؟ فلم يدروا، فلمّا سمعت فاطمة (عليها السلام) ذلك قالت: «أدنى ما تكون من ربّها أن تلزم قعر بيتها، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنَّ فاطمة بضعة منّي»(٣).

١٤ ـ وعنها سلام الله عليها في حديث طويل، قالت: «يا رسول الله! إنَّ سلمان تعجَّب من لباسي، فو الّذي بعثك بالحقّ ما لي ولعليّ منذ خمس سنين إلّا مَسك كبش نعلف عليه بالنهار بعيرنا، فإذا كان اللّيل افترشناه، وإنَّ مرفقتنا لَمِن أدم حشوها ليف، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): يا سلمان إنَّ ابنتي لفي الخيل السوابق»(٤).

١٥ ـ عن عليّ بن الحسين بن عليّ (عليهم السلام): «أنّ فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) استأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبيُّ (صلى الله عليه وآله): لم حجبته وهو لا يراك ؟ فقالت: يا رسول الله إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشمّ الريح، فقال النبيُّ (صلى الله عليه وآله): أشهد أنّك بضعة منّي»(٥).

---

(١) بحار الأنوار: ٧١ / ١٨٤.

(٢) فاطمة الزهراء (عليها السلام) بهجة قلب المصطفى: ١ / ٢٧٣، إلّا أنّ في بعض المصادر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

(٣) بحار الأنوار: ٤٣ / ٩٢.

(٤) عوالم المعارف: ١١ / ١٣٠، المسك بالفتح فالسكون: الجلد، الأدم أيضاً: الجلد، والمرفقة: المتّكأة والمخدّة.

(٥) ملحقات إحقاق الحق: ١٠ / ٢٥٨.

١٦ ـ حدّثنا يزيد بن سنان ، حدثنا الحسن بن عليّ الواسطيّ ، حدّثنا بشير ابن ميمون الواسطيّ ، حدّثنا عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، قال : حدّثتني أُمّي فاطمة بنت الحسين عن فاطمة الكبرى بنت محمّد : إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يعوّذ الحسن والحسين ويعلّمهما هؤلاء الكلمات كما يعلّمهما السورة من القرآن ، يقول : « أعوذ بكلمات الله التامّة من شرّ كلّ شيطان وهامّة ، ومن كلّ عين لامّة »[١].

١٧ ـ عن الزهراء صلوات الله عليها قالت : «دخل عليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد افترشت فراشي للنوم ، فقال : يا فاطمة لا تنامي إلّا وقد عملت أربعة : ختمت القرآن ، وجعلت الأنبياء شفعاءك ، وأرضيت المؤمنين عن نفسك ، وحججت واعتمرت . قال هذا وأخذ في الصلاة ، فصبرت حتّى أتمّ صلاته ، قلت : يا رسول الله إنّك أمرت بأربعة لا أقدر عليها في هذا الحال ! فتبسّم (صلى الله عليه وآله) [وقال] : إذا قرأت ﴿قل هو الله أحد﴾ ثلاث مرّات فكأنّك ختمت القرآن ، وإذا صلّيت عليّ وعلى الأنبياء قبلي كنّا شفعاءك يوم القيامة ، وإذا استغفرت للمؤمنين رضوا كلّهم عنك ، وإذا قلت : سبحان الله والحمد لله ولا اله إلّا الله والله أكبر ، فقد حججت واعتمرت»[٢] .

١٨ ـ في حديث طويل قالت (عليها السلام) : «يا أبت فديتك ما الّذي أبكاك ؟» فذكر لها ما نزل به جبرئيل من الآيتين المتقدّمتين ﴿ وإنَّ جهنَّم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكلّ باب منهم جزء مقسوم ﴾[٣] فسقطت فاطمة (عليها السلام) على وجهها وهي تقول : «الويل ثمّ الويل لمن دخل النار»[٤] .

(١) الذرّية الطاهرة ، لابن حمّاد الأنصاريّ الدولابيّ : ١٤٩ ، ط . جامعة المدرسين بقم .
(٢) خلاصة الأذكار : ٧٠ .
(٣) الحجر (١٥) : ٤٣ ـ ٤٤ .
(٤) بحار الأنوار : ٨ / ٣٠٣ .

٥ ـ الحكم والسياسة والتأريخ :

١ ـ والخطبتان اللتان نقلناهما عنها تفصحان عن بُعد نظرها وسعة أفقها فيما يخصّ: الثورة النبويّة المباركة، ومستقبلها، والجاهلية التي سبقت البعثة المباركة، وما سيترتّب علىٰ انحراف القيادة الإسلامية عن مسارها الصحيح .

فراجعهما ولاحظهما مرةً أُخرىٰ بإمعان .

٢ ـ إخبارات غيبيّة : عن فاطمة الصغرى بنت الحسين رضي الله عنهما، عن أبيها ، عن جدّتها فاطمة الكبرىٰ بنت رسول الله (ﷺ) قالت : **قال لي رسول الله** (ﷺ) : **يدفن من ولدي سبعة بشاطئ الفرات ، لم يبلغهم الأوّلون ، ولم يدركهم الآخرون**[(١)] .

٣ ـ إسرار النبيّ لها صلوات الله عليهما عن عائشة قالت : أقبلت فاطمة تمشي ،كأنَّ مشيتها مشية رسول الله (ﷺ) فقال : **مرحباً بابنتي** ؛ ثمَّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثمَّ إنَّه أسرَّ إليها حديثاً ، فبكت ، فقلت لها : استخصّك رسول الله (ﷺ) حديثه ثمَّ تبكين ؟ ثمَ إنَّه أسرَّ إليها حديثاً فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن ! فسألتها عمّا قال ، فقالت : ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله (ﷺ) ؛ حتى إذا قبض النبيُّ (ﷺ) سألتها ، فقالت : **إنّه أسرَّ إليَّ فقال : إنَّ جبرئيل (ع) كان يعارضني بالقرآن في كلِّ عام مرّةً ، وإنَّه عارضني به العام مرّتين ، ولا أراه إلّا قد حضر أجلي ، وإنك أوّل أهل بيتي لحوقاً بي ، ونعم السلف أنا لك** ، فبكيت لذلك، ثمَّ قال: **ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء هذه الأُمّة ـ أو نساء المؤمنين ـ ؟**[(٢)] قالت :

---

(١) بحار الأنوار : ٨ / ١٣١ .

(٢) الظاهر أن الترديد من عائشة .

فضحكت لذلك(١).

١٩ ـ عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: لمّا مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ دعا ابنته فاطمة فسارّها، فبكت، ثمّ سارّها فضحكت، فسألتها عن ذلك، فقالت: أمّا حين بكيت فإنّه أخبرني أنّه ميّت، فبكيت، ثمّ أخبرني أنّي أوّل أهله لحوقاً به فضحكت(٢).

* * *

(١) مسند أحمد: ٦ / ٢٨٢.

(٢) المصدر السابق: ٢٨٣.

نماذج من أدعيتها

كانت (عليها السلام) إذا جنّ الليل تقوم في محرابها صافّةً قدميها منقطعةً إلىٰ ربّها مصليةً مناجيةً متهجدةً تدعو الله سبحانه بلسان الخائف الذليل المنقطع، وتقول في دعائها: «**اللهمّ إنّي أسألك قوةً في عبادتك، وتبصّراً في كتابك، وفهماً في حكمك، اللهمّ صلّ علىٰ محمّد وآل محمّد، ولا تجعل القرآن بنا ماحلاً، والصراط زائلاً ومحمّداً (صلى الله عليه وآله) عنا مولّياً**».

ومن دعائها أيضاً:

١ ـ «**اللهمّ اجعل أول يومي هذا فلاحاً، وأوسطه صلاحاً، وأخره نجاحاً، اللهمّ صلّ علىٰ محمّد وآل محمّد، واجعلنا ممن أناب إليك فَقبلته، وتوكّل عليك فكفيته، وتضرّع إليك فرحمته**».

٢ ـ «**اللهمّ إنّي اسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ، والعمل بما تحبّ وترضىٰ، اللهمّ إنّي أسألك من قوتك لضعفنا، ومن غناك لفقرنا وفاقتنا، ومن حلمكَ وعلمكَ لجهلنا، اللهمّ صلِّ علىٰ محمّد وآل محمّد، وأعنّا علىٰ شكرك وذكرك وطاعتك وعبادتك يا أرحم الراحمين**».

٣ ـ دعاء النور المعروف عنها:

«بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور علىٰ نور، بسم الله الذي هو مدبّر الأُمور، بسم الله الذي خلق النور من النور، الحمد لله الذي خلق النور من النور، وأنزل النور علىٰ الطور، في كتاب مسطور، في رقّ منشور، بقدر مقدور، علىٰ نبيّ محبور، الحمد لله الذي هو بالعزّ مذكور، وبالفخر مشهور، وعلىٰ السرّاء والضرّاء مشكور، وصلّى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله الطاهرين»[١].

---

(١) بحار الانوار: ٤٣ / ٦٦.

أدب السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

بالرغم من أنّ فاطمة (عليها السلام) توفّيت ولها ثماني عشرة سنة فإنّ النصوص المؤرّخة تشير إلى أنّها ـ مثل سائر المعصومين (عليهم السلام) ـ توفّرت على إلقاء وتدوين ما يرتبط بمبادئ الشريعة الإسلامية، وأنّها (عليها السلام) في لقاءاتها مع العنصر النسوي كانت تتكفّل بالإجابة على أسئلتهنّ، وأنّها بعامة أثر عنها من النصوص ما يفصح عن شخصيّتها العلميّة والأدبيّة، ولعلّ النماذج التي نقلها المؤرّخون بالنسبة إلى النصوص الخطابية التي ارتجلتها تفصح بوضوح عن الطابع الأدبي المحكم في خطاباتها، فهناك خطبتان مأثورتان عن فاطمة (عليها السلام) فيما ارتجلت أُولاهما بمحضر من النساء « بعد وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله) » والأُخرىٰ ارتجلتها بمحضر من شخصيات المهاجرين والأنصار ...[1].

وقد ذكرنا نص الخطبتين بعد أحداث رحلة النبيّ (صلى الله عليه وآله)، وعلّق الدكتور البستاني على هذا النص الفني قائلاً : « لقد بدأت الخطبة بتمجيد الله تعالى وهو أُسلوب قد اختطّه النبيّ وفصّله الإمام عليّ (عليه السلام) حيث يلاحظ أنّ فاطمة (عليها السلام) قد أفادت من جانب من النبيّ والإمام عليّ (عليه السلام) أُسلوبياً ، واختطت منحىً فنياً خاصاً من جانب آخر ، إنّها تسلسلت موضوعياً من الحمد ، فالشكر ، فالثناء على معطيات الله تعالى، ثم صفاته تعالى ، ثم نبوّة أبيها فمعطيات ذلك ، ثم اتجهت إلى الموضوع الرئيس وسردت قائمة بالمعطيات النفسية والعبادية، وهكذا وصلت بين النبوّة وبين معطياتها اجتماعياً، بين المقدمة وبين الموضوع ، فجاءت الخطبة خاضعةً عمارياً لخطوط هندسية متواشجة فيما

---

(١) تأريخ الأدب العربي (في ضوء المنهج الإسلامي) : ٢٥٧ .

بينها، وأمّا الأدوات الفنية التي توكّأت عليها فتتمثّل في حشدٍ ملحوظ من العنصر (الصوري) وفي عناية ملحوظة بالعنصر الإيقاعي فضلاً عن العنصر اللفظي، من تقابل وتماثل وتتابع وتكرار وقسم ...»[١].

هذا عن النثر، وأمّا أدبها المنظوم فنذكر نماذج منه :

١ ـ لمّا دفن رسول الله (ﷺ) أقبلت على أنس بن مالك فقالت : **«يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثّوا على رسول الله (ﷺ) التراب ؟»** ثمّ بكت ورثته قائلةً :

أغــبرّ آفــاق الســماء وكــوّرت ... شــمس النــهار وأظــلم العــصران
فــالأرض مــن بــعد النبيّ كـئيبة ... أســـفاً عــليه كـثيرة الرجــفان
فــليبكه شــرق البــلاد وغــربها ... ولتــبكه مــضر وكــلّ يــمان
يــا خــاتم الرسـل المـبارك ضـوؤه ... صــلّى عــليك مــنزل القــرآن

ثمّ أخذت قبضةً من تراب القبر فجعلتها على عينيها ووجهها، ثمّ أنشأت تقول :

مــاذا عــلى مـن شمّ تـربة أحـمد ... أن لا يشــمّ مــدى الزمـان غـواليـا
صــبّت عــليّ مــصائب لو أنّـها ... صــبّت عـلى الأيّـام عُـدن ليـاليا[٢]

٢ ـ وقالت أيضاً في رثائه (ﷺ) :

قــل للــمغيّب تـحت أطـباق الثـرىٰ ... إن كـنت تسـمع صـرختي ونـدائـيا
صــبّت عــليّ مــصائب لو أنّـها ... صــبّت عــلى الأيّـام صـرن ليـاليا
قــد كـنتُ ذات حـمًى بـظلّ مـحمّد ... لا أخـتشي ضـيماً وكـان جـماليا
فــاليوم أخشــع للــذليل وأتّــقي ... ضـيمي وأدفـع ظـالمي بـردائـيا
فــإذا بكت قــمريّة فــي ليــلها ... شــجناً عــلى غـصن بكـيت صـباحيا

---

(١) راجع للتفصيل، تاريخ الأدب العربي : ٢٥٧ ـ ٢٦٢.

(٢) المصدر نفسه : ١٦٤ ـ ١٦٥.

فلأجعلنَّ الحزن بعدك مونسي ولأجعلنّ الدمع فيك وشاحيا
ماذا على من شمَّ تربة أحمد أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليا[1]

٣ ـ وعن محمَّد بن المفضَّل قال : سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول : جاءت فاطمة (عليها السلام) إلى سارية في المسجد وهي تقول وتخاطب النبيّ (صلى الله عليه وآله) :

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدَها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلَها واختلَّ قومك لمّا غبت وانقلبوا
أبدت رجال لنا فحوى صدورهم لما قضيت وحالت دونك الترب[2]

*　*　*

(١) أعيان الشيعة : ١ / ٣٢٣ ، ط. بيروت .
(٢) كشف الغمة: ٢/١١٥، ط بيروت، وأعيان الشيعة: ١/٣١٨، ط بيروت.

الرواة والمحدّثون عن فاطمة الزهراء (عليها السلام)

قلنا : إنّ الزهراء فاطمة (عليها السلام) كانت ربيبة العلم والتُقى، وعرفنا أنّ لها كتاباً يدعى « المصحف » اختص به أهل البيت (عليهم السلام) وقد كانت معنيّة بنشر العلم وإنفاقه بالإضافة إلى اهتمامها بتربية أبنائها ومن خَدَمها في بيتها كأُم أيمن وفضّة التي لم تكن تتكلم إلّا بالقرآن (بما يقرب من عشرين سنة) .

وممّا يدلنا على اهتمامها ببذل العلم كثرة الرواة عنها صلوات الله عليها وإليك قائمة بأسمائهم :

١ ـ ابن أبي مليكة .

٢ ـ أبو أيوب الأنصاري .

٣ ـ أبو سعيد الخدري .

٤ ـ أبو هريرة .

٥ ـ أسماء بنت عميس .

٦ ـ أُم كلثوم .

٧ ـ بشير بن زيد .

٨ ـ جابر بن عبدالله الأنصاري .

٩ ـ الحسن بن علي (عليهما السلام) .

١٠ ـ الحسين بن علي (عليهما السلام) .

١١ ـ الحكم بن أبي نعيم .

١٢ ـ ربعي بن خراش .

١٣ ـ زينب بنت أبي رافع .

١٤ ـ زينب بنت علي (عليها السلام) .

١٥ ـ سلمان الفارسي .

١٦ ـ سهل بن سعد الأنصاري .

١٧ ـ شبيب بن أبي رافع .

١٨ ـ العباس بن عبد المطلب .

١٩ ـ عبدالله بن الحسن .

٢٠ ـ عبدالله بن العباس .

٢١ ـ عبدالله بن مسعود .

٢٢ ـ علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

٢٣ ـ علي بن الحسين (عليه السلام) .

٢٤ ـ عوانة بن الحكم .

٢٥ ـ فاطمة بنت الحسين (عليها السلام) .

٢٦ ـ القاسم بن أبي سعيد الخدري .

٢٧ ـ هارون بن خارجة .

٢٨ ـ هشام بن محمد .

٢٩ ـ يزيد بن عبد الملك[١] .

* * *

(١) راجع للتفصيل : مسند فاطمة الزهراء (عليها السلام) للشيخ عزيز الله العطاردي : ٥٩٠ ـ ٦٠٢ .

الفهرس التفصيلي

* * *